مجلة الدراسات السودانية

ردمد: ISSN: 1022 - 3525

مجلة علميّة محكّمة يصدرها معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية

جامعة الخرطوم

المجلد الثاني والعشرون
أكتوبر ٢٠١٦م

مجلة الدراسات السودانية

ISSN:	1022-3525
Title:	مجلة الدراسات السودانية
Imprint:	الخرطوم: معهد الدراسات الإفريقية والأسيوية – جامعة الخرطوم، 2010
Frequency:	Annual
Type of Publication:	Periodical - دورية
Language:	Arabic

هيئة التحرير

رئيس التحرير: بروفيسور/ الأمين أبومنقة محمد

سكرتير التحرير: الدكتورة/ منى محمود أبوبكر

أعضاء هيئة التحرير:

بروفيسور/ يوسف فضل حسن

بروفيسور/ سيد حامد حريز

بروفيسور/ صديق أحمد المصطفى حياتي

بروفيسور/ عبدالرحيم حامد مقدم

بروفيسور/ منزول عبدالله منزول

الدكتورة/ محاسن عبدالقادر حاج الصافي

إدارة التحرير:

ضبط اللغة: الأستاذ/ عباس الحاج الأمين

التصميم: المهندس/ خالد عبد الله محمد

سكرتيرة المجلة السيدة/ نهلة محمد عثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية

أعزائي القراء الكرام،

يسعدنا أن نضع بين أيديكم المجلد الثاني والعشرين من مجلة الدراسات السودانية، وكلنا أمل أن ينال رضاكم من حيث المضمون والإخراج. وكما ذكرنا في كل المجلدات السابقة، إننا نرحب بملاحظاتكم وتعليقاتكم، ونعد بأخذها في الاعتبار.

لقد تضمن هذا المجلد قسماً جديداً من الموضوعات تحت مسمى "ملفات"، كتب فيه الأستاذ الدكتور قاسم عثمان نور عن مكتبة جامعة الخرطوم متتبعاً مسار تطورها، وطريقة إدارتها وتزويدها بالمراجع، وغير ذلك. وسوف يحوي المجلد القادم أيضاً – بإذن الله – ملفاً مشابهاً حول مكتبة السودان، بقلم نفس الكاتب.

ونشير – كما نفعل في كل مرة – إلى أن النشر في هذه المجلة لا يقتصر على العلوم الإنسانية، بل يشمل جميع العلوم طالما أن موضوع البحث ذو صلة مبا شرة بالسودان.

نرجو في هذا المقام أن نشكر للعلماء المشاركين في هذا المجلد صبرهم على ملاحقتنا لهم لإكمال المعلومات وإجراء التعديلات والتصويبات المطلوبة، كما نشكر الزملاء المحكِّمين على إعانتهم لنا في المحافظة على المستوى المعهود للمجلة.

وفي الختام ندعو المشاركين في المجلدات القادمة للتقيد بقواعد وشروط النشر المبيَّنة في الصفحات الأخيرة من المجلة.

والحمد لله من قبل ومن بعد.

رئيس التحرير

محتويات العدد

مقالات/أوراق:

١- نتائج أولية عن مواقع ما قبل التاريخ في مناطق شرق الأبيض، ولاية شمال كردفان، محمد الفاتح حياتي ١

٢- ملامح من العلاقات التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين السودان ونيجيريا، الأمين أبومنقة محمد ٣١

٣- التسويات السياسية بين شمال وجنوب السودان وأثرها على الاستقلال ١٩٥٦م، هويدا صلاح الدين العتباني ٦٥

٤- إنتاج القطن المطري قصير التيلة وتصنيعه بجبال النوبة في الفترة ١٩١٣-١٩٩٢م، توحيد خميس تبيسة وحسن عبدالله المنقوري ٩٥

بحوث:

٥- الدراسات المعملية لأثر بول الإبل والمستخلص المائي للزنجبيل ضد فطر Alternaria alternate المسبب لمرض اللفحة المبكرة في الطماطم في السودان، الأمين حافظ بيلو وسعاد علي الطيب علقم ومحمد الوقيع علي ١٢٣

عرض كتب:

٦- عصر البطولة في سنار، تأليف: جاي سبولدنق، ترجمة: أحمد المعتصم الشيخ، عرض: الصادق محمد سليمان ١٤١

ملفات:

٧- مكتبة جامعة الخرطوم في عصرها الذهبي، قاسم عثمان نور ١٤٩

٨- قواعد وشروط النشر ١٧٧

٩- المشاركون في هذا العدد ١٧٩

نتائج أولية عن مواقع ما قبل التاريخ في مناطق شرق الأبيض، ولاية شمال كردفان

محمد الفاتح حياتي

مستخلص: في إطار مشروع المسح الآثاري والتراثي لولاية شمال كردفان لعام ٢٠١٥، تم مسح الجبال الواقعة إلى الجنوب الشرق من مدينة الأُبَيِّض، في المنطقة الواقعة جنوب طريق الخرطوم–الأُبَيِّض، حيث اكتشف عدداً من المواقع الأثرية الراجعة إلى العصر الحجري الحديث وقليل من بعض دلائل الفخار التي تشير إلى مرحلة العصر الحجري الوسيط. تمثلت المخلفات الأثرية في القطع الفخارية ذات الزخارف المتنوعة، وكذلك الفخار غير المزخرف، إضافة إلى ظهور تنوع في تقنيات صناعة الفخار وزخرفته، وفي عملية تجهيز العجينة التي يبنى منها. كما تم العثور على دلائل الأدوات الحجرية الدقيقة ومخلفات صناعتها وأيضا عُثر على دلائل أدوات الطحن التي كانت تمتاز بالجودة في الصناعة والتنوع في الشكل. وهذه الأدلة توضح إمكانية هذه المنطقة لاستيعاب الإنسان وعيشه فيها خلال حقبة الهولوسين الوسطى.

Abstract: Within the project of Archaeological and Heritage Survey in North Kordofan (2015), the mountains located south-east El-Obeid town, the area located south of Khartoum-El-Obeid road, was archaeologically surveyed. A number of archaeological sites were discovered dating to Neolithic era, and some few pottery evidences that relate to Mesolithic era. The archaeological collections are in the form of pottery shreds with diverse decorations as well as plain pottery. This is in addition to variety of techniques of pottery industry and the preparation of its paste. Evidences of tiny stone tools and their manufacturing debris were also found. This is besides well manufactured grinding stone tools with diverse shapes. All of those evidences testify to the possibility for this area to incorporated human life during the mid-Holocene era.

كلمات مفتاحية: الهولوسين، شمال كردفان، ما قبل التاريخ، الفخار، الأدوات الحجرية.

مقدمة

إن المتأمل في الانتشار الواضح لآثار الإنسان القديم في السودان يلاحظ أنها تتواجد في شتى أصقاعه، بمعنى أن معظم مناطق السودان، وبحدوده الجغرافية قديماً وحديثاً، كانت مكاناً مناسباً لعيش الإنسان القديم، سواء كان ذلك منذ فترة ما قبل التاريخ أو فجره أو خلال الفترة التاريخية. ولعل الدراسات

الميدانية هي المصدر الأساس الذي يمدنا باكتشافات لمناطق جديدة ظهرت فيها دلائل الإنسان القديم. فمنذ مطلع القرن العشرين وحتى اليوم، ما فتئت الدراسات الميدانية ترفد خارطة السودان الآثارية بمزيد من المواقع الأثرية، ما يوحي باستلهام أفكار ورؤى جديدة ربما تغير بعض التفاسير المتعلقة بالتوزيع الجغرافي للإنسان القديم. ولعلنا نتوق إلى سبر أغوار مختلف بقاع السودان، وإدراك كنهها من حيث هويتها الآثارية؛ ومن المعلوم لدينا أن هذا لا يتأتى إلا بالأبحاث الميدانية المتخصصة. ولم تحظ مناطق غرب السودان بدراسات آثارية وافية، شأنها في ذلك شأن غيرها من بعض أقاليم السودان. ولربما يرجع ذلك إلى بعض الأسباب المتعلقة بالتمويل والدعم اللوجستي، وكذلك النواحي الأمنية التي تمثل عنصراً مهماً في تحفيز الباحثين على اجتياز مختلف المناطق بغرض دراستها. ونرى أن هناك سبباً رئيساً أدى إلى تأخير الدراسات الميدانية في غرب السودان في الفترة الأولى التي ازدهرت فيها الأبحاث المتعلقة بالآثار السودانية، ويتمثل في توجيه هذه الأبحاث إلى إنقاذ وحماية المواقع الأثرية المهددة بسبب قيام بعض مشاريع التنمية في البلاد. وعلى أية حال فإن مشروع المسح الآثاري والتراثي لولاية شمال كردفان يمثل أحد المداخل التي من خلالها نستطيع أن نصل إلى فهم بعض المكتسبات الثقافية للإنسان القديم في هذه المنطقة. وقد كان للعوامل المناخية والبيئية والطبوغرافية أثر على السمات الديموغرافية خلال حِقب ما قبل التاريخ، لا سيما المرحلة المتأخرة لما قبل التاريخ. وفي موسم أكتوبر ٢٠١٥م تم الكشف عن ١٩ موقعاً أثرياً ترجع إلى العصر الحجري الحديث، ويحمل بعضها سمات العصر الحجري الوسيط، إذ يتمثل ذلك في الفخار ذي الخطوط المموجة والفخار ذي الخطوط المتموجة المتقطعة (خارطة ١).

الأبحاث الميدانية السابقة في غرب السودان

هناك بعض الدراسات الميدانية التي نفذت في بعض مناطق غرب السودان، ومن ذلك، الأبحاث الميدانية التي نفذها أنطوني آركل في بعض مناطق إقليم دارفور كمنطقة عين فرح على سبيل المثال.[١] كما نجد أبحاث بلفور بول في مناطق دارفور، والتي تناولت شقين من المعرفة تمثلا في الآثار والفلكلور. وقد أعطت هذه الدراسات بعض المعلومات عن ثقافة الإنسان القديم في غرب السودان، لا سيما إقليم دارفور.[٢][٣][٤] وكذلك هناك بعض الدراسات التي تناولت إقليم كردفان.[٥][٦] كما أن للدراسات التي جاءت في فترات لاحقة لمنتصف القرن العشرين، كأبحاث جامعة كولون الألمانية في مناطق وادي هور،[٧] وأبحاث البعثة الفرنسية التابعة لجامعة ليل الثالثة في منطقة "الزنكور"،[٨] وأبحاث البعثة البولندية المشتركة بين جامعة آدم مكيوسز (Adam Mickiewicz)، والهيئة العامة للآثار السودانية في منطقة

(١) A.J. Arkell (1936): "Darfur antiquities", *Sudan Notes and Records* 27.

(٢) H.G. Balfour-Paul (1954): "Sultan's palaces in Darfur and Wadai", *Kush* 2.

(٣) H.G. Balfour-Paul (1955): *History and Antiquities of Darfur*. Khartoum.

(٤) H.G. Balfour-Paul. (1956): "A prehistoric cult still practiced in Muslim Darfur", *JRAI* 86.

(٥) - A.E.D. Penn. (1931) "The Ruins of Zankor", *Sudan Notes and Records* 14.

(٦) W.B.K. Shaw (1936): "The ruins at Abu Sofyan", *Sudan Notes and Records* 19.

(٧) F. Jesse (2006): "Time of experimentation, the 4th and 3rd millennia B.C in lower Wadi Howar, Northeastern Sudan", *Polish Archeology in the Mediterranean.* Supplement Series, Vol. 2, part 1.

(٨) B. Gratien *et al* (2015): "Le Kordofan occidental pendant la période Méroïtique. Michael H. Zach (ed.) (2008): *Proceedings of the* Prospections à Zankor et Abou Sofyan". In: *11th International Conference for Meroitic Studies (1-4 September 2008*). Vienna.

"سودري" وما جاورها أثر كبير في إثراء معرفتنا بالتراث المادي في تلك المناطق.[٩] كما كان لمشروع المسح الآثاري والتراثي لولاية شمال كردفان- التابع لقسم الآثار، جامعة الخرطوم - أثر في إماطة اللثام عن آثار منطقة "سودري" ووادي الملك.[١٠] ومن خلاله أيضا تم مسح المناطق التي تقع حول مدينة "الخوي". وقد كشفت هذه الدراسات بعض دلائل ثقافة العصر الحجري الحديث التي تتمثل في بقايا الفخار مع الأدوات الحجرية وأدوات الطحن. كما ظهرت أشكال الامتداد المروي في منطقة كردفان متمثلاً في المقابر المروية، مع ظهور دلائل صناعة الحديد في هذه المنطقة.[١١] أسفرت كل هذه الدراسات عن اكتشاف بعض أنماط ثقافة الإنسان السوداني القديم في تلك المناطق، مع العلم بأن هناك كثيراً من أجزاء تلك المناطق لا يزال ينتظر البحث والاستكشاف.

الأوضاع البيئية في منطقة شمال كردفان

في ظل الأوضاع المناخية والبيئية الحالية، نجد أن منطقة كردفان تقع ضمن حيز جغرافي يضم ثلاثة أنواع من الأقاليم المناخية التي تغطي الأراضي السودانية، وهي: الإقليم الصحراوي الذي يضم المناطق الشمالية من منطقة كردفان، وهو متاخم لحدود السودان الشمالية. كما تقع منطقة وسط كردفان ضمن إقليم شبه الصحراء. أما المناطق الجنوبية والغربية فتقع ضمن إقليم السافنا؛ فكلما توغلنا جنوبا تحول المناخ من السافنا الفقيرة إلى السافانا

(٩) A.M. Ahmed *et al*. (2011): Archaeological survey in the Sodiri Region. Unpublished Report.

(١٠) H.M. Adam (2011): The Archaeological Project of North Kordofan State. The Primarily Report of the First and Second Seasons. Unpublished Report.

(١١) هويدا محمد آدم (٢٠١٢): المسح الآثاري لمنطقة الخوي، تقرير غير منشور.

الغنية.[١٢] (لوحة ١). أضف إلى ذلك، تقلص الرقعة المطرية في وسط السودان الذي يضم جزءاً كبيراً من منطقة كردفان، وبخاصة الجزء الشرقي منها. ووفقاً للقراءة الحديثة لأوضاع المناخ، فإن منطقة شمال كردفان تقع ضمن الحزام شبه الجاف في السودان، وهو يقع بين خطي عرض ١٢° - ١٦°،[١٣] إذ يتراوح المعدل السنوي للأمطار بين ٣٤٠-٤٠٠ملم.[١٤] كما أثبتت الدراسات أن منطقة شمال كردفان قد تأثرت بالرياح وتشكيل الكثبان الرملية منذ نهاية الدور الرابع (Late quaternary)، لكنها لم تكن بنفس القدر من الجفاف الذي هو حادث الآن، إذ كانت المنطقة تمتاز بالرطوبة والأمطار متوسطة المعدل.[١٥] ففي الحقبة المبكرة من الهولوسين كانت هذه المنطقة مغمورة بالمياه، حيث كان معدل الأمطار السنوي يصل إلى ١,٠٠٠ملم، إذ كانت المنطقة الغابية في السودان تمتد إلى حوالي ٤٠٠ كلم نحو الشمال من موقعها الحالي. فعندما كانت تصل رياح المانسون المشبعة بالأمطار على أطراف وأواسط الصحراء الإفريقية خلال الهولوسين المبكر في الفترة الواقعة بين ٨٠٠٠-٧٠٠٠ ق.م كانت هذه المنطقة تمثل الناحية الجنوبية للصحراء، وخاصة الأطراف الشمالية من إقليم كردفان. وعلى الرغم من ذلك، كانت هذه المنطقة تمتاز بالثراء الطبيعي المتمثل في الرطوبة التي خلقت بيئة ملائمة لعيش مختلف الحيوانات التي حفزت

(١٢) M.Van Noordwijk (1984): *Ecology Text Book for the Sudan*. Khartoum: Khartoum University Press.

(١٣) H.Hulme (1990): "The Changing Rainfall Resources of Sudan", *Transactions of the Institute of British Geographers*, New Series, Vol. 15, No. 1, p. 23.

(١٤) Ibid., p. 24.

(١٥) G.E. Wickens (1982): "Quaternary geology and biology of the central Sudan". in: *A Land between Two Niles*, ed. by M.A.J. Williams and D.A. Adamson. Rotterdam: an Blakema, p. 30.

الإنسان على العيش في هذه المنطقة؛[١٦] فقد كانت المنطقة زاخرة بأنواع من الثديات التي اصطادها الإنسان، كأنواع الغزلان المتعددة والجاموس البري.[١٧] وفي حقبة الهولوسين الأوسط انخفضت معدلات الأمطار إلى أقل من ٤٠٠ملم، فامتلأت المنطقة بالأشجار الشوكية المعروفة في المناطق الجافة.[١٨] فقد تغيرت الأوضاع المناخية في منطقة الصحراء ووادي النيل والامتدادات الشاسعة في وسط السودان خلال الهولوسين الأوسط، وذلك في الفترة بين ٧٠٠٠–٥٣٠٠ ق.م، وتراجعت الأمطار نحو الجنوب، ما أدى إلى تغيرات اقتصادية وتقنية. وقد وصلت الأغنام والماعز إلى الأطراف الشمالية من الصحراء الإفريقية، ومن ثم إلى أراضي الصحراء المصرية، ثم إلى السودان.[١٩] وفي هذه المرحلة كانت جماعات العصر الحجري الحديث قد اتخذت من هذه المنطقة ملاذاً تتحرك في داخله بمعسكراتها الموسمية، ذلك وفقاً للمقومات البيئية التي كانت متوفرة حينذاك.

أدلة العصر الحجري الحديث في المنطقة

أثبت المسح الذي تم تنفيذه في المنطقة المذكورة وجود أدلة وآثار العصر الحجري الحديث، إذ كانت البينات المادية شاهداً على وجود الإنسان الذي عاش خلال مرحلة ما قبل التاريخ المتأخرة؛ فمعظم الأدلة تشير إلى وجود إنسان العصر الحجري الحديث، وقد كانت تتمثل في مختلف أنواع الأدوات الحجرية ومخلفاتها الصناعية، وكذلك أدوات الطحن بأشكالها المتعددة، إضافة إلى

(١٦) R. Kuper and S. Kropelin (2006): "Climate-Controlled Holocene occupation in the Sahara: Motor of Africa's evolution", *Science*, Vol. 313, p. 803.

(١٧) G.E. Wickens, *op. cit*., p. 27.

(١٨) *Ibid*., p. 42

(١٩) R. Kuper and S. Kropelin, op.cit., p. 805.

قطع الفخار المميِّز لثقافة العصر الحجري الحديث. ومع ذلك، فهناك بعض الأدلة القليلة من القطع الفخارية التي تشابه فخار العصر الحجري الوسيط، لكنها لم تكن منتشرة بصورة واسعة. وتم تسجيل عدد ١٩ من مواقع العصر الحجري الحديث، وتتمثل في الآتي:

الإكسير١: "665 <24 °30 E "687 <00 °13 N: يقع إلى الشمال من جبل الإكسير، وفي منطقة تتخللها المجاري المائية الصغيرة التي تنحدر من الجبال. ويحتوي على بقايا الفخار الذي يرجع إلى العصر الحجري الحديث، كما تنتشر بقايا الأدوات الحجرية رديئة الصنع، وكذلك أدوات الطحن المتنوعة، والمصنوعة من الجرانيت والكوارتز.

الإكسير ٢: "648 <24 °30 E "635 <00 °13 N: يحتوي الموقع على كمية كبيرة من مخلفات صناعة الأدوات الحجرية الدقيقة وبقايا الفخار رديء الصنع، والذي تظهر على سطحه زخارف هندسية. كما انتشرت المدقَّات والمطارق الحجرية؛ فربما كان الموقع عبارة عن ورشة لصناعة الأدوات الحجرية خلال العصر الحجري الحديث.

الإكسير ٣: "386 <24 °30 E "535 <00 °13 N: يقع غرب جبل الإكسير، ويحتوي على بقايا استيطان العصر الحجري الحديث التي تتمثل في الفخار الذي تأثر بالتعرية. إضافة إلى مخلفات صناعة الأدوات الحجرية وأدوات الطحن.

الإكسير ٤: "462 ’24 °30 E "347 <00 °13 N : هو من المواقع التي تميزت بالاستمرارية في الاستيطان، إذ يحتوي الموقع على بقايا فخار يرجع إلى مختلف الفترات التي تمتد من العصر الحجري الحديث وحتى الفترة الإسلامية. وتنتشر بقايا الأدوات الحجرية رديئة الصنع وبعض أدوات الطحن متنوعة الأشكال.

دغيم: "069 <25° 30 E "707 <59° 12 N: يقع جنوب شرق جبل دغيم، وفي منطقة منحدرة من قمة الجبل، ويحتوي على حفرة طحن نحتت على بروز صخري كبير. كما تم العثور على الفخار الذي يرجع إلى العصر الحجري الحديث.

العين ١: "579 <25° 30 E "127 <01° 13 N: يحتوي هذا الموقع على بقايا الاستيطان المتمثلة في الفخار الذي تمت زخرفته بالخطوط المموجة التي ترجع إلى العصر الحجري الوسيط، إضافة إلى نوع من الخطوط المموجة يرجع إلى العصر الحجري الحديث. وكذلك تم العثور على قليل من أدوات الطحن، وأيضاً عُثر على هراوة صنعت من حجر الجرانيت، كما تم العثور على بعض الأدوات الحجرية رديئة الصنع.

العين ٢: "761 <25° 30 E "545 <01° 13 N: يمتد على سفح جبل العين الشرقي، ويقع شرق موقع العين ٣، وتنتشر على سطحه بقايا فخار العصر الحجري الحديث والفخار الإسلامي. وتعرض هذا الموقع للتدمير بصورة كبيرة من قبل المواطنين والجهات الرسمية.

العين ٣: "794 <25° 30 E "428 <01° 13 N: يقع في الناحية الشمالية الشرقية لجبل العين، وإلى الشمال من موقع العين ٢. يحتوي على بقايا الفخار الذي يرجع إلى العصر الحجري الحديث وكذلك الفخار الإسلامي. كما توجد عين أو بركة لتخزين الماء على سفح الجبل وفي داخل هذا الموقع. تعرض هذا الموقع أيضاً للتدمير.

العين ٤: "679 <25° 30 E "662 <01° 13 N: يقع شمال شرق جبل العين وإلى الشمال الغربي من موقع العين ٣. يحتوي على مخلفات الاستيطان كفخار العصر الحجري الحديث، مع الأدوات الحجرية وأدوات الطحن.

العين ٥: "679 <25° 13 E "683 <01° 13 N: يقع شمال غرب جبل العين وغرب موقع العين ٤. يحتوي على فخار العصر الحجري الحديث، والأدوات الحجرية وأدوات الطحن متنوعة الأشكال والتي صنعت من مواد خام متنوعة.

العين ٦: "547 <25° 30 E "672 >01° 13 N: يقع شمال غرب جبل العين وغرب موقع العين ٥. يحتوي على الأدوات الحجرية، ويكثر على سطحه الفخار الإسلامي مع قلة في فخار العصر الحجري الحديث.

العين ٧: "365 <25° 30 E "519 >01° 13 N: يقع شمال غرب جبل العين وإلى الجنوب الغربي من موقع العين ٦. يحتوي على أشكال تشبه المقابر الإسلامية، وربما تكون مساكن؛ فالأمر غير واضح المعالم. كما تظهر بقايا قليلة من فخار العصر الحجري الحديث مع بقايا الأدوات الحجرية.

العين ٨: "365 <25° 30 E "647 <01° 13: يقع غرب جبل العين وجنوب موقع العين ٧. تظهر على سطحه بقايا فخار العصر الحجري الوسيط الذي يضم زخرفة الخطوط المموجة. وكذلك احتوى الموقع على فخار العصر الحجري الحديث. كما تم العثور على بعض الأدوات الحجرية.

العين ٩: "365 <25° 30 "519 >01° 13 N: يقع غرب جبل العين مباشرة، وإلى الجنوب من موقع العين ٨. يحتوي على مخلفات العصر الحجري الحديث المتمثلة في الفخار والأدوات الدقيقة وأدوات الطحن.

العين ١٠: "269 <25° 30 E "325 >01° 13 N: يقع غرب جبل العين وجنوب موقع العين ٩. تم العثور على فخار العصر الحجري الحديث وبعض الأدوات الحجرية في سطح هذا الموقع.

العين ١١: "159 <25 °30 E "158 <01 °13 N: يقع غرب جبل العين وجنوب موقع العين ١٠. هو موقع سكني يحتوي على مخلفات العصر الحجري الحديث كالفخار والأدوات الحجرية وأدوات الطحن. ويتميز بكثافة المخلفات الأثرية.

العين ١٢: "041 >25 °30 E "908 >00 °13 N: يقع في الناحية الجنوبية الغربية لجبل العين وإلى الجنوب من موقع العين ١١. تظهر على سطحه مخلفات العصر الحجري الحديث كالفخار والأدوات الحجرية التي تظهر مع مخلفاتها بغزارة مما يشير إلى أن هذا الموقع ربما كان ورشة لصناعة الأدوات الحجرية. كما ظهرت بقايا أدوات الطحن بأشكال متعددة (يجب حفر هذا الموقع).

العين ١٣: "053 >25 °30 E "805 >00 °13 N: هو آخر موقع في الناحية الجنوبية الغربية لجبل العين. ظهرت على سطحه مخلفات العصر الحجري الحديث كفخار متميز ومتعدد الزخارف. كما ظهرت بقايا الأدوات الحجرية وأدوات الطحن متنوعة الأشكال. وهو من المواقع التي تظهر المخلفات الأثرية على سطحها بكثافة. كما ظهرت بقايا بعض المباني مربعة الأشكال في الجزء الجنوبي من الموقع، وربما تعود للفترة الإسلامية (يجب حفر هذا الموقع).

كاب: "272 >11 °30 E "298 >06 °13 N: يقع جنوب مدينة الأبيض وعلى طريق الأبيض- الدلنج. وهو من المواقع الاستيطانية التي تحتوي على بقايا فخار العصر الحجري الحديث وأدوات الطحن، كما يحوي شجرة تبلدي قيل أن الإمام المهدي عسكر فيها بعد القضاء على الحملة الإنجليزية بقيادة الضابط الإنجليزي "هكس باشا" في موقعة شيكان.

الفخار في منطقة الدراسة

من الملاحظ أن القطع الفخارية التي كُشف عنها في منطقة شمال كردفان قد تنوعت في بنيتها ودرجة حرقها وكذلك زخارفها. ومن المعروف أن الفترة التي صنعت فيها هذه الأواني الفخارية كانت مزدهرة إبان مرحلتي الهولوسين المبكرة والوسطى، إذ كان للعوامل الديموغرافية أثر في انتشار صناعة الفخار في تلك المنطقة. ومن هنا يمكن أن نلخص السمات الرئيسة التي اتسم بها فخار تلك المنطقة في الآتي:

- من خلال المسح الذي تم تنفيذه لم يتم العثور على أواني فخارية مكتملة، إذ كانت كل القطع عبارة عن شقف صغيرة.

- بصورة عامة، تميزت القطع الفخارية بالرداءة في الصقل والتنعيم، كما كانت معظم القطع سميكة، ولم يتم حرقها بعناية.

- تباينت القطع الفخارية بين التي تنتمي إلى العصر الحجري الوسيط التي كانت قليلة الوجود، والتي تنتمي إلى العصر الحجري الحديث التي كانت أكثر وجوداً.

- كان هناك تنوع في الأنماط الزخرفية التي ترجع للعصر الحجري الحديث. تمثل فخار العصر الحجري الوسيط في الخطوط المموجة، أما الخطوط المتموجة المتقطعة والخطوط المهززة فقد كانت نادرة الظهور.

- لوحظ أن القطع الفخارية في منطقة الدراسة قد اتسمت بالتباين في الألوان، على الرغم من أن هذا الأمر قد يكون صعب التمييز بصورة عامة، ولكن يمكن عمله.

انتشرت أنواع من الزخارف الفخارية في منطقة الدراسة، وذلك ربما يشير إلى تنوع الأيدي الصانعة، وكذلك التداخل الثقافي الذي شهدته هذه المنطقة التي تقع في الجزء الغربي من وسط السودان. ومن الزخارف التي كُشف عنها في هذه المنطقة، زخرفة الخطوط المموجة التي تمثل نموذجاً لثقافة العصر الحجري الوسيط. وقد انتشر بصورة واضحة في وسط وشمال السودان قبل حوالي ٩٠٠٠ سنة مضت.[٢٠] وقد كُشف عن أعداد قليلة من هذا النوع من الزخرفة، وفي مواقع قليلة، إذ تم العثور عليه في موقعين. كما تباينت أشكال هذه الزخرفة بين الخطوط المموجة التقليدية والشكل ذي التموجات حادة الزوايا التي تظهر في شكل مثلثات. أما زخرفة الخطوط المتموجة المتقطعة فقد كانت نادرة جداً، بحيث ظهرت بعدد قطعة واحدة في موقع العين ٢. وكذلك ندر انتشار القطع الفخارية ذات الخطوط المهززة.

أما فخار العصر الحجري الحديث فقد عُثر على أنواع متعددة من زخرفته، وتمثلت في زخرفة الخطوط المستقيمة التي تظهر في شكلين؛ فإما أن تكون خطوطاً مستقيمة متصلة، وإما أن تكون خطوطاً منقطة. كما عُثر على قطعة ظهرت فيها خطوط مستقيمة متداخلة مع بعضها. وقد تم العثور على هذا الشكل في بعض المواقع، ولم تكن بأعداد كبيرة. وأيضاً تم العثور على شكل زخرفة النقاط، والتي تكون في شكل نقاط متفرقة على سطح الإناء أو تملأ كل سطح الإناء بصورة منتظمة، كما تظهر في بعض الأحيان بطريقة غير منتظمة، ويتم تنفيذ هذا النوع من الزخرفة عن طريق مشط من الحطب، أو الأصداف، أو يتم استخدام عود مُفرد لوضع النقاط على سطح الإناء، وقد عُثر على هذا الشكل في

(٢٠) A.M. Khabir (1987): "New radio carbon dates for Sarurab2 and the age of early Khartoum. tradition", *Current Anthropology*, Vol. 28, No. 3, p. 378.

معظم المواقع الأثرية في منطقة الدراسة. كذلك تم العثور على شكل الزخارف الهندسية، وهذه الزخرفة تكون في شكل مثلثات أو شبكة ذات مربعات وغير ذلك، وهي من الزخارف التي انتشرت بصورة ملحوظة خلال العصر الحجري الحديث. كما كُشف عن الشكل الزخرفي الذي يعرف بطبعة الحصيرة، ويتم عمل هذا الشكل بضغط حصيرة من القش أو يتم سحب حبل بطريقة منتظمة على سطح الإناء قبل أن يجف. بالإضافة إلى ذلك عثر على شكل الطبعات. وهذا النوع من الزخرفة انتشر خلال العصر الحجري الحديث بصورة واضحة، إذ يتم عمله بواسطة عود في غالب الأحيان (شكل. ١؛ لوحة. ٢).

ومن الجدير بالذكر وجود تشابه بين أنماط الفخار في هذه المنطقة ومنطقة النيل الأوسط، إذ أن المسافة بين منطقة الأبيّض والنيل الأبيض تبعد حوالي ٢٢٠ كلم. ويتمثل التشابه في طريقة البناء والتشكيل، وكذلك الأنماط الزخرفية. ولابد أن نبحث عن إمكانية حدوث هذا التشابه الزخرفي، و عن الأسباب التي ربطت منطقة النيل بمنطقة كردفان. ومن هنا يمكن القول بأن الأودية قد قامت بأثر عميق في خلق هذا التواصل الثقافي، إذ إن وادي الملك ووادي المقدم وخور أبوحبل كانت عبارة عن محطات ربط للبشر خلال الهولوسين المبكر والأوسط، مع العلم بأنها كانت نشطة إبان تلك الحقبة.[٢١]

وقد انتشر الفخار ذو الخطوط المموجة بصورة ملموسة على امتداد النيل السوداني بدءاً من النيل الأزرق في داخل منطقة الجزيرة،[٢٢] وكذلك على

(٢١) G.E. Wickens, *op. cit*., p. 24.

(٢٢) محمد الفاتح حياتي (٢٠١١): مظاهر التطور الثقافي خلال فترة العصر الحجري الوسيط في السودان. دراسة حالة: مواقع القوز شمالي النيل الأزرق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخرطوم.

الضفة الشرقية للنيل الأزرق.[٢٣] كما وُجدت دلائل شكل الخطوط المموجة ذات الزوايا الحادة في وسط السودان، وذلك في منطقة الخرطوم[٢٤] وحتى نهر عطبرة،[٢٥] وكذلك في منطقة شق الدود.[٢٦] كما تم العثور على هذا الشكل في منطقة تبيستي في الصحراء الغربية.[٢٧] وهذا يشير إلى أن هناك انتشاراً واسعاً لهذا النوع من الزخرفة في وادي النيل وإلى الغرب منه؛ فليس ببعيد أن يصل إلى منطقة كردفان، خاصة وأنها تتوسط حركة السكان بين النيل وغرب إفريقيا.

أما مرحلة العصر الحجري الحديث فقد شهدت انتشاراً بشرياً ملموساً في وسط السودان، لا سيما وأنها كانت مرحلة الزراعة والرعي. فالتطور الثقافي الذي جاء موافقاً لمرحلة إنتاج الطعام زمنياً قد ألقى بظلاله على صناعة الفخار. ولا جرم أن منطقة شمال كردفان قد نالت حظاً من السمات الزخرفية التي اتسم بها الفخار على امتداد النيل. وقد كان للزخارف التي تم العثور عليها في منطقة

(٢٣) V. M. Fernandez *et al*. (2003): "Archaeological survey in the Blue Nile area, Central Sudan", *Complutu,*14.

(٢٤) I. Caneva (1983): "Wavy line pottery from Saggai I: An essay of classification". In: *Pottery Using Gatherers and Hunters at Saggai (Sudan): Preconditions for Food Production*, ed. by I. Caneva.I, *Origin XII,* Rome, p. 165.

(٢٥) R. Haaland and A. Abdul Magid (1995): "Aqualithic sites along the Rivers Nile and Atbara, Sudan*"*, *Origin XII*, Rome.

(٢٦) A. S. Mohammed-Ali (1991): "The Mesolithic and Neolithic ceramics from Shaqadud Midden". In: *The Late Prehistory of the Eastern Sahel*, ed. by A. E. Marks and A. S. Mohammed-Ali. Dallas: Southern Methodist University Press, p. 65.

(٢٧) B. Gabriel (1981): "Die ostliche Zentralsahara im Holozanklima, landshaft und kulturen (mit besonderer Berücksichtigung der Neolithischen)". In: *Prehistoire Africaine. Melanges Offerts au Doyen Lionel Balout*, ed. by C. Roubet, H. Hugot, and G. Souville, Recherche sur des Grandes Civilisations 6, A.D.P.F, Paris.

الدراسة وجود في منطقة النيل الأوسط، وفي منطقة الخرطوم بتحديد أدق. إذ عُثر على زخرفة الخطوط المستقيمة التي تميزت بأشكالها المتعلقة بعدد الخطوط وورودها بحزم معدودة في بعض الأحيان، كاثنين أو ثلاثة خطوط، أو ترد متواترة بحيث تملأ سطح الإناء بغير عدد معين. وقد وُجد هذا الشكل في مواقع الشهيناب،[٢٨] والكدرو،[٢٩] والجيلي،[٣٠] وغير ذلك من مناطق الخرطوم. أما زخرفة النقاط، فقد جاءت دلائلها من مناطق متعددة في وسط السودان، إذ تم العثور عليها في موقع الكدرو،[٣١] وكذلك موقع الزاكياب الذي جاءت فيه النقاط بالقرب من حافة الأواني الفخارية،[٣٢] إضافة إلى وجودها في منطقة الشلال الثالث.[٣٣] كما عُثر على هذا الشكل في منطقة الحلاوين بإقليم الجزيرة، حيث وُجدت دلائله في منطقة القوز.[٣٤] وإذا أردنا الحديث عن الزخارف الهندسية، فقد كانت منتشرة بصورة عامة في مختلف مناطق السودان، إذ تم العثور عليها

(٢٨) A. J. Arkell (1953): *Shaheinab*. London: Oxford University Press.

(٢٩) M. Chlodnicki (1984): "Pottery from the Neolithic Settlement at Kadero (Central Sudan)". In: *Origin and Early Development of Food-producing Cultures in North-eastern Africa*. ed. by L. Krzyzaniak and M. Kobusiewicz . Poznan: Poznan Polish Academy of Sciences and Poznan Archaeological Museum, P. 341.

(٣٠) I. Caneva (1991): "Prehistoric hunters, herders and tradesmen in Central Sudan: Data from the Geili Region". In: *Egypt and Africa, Nubia from Prehistory to Islam,* ed. by W.V. Davies. London: British Museum Press.

(٣١) - M. Chlodnicki, *op.cit*, p. 342.

(٣٢) R. Haaland (1987): "Socio-Economic Differentiation in the Neolithic Sudan", *Cambridge Monograph in African Archaeology* 20, BAR International Series 350.

(٣٣) A. M. Sadig (2005): "Neolithic pottery from the Third Cataract region", *Adumatu*, No. 12, July 2005, p. 52.

(٣٤) محمد الفاتح حياتي، مرجع سابق، ص ٢٠٨.

في الكدرو،[٣٥] وكذلك في موقع الكدادة الواقع بالقرب من شندي.[٣٦] كما نجد أن أشكال الطبعات قد كانت شائعة الاستخدام خلال العصر الحجري الحديث في وسط السودان، ومنها ما يعرف بطبع الحرف (V)، وكذلك طبعات الأظافر، ولقد تم العثور على هذا الشكل في الشهيناب، ما يشير إلى أنه كان مستخدماً منذ الألفية الخامسة قبل الميلاد.[٣٧] كما وجدت دلائل هذا الشكل بصورة واسعة في منطقة جبل موية بسنار،[٣٨] وربك،[٣٩] وجبل التومات بمنطقة النيل الأبيض.[٤٠]

الأدوات الحجرية

لم تكن هناك صعوبة في أن يتحصل إنسان تلك المنطقة على المادة الخام الحجرية التي يصنع منها أدواته الحجرية المتنوعة في أشكالها ووظائفها؛ وبالفعل تم العثور على بعض الأدوات الحجرية ومخلفاتها الصناعية. وقد حاز الكوارتز نسبة عالية من تصنيع هذه الأدوات، وذلك نابع من توفر محاجره في المناطق القريبة. ويأتي الكوارتزيت في المرحلة الثانية من الحجارة الخام التي

(٣٥) M. Chlodnicki, op.cit, p. 342.

(٣٦) F. Geus (1984): "Excavations at el Kadada and the Neolithic of the Central Sudan". In: *Origin and Early Development of Food-producing Cultures in North-eastern Africa*, ed. by L. Krzyzaniak and M. Kobusiewicz.Poznan: Poznan Polish Academy of Sciences and Poznan Archaeological Museum.

(٣٧) A. J. Arkell (1953), *op.cit,* p. 31.

(٣٨) F. A. Addison (1949): *Jebel Moya* (2 vols), London: Oxford University Press.

(٣٩) R. Haaland (1987), op.cit, pp. 46-47.

(٤٠) A.T. Elmahi and R. Haaland (1984): "Archaeological research in the area of Rabak and Atbara, Sudan 1983-84", *Nyame Akuma* 24/25, PP. 29.

صنعت منها الأدوات الحجرية، أما الجرانيت والريولايت فقد ظهرا بنسبة ضئيلة من خلال الأدوات الحجرية المنتشرة على أسطح المواقع.

لم تتميز الأدوات الحجرية في منطقة الدراسة بالجودة في الصناعة، وذلك من حيث التسنين والتحكم في تشكيل الأداة، كما يتضح أنها قد تأثرت بعوامل الطبيعة التي أدت إلى تآكلها، وهذا ربما يشير إلى عدم توصل إنسان هذه المنطقة إلى الجودة التي سادت في كثير من المناطق في وسط السودان كمنطقة الخرطوم،(٤١) ومنطقة شندي،(٤٢) وكذلك شمال السودان.(٤٣) ولكن إذا ما قارناها بما هو موجود في منطقة النيل، فهناك تشابه في الشكل العام، على الرغم من أن هذا الأمر طبيعي خلال مرحلة ما قبل التاريخ، أي أن يكون هناك تشابه في الأدوات الحجرية. فالتشابه يتضح بين منطقة كردفان ومنطقة النيل الأبيض، لا سيما وأن الكوارتز كان أكثر سيادة في كلا المنطقتين. (٤٤)

تم جمع عدد من أنواع الأدوات الحجرية خلال المسح العام الذي تم تنفيذه في هذه المنطقة، وكانت تتمثل في النوى التي تعبر عن إمكانية الصناعة في منطقة الدراسة، ما يعني أن هذه الأدوات لم تستجلب من منطقة أخرى، وإنما صنعت في منطقة الدراسة. كما تم العثور على الشظايا الناتجة من عمليات

(٤١) A. J. Arkell (1953), *op.cit*, p. 25.

(٤٢) F. Geus, *op.cit*, p. 369.

(٤٣) F. Wendorf (1968): *The Prehistory of Nubia.* Dallas: fort Burgwin Research Center and Southern Methodist University Press.

(٤٤) J. D. Clark (1989): "Shabona: An early Khartoum settlement on the White Nile". In: *Late Prehistory of the Nile Basin and Sahara*, ed. by L. Krzyzaniak and M. Kobusiewicz. Poznan Polish Academy of Sciences and Poznan Archaeological Museum.

الصناعة، إضافة إلى الشظايا الصالحة للاستخدام كأدوات (Utilized Flakes)، وقد تم العثور على هذه القطع الحجرية في عدد كبير من جملة المواقع الأثرية في المنطقة. وكذلك عُثر على الشفرات ذات العنق، أو النصيلات (Bladelette)، وهي نموذج حي لانتشار الأدوات القزمية في منطقة الدراسة، وقد كانت متفاوتة في أحجامها من حيث الطول الذي يتراوح بين ٢-٥ سم. وقد وُجدت هذه الأدوات في بعض مواقع الدراسة. وأيضا ظهرت دلائل لمخلفات الصناعة (Debitage) في بعض المواقع قيد الدراسة، وفي بعضها بصورة مكثفة، ما يدل على أنها ربما كانت عبارة عن ورش لصناعة الأدوات الحجرية. وكذلك عُثر على المكاشط (Scrapers) بأشكالها المتنوعة، كالمكاشط الجانبية، والرأسية، والمكاشط المحدبة. وقد كانت موجودة في عدد من المواقع. كما تم العثور على المثاقب (Borers) في عدد من المواقع. وأيضاً وجدت دلائل الأدوات الهلالية (Crescents) التي جاءت من بعض المواقع قيد الدراسة. كما تم العثور على المسننات أو المناجل (Denticulate or sickles)، لكنها كانت ضئيلة الظهور، وكذلك عُثر على الأثلام (Notched)، وقد كانت قليلة العدد ونادرة الانتشار أيضا. إضافة إلى ذلك تم العثور على ما يعرف بالمبتورات أو الرقائق (Truncates)، وهي من الأدوات التي انتشرت بصورة ملموسة، خاصة خلال المرحلةالمتأخرةلما قبل التاريخ، وهي من الأدوات ذات الفائدة في الذبح والسلخ والقطع (شكل ٢؛ لوحة ٣). ومن الملاحظ عدم ظهور الفؤوس والأزاميل والمقاور في هذه المنطقة، وربما يقود ذلك إلى استنتاج مفاده انحصار الفؤوس والمقاور في منطقة النيل، وإذا ثبت ذلك فهو يدعم فرضية أن المقاور خاصة تستخدم في صناعة المراكب المرتبطة بالنيل بصورة أكثر، وذلك خلال العصر الحجري الحديث.

أدوات الطحن

من الواضح أن إنسان ما قبل التاريخ في منطقة الدراسة قد استخدم أدوات الطحن بأشكالها المتنوعة، وذلك في طحن الحبوب المستخدمة في الغذاء، أو طحن الألوان والأصباغ، وقد صنعت هذه الأدوات من الجرانيت الذي كان أكثر سيادة، إضافة إلى الحجر الرملي والكوارتز والكوارتزيت. وقد استخدم الإنسان أدوات الطحن السفلى (Lower grinding stone) التي كانت تتميز بصغر الحجم، والجودة في الصناعة. إضافة إلى أدوات الطحن العليا (Upper grinding stone)، فقد امتازت بالصقل أيضاً. كما عُثر على المطارق والمدقَّات، والتي انتشرت بصورة واضحة. وإذا تأملنا الطحن على سطح الموقع فنلاحظ وجودها بدرجة ملفتة للأنظار. كما تم العثور على جزء من هراوة صُنعت من الجرانيت (لوحة ٤).

مناقشة وتلخيص

إن إقليم شمال كردفان يقع ضمن حيز جغرافي يتوسط السودان، وفي منطقة سهلية رملية تتخللها عدد من الأودية،[٤٥] ما أكسبه صفة أن يكون منطقة تلاقٍ ثقافي وعرقي واضحة للعيان؛ فقد خدمه موقعه الجغرافي وأضفى عليه هذه السمات التي قلَّ أن توجد في كثير من بقاع الأرض. ولعلنا على دراية تامة بأن الأودية والمجاري المائية التي تأتي من إقليم دارفور مارة بكردفان كانت صاحبة الأثر الكبير في ذلك الترابط والتمازج الثقافي. فهنالك عدد من هذه الأودية تغذي النيل الرئيس، ولا سيما خلال مراحل الرطوبة التي كانت سائدة إبان الحقب المطيرة من الهولوسين، وهذه الأودية تتمثل في وادي الملك الذي يمر بالجزء الشمالي من إقليم كردفان، حيث يغطي منطقة أم بادر وأبو زعيمة

(٤٥) W. Lloyd (1910): "Kordofan", *Bulletin of the American Geographical Society*, Vol. 42, No. 7, p.521.

وغيرها من القرى، حتى يصل إلى النيل عند الجزء الجنوبي من منطقة الدبة. وكذلك وادي المقدم الذي يقطع ديار قبيلة الكبابيش إلى أن يتصل بالنيل عند منطقة كورتي. وأيضاً نجد خور أبوحبل الذي ينحدر من منطقة جبال النوبة حتى يتصل بالنيل الأبيض عند منطقة الجزيرة أبا. ولذلك، فقد عملت هذه الأودية على ضبط حركة السكان بين النيل ومنطقة كردفان، بل إن الإنسان كان يعتمد عليها في حركة الرعي والتجارة وكافة المآرب المتصلة بالمعيشة، ومختلف أشكال الهجرات الناتجة عن العلائق الاجتماعية وكذلك السياسية.(٤٦) ومن ثَم فإن الواقع الملموس من خلال الأدلة المادية التي أثمرتها هذه الدراسة يحكي عن ذلك. ولابد من وجود محطات تواصل عبر السهول والأودية التي تغطي المنطقة الواقعة بين النيل بفروعه المتعددة، وإقليم كردفان. ولعل النيل الأبيض، بحكم موقعه الجغرافي وموازاته لإقليم كردفان، كذلك بحكم كونه حوى دلائل على الاستيطان المتسلسل، كان من أكثر المناطق التي أثرت وتأثرت بمنطقة كردفان. ويقف الفخار شاهداً قوياً على عملية التمازج الثقافي الذي خلقته حركة السكان في منطقة كانت تمتاز بالغابات الكثيفة، والطرائد المتوفرة، بل والأرض الصالحة للزراعة، والمصادر المائية التي تكفي للعيش المطلق وللزراعة، ووجود الحيوانات؛ فكل هذه العوامل تبلورت معاضدة لبعضها، وساهمت في انتشار صناعة الفخار. والشاهد على عملية التواصل الثقافي من خلال أدلة الفخار يتمثل في التوافق الزخرفي، ما يشير إلى وجود آفاق ثقافية متناسقة مع بعضها، وإن تباعدت من حيث جغرافيا المكان. ولقد أثبتت الأبحاث الآثارية انتشار صناعة الفخار في منطقة النيل الأبيض بكثافة خلال العصرين الحجري

(٤٦) I.S.E. Soghayroun (2010): *Trade and Wadis System(s) in Muslim Sudan*. Kampala: Fountain publishers.

الوسيط والحجري الحديث.[٤٧] وإذا ذهبنا مع النيل نحو منطقة الخرطوم فنجد أنها كانت بؤرة لبروز صناعة الفخار وانتشارها في السودان قبل أكثر من ٩ آلاف سنة مضت. ولعل الأبحاث من لدن دراسات آركل[٤٨] وحتى الأبحاث الجارية اليوم[٤٩] قد أثبتت أسبقية انتشار الفخار فيها،[٥٠] ومن ثَم انتشاره في بقية المناطق المتاخمة، ووصوله عبر المحطات الاجتماعية التي ترقد على الأودية؛ فنلاحظ أن الزخارف الفخارية المنتشرة في منطقة الأبيض تتطابق في كثير من السمات،[٥١] وتتباين في بعض السمات، وهذا التباين ربما كانت تتحكم فيه النواحي الحرفية، كما أن لجغرافيا المكان أثر في ذلك التباين، إذ أن كل منطقة تنتج عدداً من السمات الزخرفية الخاصة، ثم تأخذ بعض السمات الزخرفية من المناطق المجاورة. ولا ريب أن إقليم كردفان يتوسط منطقة تشرف على الغرب السوداني والإفريقي، والذي شهد انتشاراً لصناعة الأواني الفخارية.[٥٢] وعلى الرغم من ذلك فإن عدم الجودة والاتقان يكتنف صناعة الفخار خلال مرحلة ما قبل التاريخ المتأخرة في إقليم شمال كردفان.

(٤٧) J. D. Clark (1973): "Report in News Items - Sudan", *Nyame Akuma 3*.

(٤٨) A.J. Arkell (1953), *op.cit*.

(٤٩) S.Salvatori (2012): "Disclosing archaeological complexity of the Khartoum Mesolithic, new data of the site and regional level", *African Archaeological Review, 29*.

(٥٠) A.M. Khabir, *op.cit*.

(٥١) T. R. Hays (1974): "Wavy line pottery: an element of Nilotic diffusion", *The South African Archaeological Bulletin*, Vol. 29, No. 113-114, p. 27.

(٥٢) ديفيد و. فليبسون (٢٠٠٢): علم الآثار الأفريقي (دراسة في ما قبل تاريخ القارة الأفريقية حتى الألفية الميلادية الثانية)، ترجمة أسامة عبدالرحمن النور. مالطا: منشورات شركة ELGA.

ربما كان لطبيعة الاقتصاد المعيشي الذي ساد إبان المرحلة المتأخرةلما قبل التاريخ (١٠,٠٠٠ – ٢,٥٠٠ قبل الحاضر) أثر كبير في صناعة الأدوات الحجرية بمختلف أشكالها ووظائفها. فالإنسان الذي اعتمد على الصيد والجمع أنتج أنواعاً متعددة من هذه الأدوات، ولذلك فهي ذات أهمية قصوى بالنسبة له. أما الإنسان الذي اعتمد على الزراعة والرعي، مع عدم تخليه عن الصيد مطلقاً، فقد أنتج أدوات حجرية تتلاءم وعمليات حفر الأرض وحصاد المحاصيل وغير ذلك من الأعمال المرتبطة بالاقتصاد المعيشي. هذا بصورة مجملة، ولكن إذا تأملنا الأدوات الحجرية التي أنتجت في منطقة شمال كردفان فنلاحظ عليها عدم الجودة في الصناعة، وعدم التسنين والتشذيب التام. وهناك ما يستدعي الانتباه، وهو عدم وجود الفؤوس والمقاور في هذه المنطقة، وهذا ربما يقودنا إلى تساؤل مهم، وهو مدى الاعتماد على الزراعة في الاقتصاد المعيشي؛ فالفؤوس كانت قد انتشرت بصورة ملموسة خلال مرحلة إنتاج الطعام المرتبطة بالزراعة على النيل؛ إذاً فما هو السبب في اختفاء مثل هذه الأدوات؟ هل أنها لم تصنع في هذه المنطقة مطلقاً، أم أنها اختفت بفعل عوامل بشرية وطبيعية؟ وأيُّ إجابة عن هذين السؤالين تقود إلى فهم طبيعة المواقع؛ فلربما لم تصنع هذه الأدوات خلال العصر الحجري الحديث، ولكن هذا لا يعني عدم معرفة إنسان المنطقة بالزراعة خلال تلك الفترة، إذ أنه من الممكن أن يكون قد استعاض عنها بأدوات أخرى، خاصة وأن هنالك أدوات مطولة تميل إلى المكاشط في الشكل، وبعضها يميل إلى الشظايا المستقَلة (Utilized Flakes)، فيمكن أن تؤدي وظيفة قريبة من الفؤوس، خاصة فيما يتعلق بعمليات فلاحة الأرض؛ فالمكاشط الكبيرة يمكن أن تُلحق بمقابض من خشب،[٥٣] وإذا تم ذلك فعلاً فمن الممكن أن تساهم في

(٥٣) J. Arkell (1953), *op.cit*, p. 29.

عمليات الزراعة. أما المقاور، فإن اختفاءها أيضاً يثير بعض التساؤلات ذات الصلة بقيمتها بالنسبة لإنسان تلك المنطقة إبان العصر الحجري الحديث، مع العلم بوجودها في بعض مناطق النيل الأوسط؛[٥٤] فإذا لم تكن هذه الأداة ذات أهمية بالنسبة لإنسان إقليم شمال كردفان فهذا يقود أيضاً إلى التساؤل الذي سبق ذكره عن أهمية الزراعة خلال العصر الحجري الحديث في تلك المنطقة، إذ تقول الباحثة راندي هالاندإن هذه الأداة قد استخدمت في حراثة الأرض،[٥٥] لذلك فليس من السهل أن نحكم على هذه المنطقة بعدم معرفة الزراعة قبل أن تتم دراسة مخلفات النباتات القديمة، خاصة وأن دراسة هذه المنطقة ما تزال في بدايتها، وذلك في ما يتعلق بالآثار بكافة أشكالها. كما يقول الباحث أنطوني آركل[٥٦] إن هذه الأداة تستخدم في صناعة المراكب، وهذا يرجح استخدامها وفائدتها بالنسبة للإنسان الذي يعيش بالقرب من النيل. كل ذلك وفقاً للأدلة المكتشفة حالياً، ما يعني أن هذه النتائج ليست نهائية. ومجمل القول إن الأدوات الحجرية كانت متعددة الأشكال والوظائف. أما أدوات الطحن، فما يميزها في منطقة الدراسة أنها كانت صغيرة الحجم، خاصة أدوات الطحن السفلى التي كانت جيدة الصنع بصورة عامة، ومعظمها كانت مصقولة. وكانت المدقات والمطارق منتشرة على سطح المواقع بشكل ملموس. ويمكن القول إن الوجود المتواتر لهذه الأدوات يشير إلى مدى توفر الحبوب الغذائية في هذه

(٥٤) M. Choldinicki. *et al* (2011): "*(*Kadero)The Lech Krzyzaniak excavations in Sudan", *Studies in African Archaeology*, Vol. 10.

(٥٥) R. Haaland (1981): Migratory *Herdsmen and Cultivating Women*. Bergin: Bergen University (Mimeo).

(٥٦) A.J. Arkell (1953), *op.cit*, p. 31.

المنطقة، وينبع ذلك من المقومات البيئية الملائمة لنمو مختلف أنواع الحبوب التي تستخدم في الغذاء، وكذلك ارتفاع أعداد البشر الذين يعيشون في هذه المنطقة، سواء كان ذلك موسمياً أو بصورة دائمة. وكذلك يشير هذا الوجود الوفير إلى مدى اعتماد الإنسان على الحبوب بشكل كبير، إن كان ذلك خلال مرحلة الجمع أو مرحلة إنتاج الطعام، ولكن يتضح أن أدوات الطحن قد انتشرت بصورة أكبر خلال العصر الحجري الحديث ومرحلة إنتاج الطعام.

تأتي الفائدة القصوى من هذه الدراسة من كون أنها أضافت معلومات جديدة عن سجل أثري في منطقة تبتعد عن النيل، وهذا يجعلها محل مقارنة واستنباط لطبيعة عيش الإنسان في تلك المنطقة، ومدى ارتباطه بالنيل اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً، وهل حدث هذا فعلاً أم لم يحدث، لكن الدلائل الأثرية المستخرجة من هذه المنطقة تثبت أن هناك بعض دلائل التشابه والترابط الثقافي بين النيل وسهول شمال كردفان، وكذلك هناك دلائل الاختلاف وعدم التوافق الكامل الواضح من خلال عدم وجود أدوات انتشرت على النيل واختفت في هذه المنطقة المدروسة.

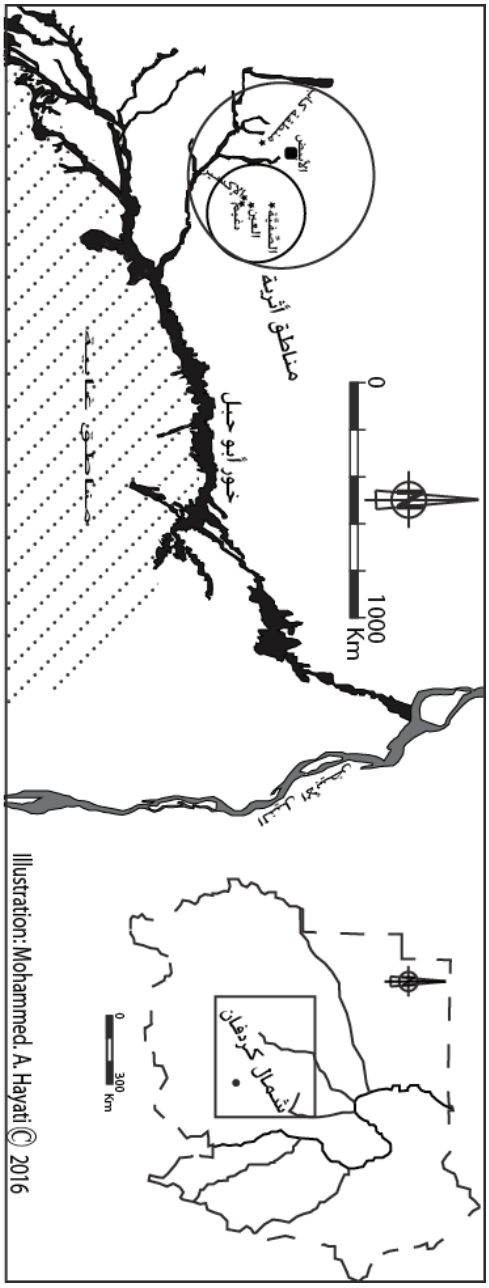

خارطة ١: منطقة الدراسة في إقليم شمال كردفان

لوحة. ١: منظر عام لمنطقة الدراسة

لوحة. ٢: بعض أشكال فخار العصر الحجري الحديث في منطقة الدراسة

لوحة. ٣: نماذج لأشكال الأدوات الحجرية في منطقة الدراسة

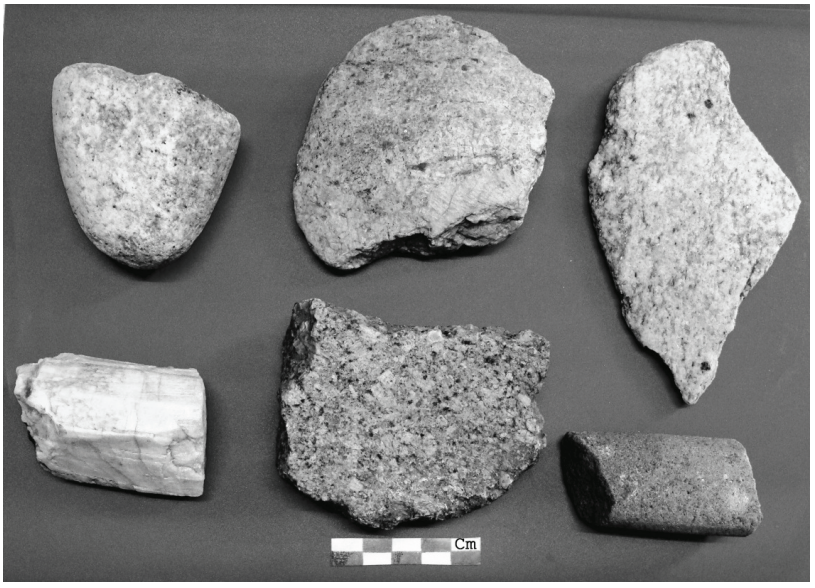

لوحة. ٤: بعض أشكال أدوات الطحن في منطقة الدراسة

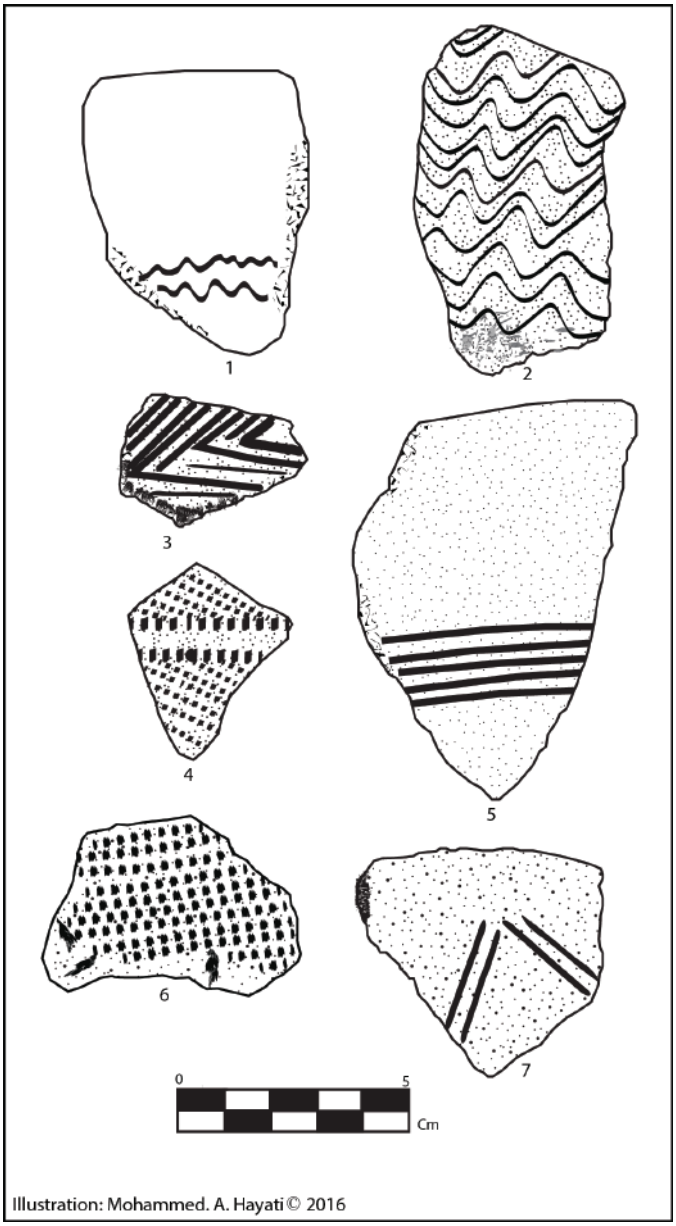

شكل ١: بعض أشكال الزخارف في منطقة شمال كردفان

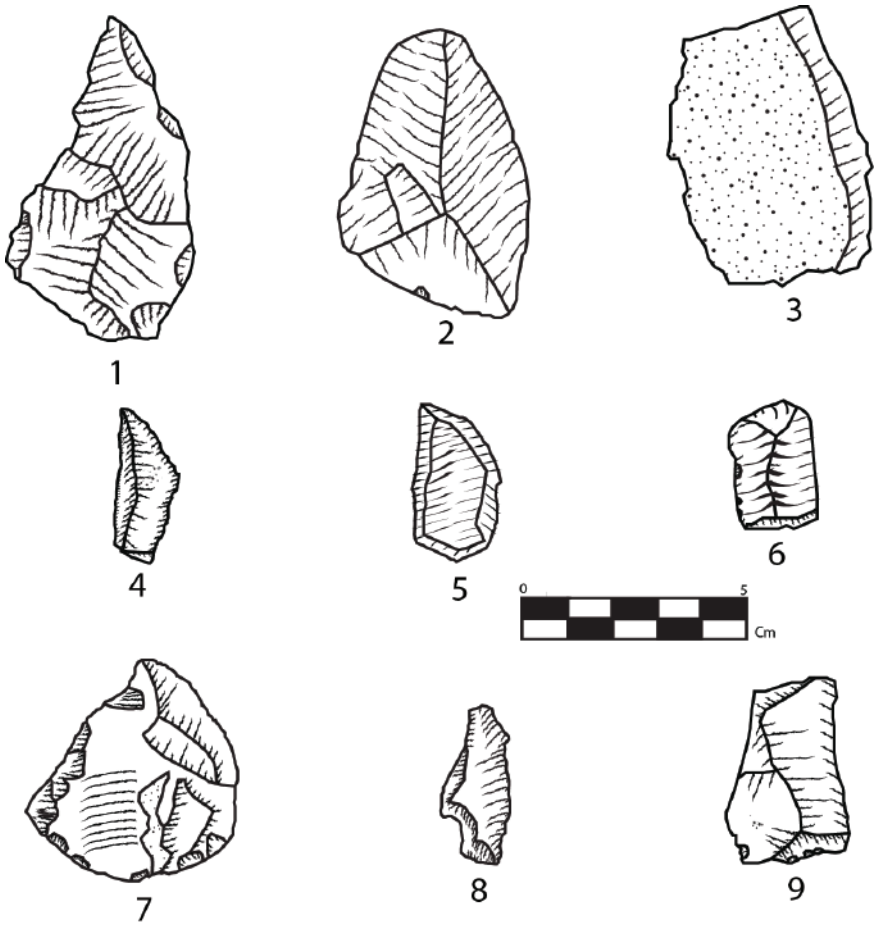

شكل ٢: نماذج للأدوات الحجرية في منطقة الدراسة. الرقم:١ عبارة عن مثقب، وتمثل الأرقام: ٢-٦، ٨-٩ أشكالاً متنوعة من المكاشط. أما الرقم: ٧ فهو أداة هلالية

ملامح من العلاقات التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين السودان ونيجيريا

الأمين أبومنقة محمد

مستخلص: يسعى هذا المقال إلى تتبع العلاقات السودانية النيجيرية من مختلف أوجهها التاريخية والعقائدية والاجتماعية والاقتصادية، منذ أقدم العصور إلى اليوم. ويتضح خلال المقال التشابه الكبير بين القطرين في كل هذه الأوجه، بل إن هناك وشائج دم بين بعض من المجموعات الإثنية فيهما. وقد شهدت هذه العلاقات في الآونة الأخيرة تطوراً متسارعاً، مع تطور وسائل الاتصال وتزايد أعداد الدارسين النيجيريين في المؤسسات التعليمية السودانية. فكل هذا يوحي بأن قيام أي تكتل إقليمي في بلاد السودان القديم (من السنغال إلى البحر الأحمر) قد ينطلق من محورٍ للسودان-تشاد-نيجيريا.

Abstract: This article tries to trace the Sudanese–Nigerian relations from its different historical, ideological, social and economical facets, from time immemorial up to date. The article reveals a remarkable resemblance between the two countries in all aspects; there is even blood relationship between some of their ethnic groups. Recently, these relations witnessed steady development due to development in means of communication and increase in the number of Nigerian students in the Sudanese educational institutions. All this supports the assumption that if a regional block in the Old Bilad al-Sudan (from Senegal to the Red Sea) is to emerge, its spearhead may be the zone: Sudan-Chad-Nigeria.

كلمات مفتاحية: السودانية – النيجيرية – مايرنو – التقاليد – هجرات

مقدمة

تجمع بين السودان ونيجيريا كثير من المظاهر والسمات: سعة المساحة في كليهما، وتشابه في التدرج المناخي، وتشابه في التباين العرقي واللغوي والديني، وتشابه في الثقافة الدينية (المذهب المالكي، الطرق الصوفية، الخلاوى القرآنية)، وتشابه حتى في المشاكل السياسية الداخلية (شمال/جنوب، حرب أهلية، التعاقب بين الأنظمة المدنية والعسكرية، مشاكل ناتجة عن ظهور النفط،

إلخ). هذا، بالإضافة إلى كون كليهما كانا تحت الاستعمار البريطاني بنظم متشابهة لحد كبير. وأهم من كل ذلك، إن التركيبة السكانية تضم مجموعات معتبرة من ذوي الجذور النيجيرية.

إن العلاقات بين هذين القطرين لموغلة في القدم ومتجذرة في أعماق التاريخ. فقد أورد الشيخ عبد الله الإلوري أن اليوربا (ثاني أكبر قبيلة في نيجيريا)، ينحدرون من يعرب بن قحطان، وأن هجرتهم كانت من العراق إلى مصر، ثم إلى بلاد الحبشة، ومنها إلى موطنهم الحالي بجنوب غرب نيجيريا.[١] ومن المعلوم أن بلاد الحبشة القديمة كانت تضم الجزء الشمالي والشمالي الغربي من جمهورية السودان، لذلك فإن ما أورده الإلوري قد يتفق مع ما ذهب إليه أحمد شلبي من أن اليوربا كانوا يقيمون بجنوب وادي النيل.[٢] ويضيف الإلوري أنهم "كانوا يخلِّفون في كل بلد طائفة منهم، ويقال أن أجلاف السودان الذين يعمرون جوف الجبال كلهم منهم".[٣] بغض النظر عن صحة هذه الرواية أو عدمها، فإن الشلوخ المميِّزة لبعض بطون قبيلة اليوربا، وبالأخص تلك القاطنة في مناطق أويو (ثلاثة شلوخ متوازية) تتطابق تماماً مع الشلوخ المميِّزة لقبيلة الشايقية التي تعيش على النيل في شمال السودان. وتزداد أهمية هذه الملاحظة إذا علمنا أن مدينة إلي- إيفي (Ile-Ife) (عاصمة مملكة أويو القديمة) تمثل

(١) الشيخ عبد الله الإلوري (ب.ت.): نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء يوربا، أجيجي: مطبعة الثقافة الإسلامية، ص ٥٠.

(٢) انظر أحمد شلبي (١٩٨٣): موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارات الإسلامية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

(٣) الشيخ عبد الله الإلوري (ب ت)، مرجع سابق، ص ٥٠.

البقعة الروحية لقبيلة اليوربا، أي الموضع الذي حطت فيه هذه القبيلة رحالها. وفي نفس هذا الإطار يرجع أ.ج. آركيل، مدير الآثار البريطاني في السودان في أواخر أيام الاستعمار، يرجع أصل الفونج إلى واحد من ثلاث مناطق، منها بلاد البرنو.(٤) أيضاً لا يهمنا هنا صحة هذا الافتراض أو عدمها بقدر ما تهمنا الإشارة إلى الاتصال المبكر للبرنو مع سودان وادي النيل. على أية حال، فإن كلتا القبيلتين تدعيان الانتماء إلى نفس المجموعات القبلية في الجزيرة العربية، أي بني أمية، وأنهما دخلتا إفريقيا عن طريق اليمن.(٥) وكذلك يتحدث بعض أفراد قبيلة الفيروقي (Feroge) القاطنة في غرب بحر الغزال عن انتمائهم إلى البرنو.(٦)

إن مصطلح "البوابة الغربية" (على غرار مصطلحي "البوابة الشرقية" و"البوابة الشمالية")، والمفترض أن تكون دارفور، لم يجد مكاناً في أدبيات تاريخ السودان. هذا على الرغم من أن مئات الملايين من البشر كانوا في حراك دائب عبرها منذ أقدم العصور، ورغم أن كثيراً من الأحداث التاريخية التي أسهمت في تأطير التاريخ الحديث لكل من السودان ونيجيريا كانت مرتبطة بهذه البوابة.

(٤) J.A. Arkell (1946): "More about Fung origins", *S.N.R.* XXVII, pp. 92-93.

ويوسف فضل حسن (١٩٨٩): مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي ١٤٥٠-١٨٢١، الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، ص ٣٩.

(٥) يدَّعي البرنو الانتماء إلى اليمن، وكذلك يدَّعي الفونج أن أسلافهم دخلوا السودان عن طريق الحبشة، وبالطبع عبر بلاد اليمن.

(٦) معلومة شفاهية من أحد زملاء المرحوم د. جيمس دهب، بمكتبه بمعهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم عام ١٩٧٨.

إن العلاقة بين بلاد السودان الغربي (من وداي إلى المحيط الأطلسي) وبلاد السودان الشرقي (من دارفور إلى البحر الأحمر)، كما بيَّن بروفسير يوسف فضل حسن، قد اتخذت أشكالاً وصوراً متعدِّدة، وغطت بدرجات متفاوتة مجالات واسعة من التجارب الإنسانية، لعل أهمها: الطرق والقوافل التجارية، وهجرات طلب العلم، وتحرك العلماء لنشر العلم،وطريق الحج، والحركة المهدية، والهجرات الدينية، والطرق الصوفية، والعلاقات المعاصرة، بالأخص في ما يتصل بالتعليم الحديث وتبادل الخبرات.(٧) لذلك فإن "البوابة الغربية" تمثل ممراً مهماً، ليس فقط للعابرين من بين البشر، وإنما أيضاً لما يحملونه من لغات وثقافات، وأفكار، ومفاهيم روحية وعقدية. وقد ساهم كل ذلك في تشكيل النسيج الاجتماعي والاقتصادي لسكان السودان وشمال نيجيريا.

يمثل درب الأربعين أحد أهم وأقدم طرق القوافل التجارية بين نهري النيجر والنيل. وقد مكَّن هذا الطريق لحركة تجارية ظلت نشطة لقرون من الزمان بين برنو ووداي ودارفور إلى مصر. ويخرج من دارفور فرع منه متجهاً شرقاً نحو كردفان، ثم عبر سنار وميناءي سواكن ومصوع وينتهي في الحجاز، وهو الطريق الذي يعرف في المدونات التاريخية بـ"طريق السودان" أو "طريق النيل".(٨) هذا بينما يصل أحد فروعه الغربية إلى بلاد اليوربا. في الواقع لم يكن هذا الطريق، أي طريق السودان، مقتصراً على النشاط التجاري، بل كان يعج بالمسافرين من كل بقاع غرب إفريقيا، وبالأخص النيجيريين من حجاج وعلماء متجولين وطلاب.

(٧) Y.F. Hasan (1993): "Some aspects of the relationships between Central and Eastern Bilad Al-Sudan", *Dirasat Ifriqiyya* 10, p. 189.

(٨) Ibid. p. 187.

ويبدو أن الاتصال بين نيجيريا والسودان في إطار طلب العلم أو نشره قديم قدم تاريخ الإسلام في هذين البلدين. ولا ندري بالتحديد متى بدأت الهجرات لهذا الغرض، إلا أن الشواهد تشير إلى أن طلاب العلم كانوا يفدون من غرب إفريقيا إلى سودان وادي النيل منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر. فقد ذكر صاحب الطبقات (طبقات ود ضيف الله، وقد كتب في العقد السادس من القرن الثامن عشر) أن عدد طلبة أرباب العقائد (ت ١٦٩١) بلغ ألفاً ونيفاً من دار الفنج إلى دار برنو.(٩) ويذكر نفس المصدر أنه في النصف الثاني من القرن السابع عشر أن خلاوي الشيخ القدال تضم حوالي ٢٠٠٠ طالب، ١٧٠٠ منهم كانوا من التكرور (فولاني، هوسا، برنو، برقو).(١٠) فوجود أعداد كبيرة من الطلاب من أبناء التكرور في خلوة عالم واحد فقط لا يمكن بأية حال من الأحوال أن يكون وليد الاتصالات بين السودان والبلاد الواقعة إلى الغرب منه قريبة العهد بتلك الفترة، بل قد ترجع إلى ما لا يقل عن قرن إلى الوراء.

تمثل ظاهرة ما يعرف بـ" العلماء المتجوِّلين" شكلاً آخر من أشكال العلاقة بين السودان ونيجيريا. وقد كانت هجرات هؤلاء العلماء لأجل نشر العلم في العهد القديم من كلا الاتجاهين، أي من الغرب إلى الشرق وبالعكس. وقد نشطت حركة العلماء المتجوِّلين هذه خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، حين كانت الممالك الإسلامية القائمة في بلاد السودان الأوسط والشرقي تتنافس في استقطاب اللامعين من العلماء القادمين من أقاصي بلاد السودان الغربي

(٩) محمد النور ود ضيف الله (١٩٧٤): كتاب الطبقات، تحقيق يوسف فضل حسن، الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر، ص ١٠٠.

(١٠) نفس المصدر، ص ٨٠.

في طريقهم إلى الحج أو عائدين منه، وتشجيعهم على الاستقرار بممالكهم لتعليم رعاياهم. وكان الحكام والسلاطين يعرضون شتى أنواع الامتيازات لهؤلاء العلماء مثل تمليكهم للحكورات "الأراضي" وإعفائهم من الضرائب وتزويجهم من الأسر المالكة. وقد تُعزى شهرة السلطان أحمد بكر (١٦٨٢-١٧٢٢) من بين سلاطين الفور إلى نجاحه في هذا الشأن.[١١] وتحت نفس هذه الظروف استقر عدد من هؤلاء العلماء في أواسط وشمال السودان كأفراد وتصاهروا مع زعماء بعض العشائر في تلك المناطق. عليه أصبح من الصعوبة بمكان اتصال أبنائهم وأحفادهم بجذورهم العرقية الأصلية، وقد انصهروا تماماً في مجتمعات أخوالهم ثقافةً ولغةً، مما حدا بهم بالطبع إلى ادعاء الانتماء إلى قبائل أمهاتهم. فاليوم قليل من هؤلاء من يعرف حتى حقيقة خلفيته غرب الأفريقية. ولا شك أن انتماءهم لبيت علم وحسب قد مكَّنهم من الوصول إلى أرقى المراتب، حيث لعب كثير منهم أدواراً مقدرة على المسرح السياسي والفكري لسودان ما بعد الاستقلال. أما من الاتجاه الآخر فقد أورد بروفسير يوسف فضل حسن حديثاً عن الشيخ أحمد اليماني الذي تحرك في عام ١٦٦٦ من أربجي (بالقرب من الحصاحيصا في الجزيرة) بحسابنه عالماً متجوِّلاً، تحرك في رحلة علم طويلة انتهت به إلى المغرب مروراً ببرنو وآهير (في جمهورية النيجر الحالية). وفي

(١١) في عهده التحق الفكي أمين الفوطاوي (من بلاد فوطا بغرب إفريقيا) ببلاط مملكة الفور، وأصبح ابنه مالك أحد أهم وزراء السلطان عبدالرحمن الرشيد بن السلطان أحمد بكر. انظر: محمد أحمد بدين (١٩٩٦): الفلاتة الفولانيون في السودان، القاهرة: مركز الدراسات السودانية. انظر أيضاً محمد عمر التونسي (١٩٥٦): تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تحقيق خليل محمود عساكر ومصطفى محمد مسعد، القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر.

طريق رحلته هذه توقف لتلقي مزيد من العلم على يدي أستاذه عبد الله البرناوي، وهو الذي شجعه على مواصلة الرحلة إلى فاس.[١٢] فقد تكون هناك أمثلة أخرى من هذا مما لم يكشفه لنا التاريخ بعد.

ورغم أن الحج يمثل أهم عامل لهجرة المسلمين من نيجيريا إلى السودان واستقرارهم النهائي فيه، إلا أن هناك عوامل أخرى ذات قدر كبير من الأهمية. لقد عُرف البرنو مثلاً بتأسيسهم لأول مملكة إسلامية في أواسط بلاد السودان القديم حول بحيرة تشاد، وهي مملكة كانم برنو (من القرن الحادي عشر إلى القرن التاسع عشر). وقد اشتهرت هذه المملكة بعلاقاتها السياسية والدبلوماسية والفكرية والتجارية مع الممالك التي نشأت فيما بعد في المناطق الواقعة بين بحيرة تشاد ودارفور (مملكة باقرمي، ومملكة وداي، ومملكة الفور)، وربما وصولاً إلى سنار. ومن المؤكد أن هذه الممالك قد أفادت كثيراً من التجربة المبكرة لبرنو في ما يتصل بنظام الحكم الإسلامي. أما في السودان فقد تركزت هجراتهم القديمة في دارفور، ويقاس تاريخ وجودهم في أماكن مثل الجنينة ومنواشي بالقرون. ومعظم المهاجرين القدامى في دارفور وكردفان قد انصهروا تماماً في مجتمعات الأغلبية في أماكن وجودهم واحتلت العربية مكان لغتهم الكانورية، ولم يبق لهم من الهوية البرناوية سوى الاسم. هذا بينما لا تزال الكانورية مستخدمة بدرجات متفاوتة وسط المجتمعات البرناوية حديثة الهجرات نسبياً، المنتشرة على النيل الأزرق وبعض أجزاء شرق السودان.

(١٢) Y.F. Hasan, *op.cit*. p. 85.

يضم السودان أكبر تجمع للهوسا خارج بلادهم الأم،[١٢] ويعرفون هنا لدى العامة باسم "الفلاته"، وهو في الأساس لفظ يستخدمه البرنو (الكانوري) للإشارة إلى الفولانيين، إلا إنه يطلق هنا بصورة شمولية على جميع القبائل التي تتصل جذورها بغرب إفريقيا. وقد أخذت هجرات الهوسا إلى السودان واستقرارهم به فترة طويلة من الزمن بحيث أصبح من الصعوبة بمكان تقدير عددهم فيه. فما أن وصلت موجات جديدة من المهاجرين إلا وقد انصهر قدامى المهاجرين في المجتمعات العربية بأواسط السودان وذابت فيه.

إن للكلمة الهوسية (gabas) بمعني "الشرق" (مأخوذة من الكلمة العربية "قبس"، أي الوهج الذي يصاحب شروق الشمس)، مدلولاً روحياً لدى المسلمين الهوسا. ذلك لأن الشرق يمثل اتجاه الكعبة المشرَّفة التي يديرون وجوههم إليها للصلاة على الأقل خمس مرات في اليوم. وهو كذلك اتجاه موقع البقعة المباركة التي شهدت ميلاد الرسول عليه السلام وضمت قبره صلي الله عليه وسلم. وفي ذات الاتجاه توجد جميع الأماكن المقدسة في الإسلام (مكة المكرمة والمدينة المنورة والقدس الشريف). لذلك فإن غاية أماني المسلم الهوسي أن يصل هذه الأماكن (وبالأخص مكة المكرمة) ولو مرة قبل وفاته. لعل أهم عوامل استقرار الهوسا في السودان يتمثل فيما يعرف بـ" الحج بمشقة" وبعض العوامل الاقتصادية الملازمة له بصورة مباشرة أو غير مباشرة. فقد ترسَّخ في مفهوم الحاج الهوسوي إلى وقت قريب عدم جدوى تكبُّد المشاق وقطع آلاف الأميال إلى الأراضي المقدسة، ما لم يضمن أداء حج سليم من جميع أوجهه ونيل أكبر قدر من الأجر منه. لذلك عندما يغادر الحاج بلاده كان يترك وراءه كل أمواله التي لم

(١٣) Argungu, D. (1988): Some Sociolinguistic Aspects of the Hausa Language and its Speakers in the Sudan, B.A. dissertation, IAAS, Univ. of Khartoum.

يتأكد من مصدرها من حيث الحلال والحرام ويبدأ في توفير مال الحج من كسب يده، وذلك بالعمل اليدوي الشاق أثناء الرحلة. لذلك كانت تستغرق رحلة الحج والعودة فترة طويلة تتراوح بين ثلاث إلى سبع سنوات. رغم أن الغالبية العظمي من هؤلاء الحجاج كانوا يوفقون في أداء فريضة الحج والعودة إلى بلادهم، إلا أن البعض منهم قد لا يتمكن من الوصول إلى الأراضي المقدسة، كما وأن منهم من يتخلَّف في طريق العودة، وينتهي بهم الأمر إلى الاستقرار الدائم. وهناك أيضاً أعداد كبيرة من الفولانيين والبرنو ممن استقر في السودان تحت مثل هذه الظروف.

إن حركة الحج في نيجيريا (بالهوسا aikin haji ،أي أعمال الحج) كانت عبارة عن مؤسسة متكاملة تدار بدقة متناهية، لها أمراؤها، وللأمراء وكلاء، وللوكلاء مساعدون، إلخ، كما لها أعرافها وتقاليدها ومفاهيمها المحلية الخاصة، والتي ما زالت سائدة بصورة أكثر رقياً إلى يومنا هذا. وترتبط مؤسسة الحج الهوسية في الماضي بمحطات ارتكاز في الطريق في شكل مجمعات أو معسكرات (بالهوسا zango زنقو)، تدار من قبل شيوخ معروفين لدى سلطات البلاد التي توجد فيها. فمعظم أحياء الهوسا الكبرى في مدن السودان الواقعة على طريق الحج مثل نيالا والفاشر والأبيض وود مدني والقضارف وكسلا وبورتسودان تطورت بمرور الزمن من هذه المحطات. لقد آثر سكان هذه الأحياء الانعزال وعدم الاختلاط بالعناصر السكانية المحلية ابتعاداً بأنفسهم عن "الانشغال بالسياسة" أولاً،[١٤] وحماية لأبنائهم من مفاسد المدن ثانياً. إلا أن الحال الآن قد تبدل وأصبحت

(١٤) مقابلة مع عبدالرحمن علي (٦٨ سنة) بمنزله بالفاشر في أكتوبر ١٩٨٥. انظر:

A. Abu-Manga (1999): *Hausa in the Sudan: Process of Adaptation to Arabic*. Köln: R. Köppe, p. 10.

الأجيال الجديدة جزءاً لا يتجزأ من التركيبة السكانية لهذه المدن، يشاركون إلى حد كبير في جميع مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مناطق استقرارهم.[١٥]

تمثل المهدية وجهاً آخر من أوجه الصلة بين نيجيريا والسودان. فقد برز الشيخ عثمان بن فودي بحركته الجهادية التجديدية (١٨٠٤-١٨٠٨)، في فترة تعتبر في غاية الأهمية بالنسبة للفكر المهدوي، حيث تزامن ظهوره مع حلول الوقت الذي عُيِّن في بعض الكتب (جلال الدين السيوطي مثلاً) لمبدأ التشوُّق لخروج المهدي، وهو تمام ثلاثين سنة في القرن الحادي عشر بعد المائة للهجرة، مما دعا كثيراً من الناس في ذلك الوقت إلى الاعتقاد بأن الشيخ عثمان نفسه هو المهدي المنتظر. وقد سارع الشيخ إلى نفي هذا الأمر عن نفسه وقام بتأليف الكتب باللغة العربية ونظم القصائد باللغة الفولانية[١٦] تحدث فيها بإسهاب عن المهدي وصفاته بغية إقناع جماعته بعدم صحة ما ذهبوا إليه، إلا أنه بشَّرهم بقرب ظهور المهدي ناحية الشرق وحثهم على الهجرة بمبايعته فور ظهوره. وما إن فارق الشيخ عثمان الحياة حتى ظهرت معلومات جديدة في مسألة المهدية ذات أهمية فائقة بالنسبة للعلاقات التاريخية بين نيجيريا والسودان، تمثلت في نبوءات قيل إنه أسرها شفاهة إلى أبنائه والمقربين من جماعته، مفادها

(١٥) لهم تمثيل معقول لحد ما في الجهازين التشريعي والتنفيذي لولاية القضارف، كما تم مؤخراً تعيين معتمد منهم برئاسة حكومة ولاية كسلا. هذا على سبيل المثال.

(١٦) انظر نماذج من هذه القصائد في: الأمين أبومنقة محمد (١٩٩٦): "الآثار العقائدية لحركة الشيخ عثمان بن فودي في سودان وادي النيل" في: الشيخ عثمان بن فودي، تحرير عمر أحمد سعيد وعبدالقيوم عبدالحليم الحسن، الخرطوم: جامعة إفريقيا العالمية ومنظمة الإسيسكو، ص ٢٥٥-٢٥٧.

أن المهدي سيظهر ناحية الشرق في اتجاه "بحر النيل"، وأن جماعته ستنتقل لملاقاته هناك ومبايعته.[١٧]

يبدو أن كتابات الشيخ عثمان بن فودي حول المهدية ونبوءاته حول موقع ظهوره كانت رائجة على الأقل في المناطق الغربية من سودان وادي النيل لعدة عقود قبل ظهور محمد أحمد بن عبد الله باعتباره المهدي المنتظر. فقد كتب محمد أحمد الحاج في هذا المعنى أن "كثيراً من الكتابات والأفكار حول المهدية قد وجدت طريقها (من بلاد السودان الغربي) إلى بلاد السودان الشرقي وشاركت في تعبئة الجو الفكري الذي أدى إلى قيام الحركة المهدية".[١٨] وخلال هذه الفترة أيضاً وفدت بعض الهجرات الفردية والجماعية من نيجيريا نحو النيل لانتظار ظهور المهدي ونيل شرف المبادرة في الانضمام إلى ركبه.[١٩] وفي عام ١٨٨١ أعلن محمد بن عبد الله نفسه المهدي المنتظر وقام بمراسلة أحد أحفاد الشيخ عثمان بن فودي، وهو الشيخ حياتو بن سعيد، ثم عيَّنه عاملاً له لعموم غرب إفريقيا، وبعث له بمستشارين من السودان. وقد تزامن كل ذلك مع اجتياح

(١٧) حول تفاصيل هذه النبوءات والفكر المهدوي عند الشيخ عثمان بصورة عامة، انظر: عمر النقر (١٩٧٠): "الجذور العقائدية والتاريخية لهجرة مي ورنو إلى السودان"، مجلة الدراسات السودانية، العدد الأول، المجلد الثاني، والأمين أبومنقة محمد (١٩٩١): "العلاقات السودانية النيجيرية في إطار المهدية"، دراسات إفريقية، العدد الثامن، ويوسف فضل حسن (٢٠٠٧): حواشٍ على متون، الخرطوم: سوداتك المحدودة، ص ٤٣-٦٧، إضافة إلى:

M.A. Al Hajj (1973): The Mahdist Tradition in Northern Nigeria, Ph.D. thesis, A.B.U. Zaria

(١٨) Ibid. p. 70

(١٩) لقد أشرت إلى هؤلاء بـ"المتشوِّقة" وعنيت بها "هؤلاء الذين هاجروا من تلك النواحي (أي بلاد السودان الغربي) – أو أبناءهم أو أحفادهم – بحثاً عن المهدي وتشوُّقاً للقائه، وذلك قبل ظهوره. انظر: الأمين أبومنقة محمد (١٩٩١)، مرجع سابق، ص ٦٤.

المحارب المغامر السوداني رابح فضل الله لبرنو تحت راية المهدية وتأسيس عاصمته في دكوا. وقد وُجِّه حياتو لربط كفاحه مع رابح من أجل المهدية. ورغم النهاية المأسوية للعلاقة بين حياتو ورابح،[٢٠] إلا أن مغامرات رابح في برنو تمثل فصلاً هاماً في تاريخ العلاقات السودانية النيجيرية. وقد تمكنت الحركة المهدية السودانية من كسب تأييد واسع في نيجيريا تحت قيادة حياتو وملازميه من أمثال جبريل قايني. وبنهاية القرن التاسع عشر كان حصن برمي في شمال شرق نيجيريا يضم خلية نشطة من الأنصار، ويكاد يكون موازياً للجزيرة أبا في السودان، مما دعا قوات الاستعمار البريطانية إلى مهاجمته والقضاء عليه في عام ١٩٠٢.[٢١] وقد تمكن الناجون من قادة هذا الحصن بمن فيهم إمامه المعروف بـ "إمام تكر"، تمكنوا من الهجرة للحاق بالحركة الأم في السودان، وساهموا في إرساء قواعد الدولة المهدية، وفيما بعد، الاشتراك في حركات المقاومة ضد الاستعمار.[٢٢]

شهدت فترة العشرينات من القرن العشرين حركة إحياء للمهدية في نيجيريا تحت قيادة الشيخ سعيد بن حياتو الذي تمكن من تنظيم الأنصار النيجيريين مرة ثانية وتأسيس قاعدة لهم في دُمَبُلْوا في برنو. وقد كان حينئذ يراسل السيد

(٢٠) نتيجة لخلاف بين الشيخ حياتو ورابح قام رابح بوضع حياتو تحت الإقامة الجبرية. وعندما حاول حياتو الهروب تمت تصفيته والمجموعة المرافقة له بواسطة فضل الله بن رابح، وكان ذلك في عام ١٨٩٨. مقابلة مع الحاج غربة سعيد بن حياتو بمنزله بكنو عام ١٩٨٠. انظر نفس المرجع، ص ٧٠.

(٢١) نفس المرجع، ص ٧١.

(٢٢) G.L. Lethem (1927): "Report on a journey from Bornu, Nigeria, to the Anglo-Egyptian Sudan, Jeddah and Cairo", in *History of Political Propaganda in Nigeria*, ed. by G.J.F. Tomlinson and G.L. Lethem. London: Waterloo and Sons ltd.

عبد الرحمن المهدي في أم درمان عن طريق الحجاج العابرين إلى الأراضي المقدسة ويتلقى الردود من العائدين، وذلك بغرض التشاور والتنسيق. وكانت نتيجة ذلك أن قامت السلطات الاستعمارية باعتقاله ونفيه إلى الكمرون حيث قضي ٢٤ عاماً في المنفى و١٢ عاماً تحت الإقامة الجبرية في كنو.[٢٣]

وكل هذا لم يؤد إلى إماتة روح المهدية في أفئدة مؤيديها في شمال نيجيريا. ففي عام ١٩٨١ عندما زار السيد الصادق المهدي مدينة كنو كان في استقباله عشرات الآلاف من الأنصار النيجيريين.[٢٤]

لعل أكبر هجرة جماعية من نيجيريا إلى السودان هي تلك التي حدثت عند سقوط الخلافة الصكتية في أيدي القوات البريطانية عام ١٩٠٣. فما إن سقطت صكتو عاصمة الخلافة في مارس من ذلك العام حتى أعلن أمير المؤمنين الطاهر الهجرة وخرج بعدد من قادته وجماعته متجهاً نحو الشرق. لم تأل القوات البريطانية جهداً في مطاردة ركبه وملاحقته إلى أن لحقت به في حصن برمي الذي قبل إيواءه، وهو حصن لأنصار الإمام المهدي، كما أسلفنا الذكر. التحم الجيشان يوم ٢٧ يوليو ١٩٠٣ فكانت الغلبة للسلاح الحديث، واستشهد في المعركة أمير المؤمنين الطاهر. في الحين تسلم ابنه محمد بلو مي ورنو (مايرنو) راية الهجرة وواصل مع ٢٥,٠٠٠ من المهاجرين إلى أن وصل قرية الشيخ طلحة على الضفة الشرقية للنيل الأزرق على بعد ١٥ كيلو متراً جنوب

(٢٣) See Asma'u A. Said (--): Shaykh Sa'id b. Hayat: Exiled Royal Prince 1923 – 1959, B.A. dissertation, Bayero Univ. Kano.

(٢٤) كنت شاهداً لتلك الزيارة، إذ كنت حينها أعمل أستاذاً بجامعة كنو.

سنار، فحط بها الرحال عام ١٩٠٦. وفي العام التالي عبر المهاجرون إلى الضفة الغربية وأسسوا مدينة مايرنو الحالية.[٢٥]

استقبلت مايرنو خلال عقودها الأولى موجات أخرى من المهاجرين من نيجيريا ومن أجزاء أخرى من السودان، كما ابتعث عدد من القادة السياسيين وزعماء العشائر لتأسيس قرى على أنهار الدندر والرهد وعطبرة. كذلك خرج آخرون لعمارة قرى أخرى في الجزيرة وعلى امتداد النيل الأزرق حتى مشارف الروصيرص.[٢٦]

جدير بالذكر أن الإدارة الاستعمارية في السودان كانت تشجع هذه الهجرات الداخلية وتسعى من خلالها إلى تطوير اقتصاد حديث للسودان قائم على الزراعة، في مناطق كان يقتصر نشاطها على الرعي. وتشير تقارير الحكم البريطاني بأن نجاح مشروع الجزيرة الذي يمثل العمود الفقري للاقتصاد السوداني الحديث، كان مقروناً بالعمالة المميزة التي وفرها هؤلاء المهاجرون.[٢٧]

وقد أورد ماكلوفلين (١٩٦٤) في هذا السياق أن المهاجرين من غرب إفريقيا (فولاني، هوسا، برنو) كانوا يتركزون في مناطق الإنتاج (الجزيرة

(٢٥) لقد حظيت هذه الهجرة بقدر وافٍ من التدوين. انظر على سبيل المثال: عمر النقر، مرجع سابق؛ والأمين أبومنقة محمد (١٩٨٩): "الأسس الفقهية لهجرة أمير المؤمنين الطاهر الأول من سكتو"، دراسات إفريقية، العدد الخامس.

(٢٦) A. Abu-Manga (forthcoming): "The patterns of the settlement of the West African immigrant communities in the Sudan during the first decades of the 20th century", *S.N.R.*

(٢٧) M. Duffield (1981): *Maiurno: Capitalism and Rural Life in Sudan*. London: Ithaca Press, p. 32.

والقاش وطوكر). ويضيف بأنهم هناك "يشكلون في المتوسط أكبر شريحة نشطة من القوى العاملة...".[٢٨]

بالإضافة إلى العمل في المشاريع الزراعية، يشارك السودانيون من ذوي الأصول النيجيرية في مختلف الأنشطة الاقتصادية الأخرى، منها الزراعة على ضفاف الأنهار. فيقوم المستقرون منهم على ضفاف النيل الأزرق (من سنار جنوباً إلى الحدود الأثيوبية) ونهر الرهد بإنتاج الفواكه والخضروات وقصب السكر والذرة الشامية والبطيخ والشمام، واليقطين (القرع) والشطة، إلخ. هذا إلى جانب تزويد المدن الكبرى في أماكن استقرارهم بحاجتها من الأسماك. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الهوسا هم أول من أدخل زراعة الأزر في منطقة كوستي وربك على النيل الأبيض.[٢٩]

لم تنقطع العلاقات التاريخية بين السودان ونيجيريا باحتلال قوى الاستعمار البريطانية للدولتين، رغم أن وقوع تشاد تحت الاستعمار الفرنسي ربما قد يكون يهدف إلى إعاقة هذه العلاقات والحيلولة دون تطورها. فقد بقيت الصلة بين نيجيريا والسودان متينة طيلة فترة الاستعمار، لا سيما في مجال التعليم الحديث. فعندما قرر أمير كنو الأسبق عبد الله بايرو فتح مدرسة العلوم العربية في كنو (لتدريب القضاة) تم استجلاب معظم معلميها من السودان.

(٢٨) P.F.M. McLoughlin (1964): *Language–Switching as an Index of Socialization in the Republic of the Sudan*. Berkeley-Los Angeles: Univ. of California Press, p. 56.

(٢٩) هذه المعلومة مبنية على نوع الأرز الذي يقوم الهوسا بإنتاجه في هذه المنطقة، وهو أرز ذو حبة مستديرة ويغلب عليه اللون الأصفر، ويباع محلياً بالمكيال (وليس بالميزان كما جرت العادة مع بقية الأنواع الأخرى من الأرز)، وقد شاهدت مثله في كثير من مناطق الهوسا في نيجيريا.

وفي خمسينات القرن الماضي تم ابتعاث مجموعة من الطلاب النيجيريين للدراسة بمعهد بخت الرضا، وقد لعبت هذه المجموعة فيما بعد أدواراً قيادية على المسرح الفكري والقضائي في شمال نيجيريا، ومن هؤلاء: القاضي نائبي والي سليمان والبروفسير أبو بكر بلاربي والمغفور لهما بإذن الله القاضي د. حسن غوازو والقاضي خضر بنجي.[٣٠] وفي الفترة من عام ١٩٦٠ إلى عام ١٩٧٠ كان هناك عدد كبير من الأكاديميين السودانيين يعملون بجامعة إبادان وجامعة أحمدو بيلو زاريا.[٣١] وفي تلك الفترة أوكل إلى العالم السوداني الشهير المرحوم البروفسير عبد الله الطيب مهمة فتح كلية عبد الله بايرو الجامعية (حالياً جامعة بايرو) بكنو، وكان أول مديراً لها. وفي منتصف السبعينات أيضاً تم تجنيد المئات من المعلمين السودانيين للعمل بالمدارس الثانوية في جميع أنحاء شمال ووسط نيجيريا.

ومن ناحية أخرى، كانت جامعة الخرطوم لفترة من الزمن تقدم منحاً دراسية للطلاب النيجيريين للدراسة بكلياتها المختلفة. كما كانت هناك اتفاقية بين جامعة الخرطوم وجامعة بايرو كنو يحضر بموجبها الطلاب النهائيون المتخصِّصون في اللغة العربية من جامعة بايرو لقضاء عام كامل بجامعة

(٣٠) أثناء دراسته ببخت الرضا تزوج خضر بنجي من امرأة من أصول نيجيرية بالدويم وأنجب معها بنتاً لحقت بوالدها فيما بعد وأكملت دراستها الجامعية بجامعة كنو وتم تعيينها أستاذة بهذه الجامعة. تزوجت من شخصية أكاديمية مرموقة ثم طرقت باب السياسة حتى أوصلها لمنصب وزيرة بحكومة ولاية صكتو. ومن نتائج هذه الزيجة أن توطدت العلاقة بين الأسرتين في نيجيريا والسودان.

(٣١) نذكر من هؤلاء: المرحوم البروفسير محمد أحمد الحاج، والمرحوم البروفسير أحمد محد كاني، والمرحوم الدكتور مجذوب سالم البر، والبروفسير عثمان سيد أحمد البيلي، والبروفسير عز الدين موسى، والدكتور محمد إبراهيم خليل. هذا على سبيل المثال لا الحصر.

الخرطوم. من المؤسف أن هذه الاتفاقية قد تجمَّدت منذ أكثر من عشرين عاماً، ولكن هناك اتفاقية أخرى بين جامعة بايرو وكلية (حالياً جامعة) الأحفاد الجامعية لتبادل أعضاء هيئة التدريس وطلاب الدراسات العليا، وهذه الاتفاقية ما زالت نشطة إلى اليوم.

إن أهم ما يميز هجرة الأكاديميين السودانيين إلى نيجيريا، دون هجرتهم إلى أي بلد آخر أن معظمهم في نيجيريا يسعى لرفع مستواه الأكاديمي أكثر من سعيه لجمع المال. وكثيراً ما تأخذهم الدهشة عندما يكتشفون أن نيجيريا تزخر بالمادة البحثية، وبالأخص في مجال الفكر العربي الإسلامي المتمثل في الأعمال الفكرية الثرة التي خلفها قادة وعلماء الخلافة الصكتية.[٣٢] فهناك الكثير منهم ممن غادر السودان يحمل درجة البكالريوس وعاد مؤهلاً بدرجة الماجستير أو الدكتوراه. هذا بالإضافة إلى الأكاديميين الذين خدموا لفترات طويلة بجامعة أحمدو بيلو وجامعة بايرو كنو وجامعة عثمان دان فوديو صكتو وجامعة ميدغري إلى أن ترقوا لدرجة الأستاذية، نذكر منهم البروفسير عثمان سيد أحمد البيلي، والبروفسير عز الدين موسى، والمرحوم البروفسير أحمد محمد كاني، والمرحوم البروفسير محمد أحمد الحاج. والآن يقدم الأحياء من هؤلاء الأساتذة وكثيرون غيرهم خدمات أكاديمية وفكرية مميزة بالجامعات والمعاهد العليا السودانية.

(٣٢) بلغ ما أمكن حصره من مؤلفات الشيخ عثمان بن فودي وشقيقه عبدالله وابنه محمد بلو والمنحدرين منهم باللغة العربية ما جملته ٧٢٣ عملاً ما بين قصيدة ومجلد ضخم. انظر:

J.O. Hunwick (1995): *Arabic Literature of Africa,* Vol. 2*: The Writings of Central Sudanic Africa*. Leiden: E.J. Brill.

تم في أوائل سبعينيات القرن الماضي إنشاء مؤسستين تعليميتين مهمتين في الخرطوم، هما المركز الإسلامي (حالياً جامعة إفريقيا العالمية) ومعهد الخرطوم لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها الذي أسسته منظمة "الأليكسو" (ALECSO) التابعة لجامعة الدول العربية. وقد أقيمتا بهدف تقديم خدمات تعليمية عامة للأقطار الإسلامية، وتدريس اللغة العربية لطلاب الدراسات العليا من مختلف أنحاء العالم على التوالي. وحيث أن المنح التعليمية توزع على أساس حجم السكان في الأقطار المستهدفة، فقد ظلت نيجيريا تحظى بنصيب الأسد من الفرص المتاحة باعتبارها أكبر البلاد الإفريقية من حيث عدد السكان. إلى وقت قريب كان الطلاب النيجيريون في الخرطوم لا يتجاوزون بضع مئات، وجميعهم يدرسون في الخرطوم الكبرى أو العاصمة المثلثة، والآن بعد التوسع في عدد الجامعات في السودان في السنوات الأخيرة ونشأة جامعات حكومية داخل الخرطوم وخارجها، فقد زاد عدد الطلاب النيجيريين في الجامعات السودانية ويكادون يحسبون بالآلاف. ومعظم هؤلاء الطلاب يدرسون في الخرطوم الكبرى، ولكن عدداً مقدراً منهم وجد طريقه في الجامعات الولائية – مثل كسلا، وشندي، وبخت الرضا، والدلنج، وسنار وغيرها. وبذلك أتيحت لهؤلاء الذين يدرسون خارج الخرطوم فرصة التعرف عن قرب على الثقافة السودانية والحياة الاجتماعية في مختلف أطراف السودان.

أما في مجال العلاقات التجارية في العصر الحديث، فقد ظلت تجارة الحدود بين السودان ونيجيريا عبر جمهورية تشاد مستمرة منذ عدة عقود، وإن كانت محدودة القدر، إذ لم يكن هناك سوى شبكتين تجاريتين عاملتين بانتظام حتى السنوات القليلة الماضية، قام بتأسيس الأولى الأخوان أحمد ومحمد نور عالم من مقرهما بالفاشر لتربط بين وادي النيل وشمال نيجيريا. أما الثانية

فقوامها نفر من التجار الهوسا السودانيين المقيمين بالأبيض، ويربط محورها بين الأبيض والجنينة وأبَّشي وميدغري. وقد ظلت هاتان الشبكتان نشطتين حتى خلال فترة الحرب الأهلية في تشاد. ففي وقت ما كانت الشاحنات تنحرف عن مسارها التقليدي فتمر عبر جمهورية إفريقيا الوسطي لتفادي الوقوع في أيدي العناصر المسلحة في تشاد، وفي أحايين أخرى يتفاوض التجار مع الفئات المتحاربة لتضمن لهم سلامة العبور نظير دعم مادي يلتزمون به نحو هذه الفئات.[٣٣] وعندما انتهت الحرب وعم سلام نسبي ربوع تشاد شهدت تجارة الحدود تطوراً جديداً تمثل في نشأة شبكة تجارية جديدة ثالثة يبدأ محورها من كوستي مروراً بالأبيض والجنينة وميدغري وينتهي في كنو.[٣٤] وقد أنشأها أيضاً شباب من أبناء الهوسا السودانيين المقيمين بالسوكي. وأهم البضائع التي تستورد من نيجيريا عبر هذا المحور، الجنزبيل والحلي الشعبية والمساحيق والمسوحات العقاقيرية والأحذية البلاستيكية. وتعتبر كوستي محطة تفريغ لهذه البضائع، ومنها يبدأ التوزيع إلى مختلف الجهات. لذلك كثيراً ما نجد في السنوات العشر الماضية البضائع النيجيرية معروضة للبيع في الأسواق الشعبية في كثير من مدن أواسط السودان الكبرى مثل الخرطوم وأم درمان وكوستى نفسها وسنار والقضارف وأقاليمها.

وفي الجانب الآخر تُشحن جلود الأبقار من الخرطوم ومناطق سودانية أخرى في دارفور وكردفان عن طريق البر عبر دولة تشاد إلى لاغوس، وأحياناً تُشحن

(٣٣) إفادة من آدم أبَّنتو بالأبيض (١٩٨٥)، أحد أفراد أسرة تمارس التجارة عبر هذه الشبكة.

(٣٤) إفادة من النيل عمر بمايرنو (٢٠٠٣)، أحد مؤسسي هذه الشبكة وما زال يمارس تجارته عبرها.

عن طريق البحر من ميناء بورتسودان مباشرة إلى لاغوس. وقد ظل الطريق البري فاعلاً حتى خريف عام ٢٠١٣، غير أن اتجاهه قد تغيَّر الآن ليمر عبر دولة النيجر تفادياً لدخول الأماكن التي تسيطر عليها جماعة "بوكو حرام".

وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى الفكرة النيِّرة التي تقدم بها قبل عدة أعوام سعادة وزير التجارة النيجيري الأسبق، المهندس مصطفى بيلو، بشأن إنشاء دور تسويق للبضائع السودانية والنيجيرية كل في الدولة الأخرى.[٣٥] وقد لقيت هذه الفكرة قبولاً وترحيباً من حكومتي البلدين. فإذا ما دخلت هذه الاتفاقية حيِّز التنفيذ فسوف تمثل ضربة البداية لتأطير التجارة بين البلدين، وقد يقود نجاحها إلى دفع العلاقات التجارية بينهما إلى مجالات أرحب، وتعود بالفائدة لمواطنيهما.

على أن الأخوين عثمان وإبراهيم الطيب يعتبران علمين بارزين للتجارة السودانية في كنو. فقد حلَّ الاثنان في أواخر الخمسينات تاجرين بكنو بحكم وجود عمهما الشيخ بشير الريح كبيراً لأساتذة مدرسة العلوم العربية في كنو. بمرور الزمن راجت أعمالهما التجارية وازدهرت إلى أن تمكنا من تأسيس أكبر مصنع للحلوى بغرب إفريقيا في ذلك الزمن، وهو "شركة نيكو للحلوى" الكائن في الحي الصناعي في كنو.[٣٦] وكان من قبيل الصدف أن تقلد ثلاثة من مديريها السودانيين مناصب وزارية في الحكومات المتعاقبة في السودان.

(٣٥) إفادة من سعادة السيد عمر هارون، الوزير المفوض بسفارة جمهورية نيجيريا بالخرطوم (٢٠٠٣).

(٣٦) عند زيارتي لمدينة كنو في يوليو الماضي (٢٠١٥) وجدت أن هذا المصنع قد أغلق أبوابه، ربما لعجزه عن مواكبة متطلبات السوق.

وقد لعب الأخوان عثمان وإبراهيم الطيب، بحكم إقامتهما الطويلة في نيجيريا، دوراً ملموساً في تعريف السودانيين (من غير الذين تتصل جذورهم بنيجيريا) بتلك البلاد.

إلى جانب أسرة هذين الأخوين كان هناك أيضاً أسرة المرحوم سيِّد شمو الذي كان – بالإضافة إلى محله التجاري – يدير استراحة للتجار السودانيين غير المقيمين ويقوم بالتنسيق بينهم وبين تجار الجملة النيجيريين.

في عام ١٩٧٧ قام الحاج عثمان الطيب بتشجيع شركة الخطوط الجوية السودانية بفتح مكتب في كنو وتسيير رحلات بين الخرطوم وإنجمينا وكنو وجدة. وبعد سنوات قليلة اكتسب هذا الخط رواجاً منقطع النظير وأصبح محبباً للحجاج والمعتمرين النيجيريين مما دعا الشركة لمضاعفة رحلاتها إلى كنو ومد خطها ليشمل نيامي (عاصمة جمهورية النيجر) أيضاً. وفي فترة ما كانت الخطوط الجوية السودانية هي شركة الطيران الوحيدة في العالم التي تُشرح داخل طائرتها إجراءات السلامة بلغة الهوسا في رحلاتها المتجهة إلى نيامي وكنو.[٣٧] بغض النظر عن الفوائد المادية، فقد ساعدت الرحلات المنتظمة لطائرة الخطوط الجوية السودانية إلى كنو في تقوية أواصر الصلة بين نيجيريا والسودان.

إن أحد الأشكال المختلفة للعلاقة بين البلدين يتمثل في تبادل الخبرات. فعندما بدأت نيجيريا التفكير في سبل إجراء إصلاح على نظامها القضائي في

(٣٧) كنت من قام بترجمة هذه الإجراءات إلى لغة الهوسا. من المؤسف أن استخدامها لم يدم طويلاً، ذلك لأن متحدثين بلغات نيجيرية أخرى طالبوا أيضاً باستخدام لغاتهم على قدم المساواة، وهو ما لا تستطيع الخطوط الجوية السودانية تحقيقه، فتقرر إيقاف تلك المحاولة نفسها.

أواخر سنوات الاستعمار لجأت إلى التجربة السودانية للاهتداء بها في الشئون المتعلقة بالمسائل الإسلامية. وكذلك عمل السودان على الاستفادة من التجربة النيجيرية في تطبيق النظام الفيدرالي. وعندما أوشك البترول الدخول في الاقتصاد السوداني قامت الحكومة السودانية بابتعاث لجنة إلى نيجيريا لدراسة الآثار السالبة التي يمكن أن يترتب عليها هذا الأمر من واقع التجربة النيجيرية.[٣٨] ومؤخراً عندما اختارت بعض الولايات في نيجيريا تطبيق الشريعة الإسلامية بدأت تنظر إلى السودان كأنموذج يقتدى به. وفي ديسمبر من عام ٢٠٠١ قامت ولاية كاتسينا بابتعاث مجموعة من القضاة برئاسة وزير العدل الولائي للوقوف على واقع التجربة السودانية وتلقي محاضرات في هذا المجال.[٣٩]

اليوم ينتشر المواطنون السودانيون من الأصول غرب الإفريقية – والغالبية العظمى منهم من ذوي الأصول النيجيرية – ينتشرون بأعداد تصل إلى الملايين في جميع أنحاء السودان، ولكنهم يتركزون بكثافة أكبر في منطقتين أو شريطين جغرافيين: يمتد الشريط الأول أفقياً من الغرب إلى الشرق عابراً وسط السودان من الجنينة على الحدود السودانية التشادية إلى بورتسودان على البحر الأحمر. أما الشريط الثاني فيمتد رأسياً من مدينة ود مدني في الجزيرة المروية جنوباً على ضفتي النيل الأزرق حتى الحدود الأثيوبية. تنتشر في هذين الشريطين أو

(٣٨) من المؤسف أن السودان لم يستفد إطلاقاً من التجربة النيجيرية في هذا الأمر، إذ كرر نفس الخطأ فركن إلى العائد السريع من مورد النفط وهجر الزراعة، بدلاً عن استخدام هذا المورد في تطوير الزراعة.

(٣٩) لقد تشرفت بتقديم محاضرة لهذه المجموعة حول العلاقات السودانية النيجيرية بتاريخ ٢٥ ديسمبر ٢٠٠١.

المنطقتين المئات من مستوطنات الفلاتة وقراهم، وبعض القرى تحمل أسماءً لقرى وبلدات في شمال نيجيريا؛ ومثال ذلك: مايرنو (Maiurno)، وداماتورو (Damaturu) التي سميت فيما بعد بـ"جلقني" (Jalgani)، وشيمولا (Shimola)، وسيفاوا (Sifawa)، وكاراي (Karaye)، وبونزا (Bunza)، وكاتورجي (Katurji)، وقوارزو (Gwarzo)، وكزاوري (Kazaure)، ورابا، ومللا (Malala)، وديوا (Dewa)، ويروا (Yarwa) . هذا إضافة إلى مسميات لأماكن كثيرة أخرى في نيجيريا وردت في أسماء أشخاص، على الطريقة النيجيرية القائمة على تعريف بعض الأشخاص بالمدن أو القرى التي ينحدرون منها. فلدينا في مايرنو وحدها، على سبيل المثال لا الحصر، أسماء مثل بيلو دكّو (Dukku)، وعبدالله قومبي (Gombe)، وبيا نافادا (Nafaɗa) وعشرات المسميات المشابهة.[٤٠] مثل هذه المسميات تعكس حجم ودرجة تجذر الثقافة الشمال نيجيرية في السودان. ومعظم الفلاتة الذين ينتشرون في المنطقتين أعلاه هم المنتسبون لمهاجرين قدموا إلى السودان في فترة ما ليست بعيدة تعود إلى بداية القرن الماضي. لذا فإن الكثيرين منهم لا زالوا يحتفظون بقدر من سماتهم الثقافية النيجيرية والتي تتجلى في العادات والتقاليد واللغة. ففي الإحصاء السكاني الأول الذي أجري عام ١٩٥٥ وردت لغتا الفلفلدي (الفولانية) والهوسا في قائمة اللغات السودانية السبع الكبرى من حيث عدد المتحدثين من بين نحو ٨٠ لغة تحتويها الخارطة اللغوية السودانية بعد انفصال الجنوب. غير أن هاتين اللغتين واللغة الكانورية

(٤٠) من الأسماء أيضاً: بوبا مي كنو (Kano)، ممن دان دورا (Daura)، صحابي نقورا (Na-Kaura)، بيلو درجية (Darajiya)، مي غوادابي (Gwadabe)، عمر غوبر (Gobir)، أبكر مي كاتورو (Katuru)، بيلو مي غندي (Gandi)، وصالح غواندو (Gwandu)، وصالح شانونو (Shanono). المكتوب بالحرف اللاتيني بين قوسين، أسماء أماكن معروفة في شمال نيجيريا.

قد تطورت في السودان تحت التأثير القوي للغة العربية من حيث المفردات أو الألفاظ المقترضة والأفكار التعبيرية، ومن ثم أصبحت درجة التفاهم المتبادل بين هذه اللغات في السودان ونظيراتها في نيجيريا تتقلص يوماً بعد يوم، وصارت لهذه اللغات في السودان صبغتها الخاصة المستمدة من التيار الرئيسي للثقافة السودانية (ثقافة وسط السودان) إضافة لثقافات الأقاليم المختلفة في السودان التي توجد فيها؛ وهذا ما دعانا إلى الحديث عن "الفولانية السودانية" و"الهوسا السودانية".[٤١] تجدر الإشارة إلى أن غالبية السودانيين من الأصول الفولانية والهوساوية والكانورية يستخدمون اللغة العربية لغةً ثانية – والآن يتوجهون إلى التحول اللغوي الكامل إلى اللغة العربية، خاصة النشء الذين شبوا في المناطق الحضرية.

يمكن تناول العلاقات الثقافية بين السودان ونيجيريا من ثلاث زوايا:

(أ) تكيُّف الثقافة التقليدية للفولاني أو الهوسا مع التيار الرئيسي للثقافة السودانية (وسط السودان) والتي انبنت في قواعدها على الإرث العربي الإسلامي.

(ب) تكيُّف العناصر الثقافية النيجيرية مع الثقافة السودانية بصورة عامة.

(ج) تكيُّف عناصر الثقافة السودانية مع الثقافة النيجيرية.

بالنسبة للسودانيين ذوي الجذور النيجيرية، إن درجة التكيُّف مع التيار الرئيسي للثقافة السودانية تعتمد على درجة التأثير الحضري على المجموعتين المعنيتين (الفولاني والهوسا) من ناحية، ومن ناحية أخرى على درجة الرغد

(٤١) انظر A. Abu-Manga (1986): *Fulfulde in the Sudan: Process of Adaptation to Arabic*. Berlin: D. Reimer; and A. Abu-Manga (1999), *op.cit*.

الاقتصادي ومستوى التعليم والوعي للأسر المختلفة داخل نفس المجموعة الاجتماعية. وبصورة عامة يمكن القول بأن الممارسات الثقافية وسط السودانيين من ذوي الجذور النيجيرية هي هجين يجمع بين التقاليد الفولانية والهوساوية من جهة، وبين تقاليد التيار الرئيسي للثقافة السودانية من جهة أخرى، مع تفاوت في حجم تأثير التيار الرئيسي للثقافة السودانية وسط هاتين المجموعتين من مكان إلى آخر، كما أسلفنا. ففي مايرنو مثلاً نجد أن مكوِّن الثقافة السودانية الرئيسية أكبر بكثير مما هو عليه الحال في القرى البعيدة التي تقع جنوباً على ضفتي النيل الأزرق، وفي مايرنو نفسها يتباين هذا المكوِّن وفقاً للمتغيرات المحددِّة لدرجة التكيُّف والمشار إليها أعلاه (أي الرغد الاقتصادي ومستوى التعليم والوعي). ويظهر ذلك في بعض المظاهر في المآتم، حيث نجد الناس في مأتم ما يجلسون أرضاً على الأبسطة أو البروش المفروشة وتقدَّم للمعزين وجبات عادية، غالباً ما يأتي بها الجيران من منازلهم، وفي اليوم الأخير قد يذبح حمل أو خروف للصدقة على الميت. هذا، في حين أننا نجد الناس في مأتم آخر يجلسون على الكراسي ويُقدم لهم الطعام الفاخر الذي يقوم بإعداده طباخون متخصصون في إقامة الولائم، بالأخص في اليوم الأخير.

تعتبر عادات الزواج عند السودانيين من ذوي الجذور النيجيرية الأسرع في التحول نحو عادات زواج المجموعات العربية بوسط السودان. فمنذ أربعينات القرن الماضي بدأت بعض مظاهر تقاليد الزواج عند المجتمعات العربية المحلية تجد طريقها إلى مراسم الزواج لدى قبائل الفولاني والهوسا في وسط السودان. على سبيل المثال، في مراسم عقد القران في نيجيريا يأتي أهل العريس بجوال صغير مملوء بنواة "القورو" (الكولا) يقسم في ثلاثة أكوام، كوم للحضور، وكوم للنساء داخل البيت، ويرجع أهل العريس بالكوم الثالث لتوزيعه على من

لم يستطع الحضور. ولكن بما أن "القورو" غير متوفر في السودان، فقد قام الفولانيون والهوسا في السودان باستخدام البلح (غير مغسول) والفول السوداني (بقشرته) لهذا الغرض، ويتم تقسيمه بنفس الطريقة أعلاه. ومؤخراً أخذ أهل العروس يقدمون للضيوف (أهل العريس) بلحاً مغسولاً ومطعَّماً بالسمسم، وبعض الخبائز فور وصولهم، ثم يوزع البلح والفول التقليديين بعد إكمال مراسم العقد. فيمكننا هنا ملاحظة تداخل عادات من ثقافتين مختلفتين؛ فالبلح الذي يأتي به أهل العريس بلح "طقسي" (مفرد طقوس) تقليدي يقوم مقام "القورو" في عقد القران، في حين أن تقديم ذلك المغسول المطعَّم بالسمسم تقليد اجتماعي عصري مكتسب محلياً؛ وهذا ما أعنيه بالـ"الممارسات الهجين". ومن العادات الأخرى المكتسبة محلياً ومنذ زمن طويل، حنة العريس والضريرة والحريرة وحمل السيف والسوط (العنج)، وهى عادات سودانية صرفة لا تعرفها نيجيريا. وهناك أيضاً عادة الختة للعريس، كما الحال في وسط السودان، ولكن الاختلاف في أن الختة عند الفولانيين والهوسا في السودان تعلن بصوت عالٍ للحضور بواسطة أشخاص متخصصين في هذا الأمر نظير جعل غير محدَّدٍ. غير أنه في السنوات الأخيرة أصبحت عادة الزواج موحَّدة في كل أنحاء وسط السودان، حيث تجمع بين العادات السودانية وبين العادات الوافدة من مصر وحتى من أوروبا، وصار يتأثر بهذا المزيج من العادات كل سكان المنطقة في الوسط (وربما في أماكن كثيرة أخرى في السودان). وصارت فترة الزواج مختصرة في ثلاثة أيام (في الماضي كانت سبعة أيام في مايرنو). وهذه الثلاثة أيام هي يوم حنة العروس، ويوم حنة العريس ويوم الدخلة أو اليوم الرئيسي للزواج، وهو نفس يوم عزومة العريس في الغالب. وفي اليوم التالي يغادر العروسان إلى أي مكان لقضاء شهر العسل. لقد أخذت مجتمعات الفولاني والهوسا في السودان بكل ما

تقدم ذكره من عادات، ولكن بدرجات متفاوتة وفقاً للمتغيرات آنفة الذكر فيما يتصل بعملية "التكيُّف".

ومن الاتجاه الآخر، هنالك عناصر ثقافية من أصول غرب أفريقيا تم تكييفها واستيعابها تماماً في الثقافة السودانية، نذكر منها على سبيل المثال "الكيتا" و"الأقاشي".

حتى سبعينات القرن الماضي كانت الكيتا (القيتا) في مايرنو تقوم بنفس الدور الذي اعتادت أن تلعبه في شمال نيجيريا، وهو مدح العائلة المالكة والأثرياء ووجهاء المجتمع. وبالمقابل يتلقى عازفو الكيتا أو المداح هدايا نقدية ونوعية من هؤلاء الأشخاص. وقد كانت الكيتا ترافق موكب سلطان مايرنو في طريق العودة من ساحة صلاة العيد إلى قصره، وكذلك كانت تُعزف أمام قصره صباح كل جمعة. وهذا النوع من الكيتا وتقاليدها نابع من الثقافة الهوساوية.[٤٢] ولكن إلى جانب هذه الكيتا "الهوساوية"، توجد فرق متخصصة لعزف الكيتا تعود تقاليدها إلى الثقافة البرناوية (البرنو)؛ فهذه تدعى لإحياء حفلات الزواج والمناسبات الاجتماعية الأخرى، ويتلقى العازفون عطاياهم من الجمهور المستمتع بأدائهم، إضافة إلى ما يصلهم من صاحب المناسبة. ويكثر استخدام الكيتا البرناوية في المناسبات التي تقام في قرى الفلاتة (الفولانيين) المهاجرين من بلاد برنو، لعل أهمها بلدة جلقني الواقعة على الضفة الغربية للنيل الأزرق في منتصف المسافة بين مدينتي سنجة والدمازين.

(٤٢) لقد انقرض هذا النوع من "الكيتا" لوفاة كل عازفيها (أفراد أسرتين تنحدران من بكورا بإقليم زنفرا – شمال نيجيريا) دون أن يورثوها لأبنائهم.

أما في الخرطوم ومدن سودانية أخرى فقد صارت الكيتا تلعب دوراً مختلفاً عن ما كانت تلعبه في مايرنو، حيث أصبحت من أدوات الاستنفار الجماهيري، وتعزف في المناسبات الوطنية لبث روح الحماس وسط الجماهير، كما تعزف في المناسبات السارة ذات الطابع القومي للتعبير عن الفرح – على سبيل المثال عند استقبال الفرق الرياضية المنتصرة العائدة من خارج البلاد بالكؤوس؛ فتصاحب الكيتا هذه الفرق بجماهيرها من المطار حتى أنديتها أو أماكن الاحتفال. وكذلك تستخدم لجذب الرواد في الليالي السياسية، وتصاحب مواكب احتفالات تخريج طلاب الجامعات، كما تستخدم في رفع الروح المعنوية لدى الجنود والمجاهدين عند توجههم إلى ساحات الفداء، إذ أثبت عازفو الكيتا براعة فائقة في أداء موسيقى ما يعرف في أدبيات ثورة الإنقاذ بـ"الجلالات". فعليه يمكن القول بأن هذه الأداة الثقافية الوافدة من نيجيريا قد تكيَّفت واستوعبت تماماً في الثقافة السودانية.

أما بالنسبة لـ"أقاشي"، فإن هذه الكلمة، والتي هي أصلاً من لغة الهوسا، قد أصبحت جزءاً من القاموس العربي السوداني. ففي الماضي كانت هذه الكلمة ومدلولها محصورين في الأماكن التي يقطن فيها الهوسا في الخرطوم والمدن الأخرى. وفي هذه الأماكن كان – ولا زال – "الأقاشي" يُعدُّ ويباع بنفس الطريقة كما في نيجيريا. ولكن رويداً رويداً بدأ هذا النوع من الشواء ينتشر خارج نطاق تجمعات الهوسا، وأصبح معروفاً ومستحباً لدى الكثير من المستهلكين. ثم حدثت فيه قفزة كبيرة، خاصة في الخرطوم، حيث فُتحت مراكز راقية لصنع وبيع الأقاشي بلافتاتها المضيئة الجذابة، ومن هذه اللافتات ما يحمل عنواناً مثل "ملك الأقاشي" أو "٢٤ ساعة أقاشي"، ويباع فيها إما صافياً أو في شكل وجبات سريعة "سندوتشات". وفي قفزة أخرى بدأ يسجل حضوراً ملموساً في

بعض المناسبات الرسمية. ففي مثل هذه المناسبات يستأجر صانع الأقاشي ويأتي بكل معدات شوائه ولوازمه إلى مكان المناسبة، فيعده ويوضع مع بقية الأطباق، ولعله الطبق الوحيد الذي قلَّ أن يبقى منه شيء.

وهناك وجه آخر من أوجه التقارب الثقافي بين السودان ونيجيريا يتجلى في الموسيقى. فللموسيقى والأغاني السودانية جمهور كبير من المستمعين في شمال نيجيريا، وتباع الأشرطة والأقراص المدمجة وغيرها والتي سجلت عليها الموسيقى والأغاني السودانية، بصورة واسعة في الكثير من المدن النيجيرية، بالأخص مدينة ميدغري في ولاية برنو (المتاخمة لدولة تشاد).

لقد ظلت فرق الغناء السودانية لسنوات طويلة خلت تزور نيجيريا استجابة لدعوات لإحياء حفلات غنائية في المناسبات العامة كالأعياد القومية والخاصة كحفلات زواج أبناء وبنات الذوات. هذه العلاقة العميقة بين الشعبين في حقل الموسيقى نجمت عنها ظاهرة جديدة متمثلة في ظهور فرقة للمدح والإنشاد الديني في نيجيريا على نسق "فرقة الصحوة" في السودان. هذه الفرقة النيجيرية التي تخصصت في مدح النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) تقلِّد نظيرتها السودانية في الأزياء (عراقي وسروال وصديري) والآلات الموسيقية، ويتألف أعضاؤها أيضاً من الشباب – والاختلاف فقط في اللسان، حيث ينشد هؤلاء بلغة الهوسا.

تأخذ الطرق الصوفية موقعاً مهماً في تاريخ العلاقات السودانية النيجيرية. والطرق الصوفية، كما لاحظ البروفسير يوسف فضل حسن، في طبيعتها تشكل عنصراً للتواصل لا يعرف فوارق قبلية ولا حدود جغرافية أو سياسية.[٤٢]

(٤٣) Y.F. Hasan, *op.cit*. p. 184.

والطريقة القادرية رغم أن منشأها العراق، إلا أنها وجدت طريقاً سهلاً إلى غرب إفريقيا منذ وقت مبكر. وقد حظيت بدفعة قوية خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر في رقعة واسعة من الخلافة الصكتية باعتبارها طريقة الفوديين. وكذلك تعتبر من أولى الطرق التي عرفتها الدوائر المتصوفة في السودان، كما هو مبيَّن في طبقات ود ضيف الله، وقد لعبت هذه الدوائر دوراً فاعلاً في تنظيم الحياة الاجتماعية والسياسية في عهد سلطنة الفونج. أما الطريقة التجانية فقد نشأت في شمال إفريقيا وانتشرت بسرعة فائقة في قلب إفريقيا، بالأخص نيجيريا وتشاد. ورغم أنها وصلت دارفور وكردفان منذ وقت مبكر عبر سادتها القادمين رأساً من شمال إفريقيا، إلا أن للمهاجرين من نيجيريا وأجزاء أخرى من غرب إفريقيا من أمثال إبراهيم قمبو والفا هاشم، إسهاماً مقدراً في سعة انتشارها في وسط وشرق السودان. ورغم الخلافات المنهجية القائمة بين أتباع هذه الطريقة، وبالأخص في ما يتعلق بـ "منهج التربية"، إلا أن واقع الحال يقول إنهم في السودان أكثر نظاماً وترابطاً مع إخوانهم في تشاد ونيجيريا وشمال إفريقيا. فمن الخرطوم عبر الفاشر والجنينة وأبشي (في تشاد) وميدغري وكنو (في نيجيريا) وكولخ (في السنغال) وعين ماضي (مسقط راس الشيخ أحمد التجاني) كلها محطات ترتبط بعضها ببعض بمختلف أنماط وشائج الأخوة في الطريقة، و"المقدَّمون" وأتباعهم في كل هذه المحطات على معرفة قوية وصلة دائمة بعضهم ببعض. وخير مثال لذلك ما هو قائم من ودٍّ ومحبة بين مركز الطريقة في ميدغري بنيجيريا تحت شياخة الشريف إبراهيم صالح النووي وبقية المراكز في مختلف أنحاء السودان.

وفي بداية الثمانينات من القرن الماضي بدأت محاولات من قبل أتباع الطريقة القادرية لإقامة محور يربط بين بغداد والشكينيبة وصكتو، يوازي محور

الخرطوم – ميدغري – عين ماضي لدى أتباع الطريقة التجانية. وقد قام في إطار هذه المساعي شخص سوداني يدعى عبد العزيز بعدة رحلات ماكوكية بين الشكينيبة وصكتو، وفي رحلتين منها إلى صكتو أصطحب معه شخصين قياديين من أحفاد الشيخ عثمان بن فودي، هما سلطان مايرنو وابن عم له.[٤٤] فرغم أن هذا المحور لم تتبلور معالمه بعد، إلا أن هناك وشائج وروابط قوية تقوم بين مريدي الطريقة السمانية (متفرعة من الطريقة القادرية) من آل الشيخ قريب الله في أم درمان وبين جماعة المرحوم الشيخ ناصر كبرا، الشيخ السابق للسجادة القادرية في كنو؛ فقد أخذ الأخير الطريقة السمانية القادرية من المرحوم الشيخ قريب الله. وقد ظلت الأسرتان وأتباعهم منذ عقود في تواصل منتظم وتبادل للزيارات واحتفاء ببعضهم البعض في توادد واحترام. وفي عام (٢٠١٥) منحت جامعة أم درمان الإسلامية درجة الدكتوراة الفخرية للشيخ قريب الله بن الشيخ ناصر كبرا، الشيخ الحالي للطريقة القادرية السمانية في نيجيريا.

إن التطور الكبير الذي طرأ على سبل الاتصال بين السودان ونيجيريا في الآونة الأخيرة قاد إلى إحياء الصلة بين الأسرتين الحاكمتين في صكتو (بنيجيريا) ومايرنو (السودان)، علماً بأن كلتيهما من أحفاد الشيخ عثمان بن فودي. ففي عام ١٩٩٩ وُجِّهت دعوة من قبل أمير المؤمنين السابق في صكتو لسلطان مايرنو وثلاثة من أعوانه. وقد قدمت الدعوة عبر القنوات الرسمية وتمت تحت إشراف مجلس الصداقة الشعبية العالمية بالخرطوم. وقد كان برنامج تلك الزيارة حافلاً على المستويين الرسمي والشعبي، ومكَّنت سلطان

(٤٤) كان ذلك في العامين ١٩٨٧ و١٩٨٢ وكنت حينها أعمل بجامعة بايرو – كنو، وقد توقفنا عندي قبل مواصلة الرحلة إلى صكتو.

مايرنو من الوقوف على كثير من المعالم التاريخية المرتبطة بحركة الجهاد الصكتية، والقباب والأضرحة التي يرقد فيها أسلافه، وهجرة أجداده من صكتو إلى السودان. وفي المقابل وُجِّهت دعوة مماثلة من سلطان مايرنو إلى أمير المؤمنين في صكتو، إلا أن المنية وافت أمير المؤمنين في حادث سقوط طائرته قبل أن يتمكن من تلبيتها. وقد وعد أمير المؤمنين الحالي، محمد سعد، بتحقيق أمنية شقيقه المرحوم وزيارة السودان متى ما أتاحت الظروف.

على أن مشروع إحياء طريق الحج عبر السودان يمثل أعظم مبادرة لخدمة التقارب بين البلدين قدمت خلال الخمسين عاماً الماضية. جاءت هذه المبادرة من بعض الشباب النيجيري المسلم النشط في عام ١٩٩٥، وقد تمكن نفر من هؤلاء الشباب من القيام برحلة تجريبية، أدوا فيها فريضة الحج وعادوا إلى بلادهم سالمين. وسوف تبدو تباشير هذا المشروع أكثر وضوحاً عندما يقترن طريق الإنقاذ الغربي مع طريق بورتسودان. وبما أن جمهورية تشاد قد دخلت في عداد الدول المصدرة للبترول، فمن المتوقع أن يكون المضي قدماً بهذا الطريق إلى الحدود النيجيرية من أولى أولوياتها التنموية. فيمكن في هذه الحالة التحدث عن طريق بري يربط بين لاغوس على المحيط الأطلسي وبورتسودان على البحر الأحمر، وبالتالي تدخل العلاقات السودانية النيجيرية مرحلة جديدة حبلى بالخيرات لمواطني البلدين. لنتخيل أنواع وأحجام الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية التكاملية التي يمكن أن تتمخض عن تنفيذ هذا الطريق. ومعلوم أن حكومات السودان وتشاد ونيجيريا مدركة لأهمية هذا الطريق وبدأت بعض الخطوات في بلورة الفكرة على أرض الواقع.

نود في الختام أن نشير إلى نمط جديد للحضور النيجيري في السودان أخذ يطل برأسه منذ حوالي خمسة أعوام تقريباً، مرتبطاً بظهور البترول

ومشكلة دارفور والرياضة. ففي إطار اقتصاديات البترول في السودان حصلت "شركة إكسبريس للبترول والغاز" (Express Company for Petroleum and Gas) النيجيرية على امتياز التنقيب عن البترول والغاز في منطقة البحر الأحمر، مما نتج عنه قدوم موظفين ورجال أعمال نيجيريين يعملون جنباً إلى جنب مع رصفائهم السودانيين، ويسكنون في أحياء الرياض والطائف والمعمورة، ويتداخلون مع جيرانهم على مستوى الأسر. أما علاقة مشكلة دارفور بنيجيريا فهي ذات شقين: يتمثل الشق الأول في قوات الاتحاد الإفريقي لحفظ السلام، والتي تسيطر عليها العناصر النيجيرية إدارةً وقيادةً وجنوداً، بينما يتمثل الشق الثاني في الفترات الطويلة التي قضتها الوفود المفاوضة في أبوجا، مما أتاح فرصة لمزيد من التعارف والتآلف بين الساسة السودانيين والنيجيريين. أما في مجال الرياضة، فقد أثبت لاعبو كرة القدم النيجيريون المحترفون جدارة في الانسجام والتناغم مع رصفائهم السودانيين، وذلك بحكم تجانس البيئة والثقافة في البلدين، مما رفع مستوى الكرة السودانية على الصعيدين المحلي والإقليمي.

لقد أشرت إلى هذا النمط من العلاقة بين السودان ونيجيريا بـ"الجديد"، ذلك لأن كل ما سبق ذكره كان يتعلق بالعلاقة بين السودان وأقاليم شمال نيجيريا المسلم. أما مشكلة دارفور والرياضة فقد فتحا باباً جديداً للعلاقة بين السودان وأقاليم جنوب نيجيريا المسيحي. وبذا تكون الحلقة قد اكتملت بما يسمح بتطوير العلاقات بين البلدين على مستوىً أشمل. عليه، فإذا قدِّر في أي وقت قيام تكتل إقليمي لبلاد السودان القديم (من السنغال إلى البحر الأحمر)، من الأرجح أن تكون نقطة الانطلاق من محورٍ ينشأ أولاً يضم السودان وتشاد ونيجيريا.

التسويات السياسية بين شمال وجنوب السودان وأثرها على الاستقلال ١٩٥٦م

هويدا صلاح الدين العتباني

مستخلص: ظلت مشكلة جنوب السودان من أعقد المشكلات التي واجهها السودان، ولم تنجح التسويات التي كانت تجرى من وقت إلى آخر في إنهاء الصراع بين الشمال والجنوب. ورغم التنازل الذي أبداه الاستعمار البريطاني سواء في قبول سياسة الوحدة بين الشمال والجنوب التي استند فيها على مقررات مؤتمر جوبا ١٩٤٧، أو منح السودان استقلاله، إلا أن الحركة الوطنية في الشمال انشغلت بالاستقلال و تقسيم السلطة والوظائف وتجاهلت مطلوبات الجنوبيين سواء في إطار التنمية، أو السودنة للوظائف القيادية، أو الاستجابة لمطلب الفدرالية، كما عمل التبشير المسيحي على توسيع حلقة الفجوة والجفوة في العلاقة، الأمر الذي قاد الجنوبيين في نهاية الأمر إلى الوقوف ضد الدستور.

Abstract: The problem of South Sudan was one of the most complex problems that faced Sudan. The political attempts made from time to time did not succeed to end the North-south conflict. Despite the concession given by the British colonial authority to accept the policy of unity between North and South Sudan (based on the resolution of Juba Conference 1947) or to grant Sudan its independence, the national movement in northern Sudan occupied itself with the independence, power sharing and Sudanization of positions; it thus ignored the demands of the Southerners regarding development, their share in the leadership positions and federalism. This increased the gap of distrust between the Northern and the Southern politicians and made them latter to stand against the constitution.

كلمات مفتاحية: التبشير المسيحي، السودنة، الجمعية التشريعية، الجنوبيين، الفيدرالية.

مقدمة

بنهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م، بدأ تشكيل المعسكرين الغربي بقيادة الولايات المتحدة والشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي، وخرجت بريطانيا – وهي الإمبراطورية التي كانت لا تغرب عنها الشمس – من معادلة القيادة السياسية في العالم، وانحصر دورها كحليف للمعسكر الغربي. وتميزت الحقبة

بين عامي ١٩٤٥ و١٩٥٥ بأنها حقبة انتقالية لترسيخ شعارات الاستقلال وتقرير المصير في معظم الدول المستعمَرة في العالم الثالث.

شهدت هذه الفترة في السودان بروز الحركات الوطنية والانتفاضات الشعبية، والتي ما فتئت تطالب بحقها المصيري من الانفكاك من القبضة الاستعمارية. وكان لابد لبريطانيا في ظل تلك الظروف والمستجدات أن تستجيب لضغوط الحركة الوطنية في السودان في دعوتها للاستقلال، مع وضع اعتبار للدور المحوري الذي لعبته قوات دفاع السودان في حروب الإمبراطورية شرق و شمال إرتريا.

وقد جاءت الاستجابة بعد فشل ما عرف باسم "سياسة الجنوب"،[١] ولعل تلك الاستجابة لمطلب الاستقلال قد سبقته عدد من المواقف السياسية، والتي ارتبطت من جهة بثلة من المتغيرات الخارجية، ومن جهة أخرى بالنمط السائد الذي تتبعه الحكومة.

أحداث ومواقف تاريخية في الفترة بين ١٩٤٥-١٩٥٥م

ليس من شك في أن تغييراً جذرياً طرأ على السياسة البريطانية تجاه الجنوب، وذلك بعد موافقتها على مسألة التمازج والاختلاط بين شمال السودان وجنوبه. ولعل ما جرى من تغيير قد حدث نتاجاً للمتغيرات الخارجية والتي بدأت ملامحها تتضح في العالم بنهاية الحرب العالمية الثانية وبداية تطبيق سياسة الحرب الباردة.

(١) أطلق مصطلح "سياسة الجنوب" على مجموعة الإجراءات التي فرضها الاستعمار البريطاني للفصل بين شمال وجنوب السودان سياسياً واجتماعياً.

ولعل السياسة الجديدة المتمثلة في الربط بين شمال وجنوب السودان لم تكن الخيار الأمثل بالنسبة للإدارة البريطانية، ولكنها أخف ضرراً من سابقاتها (سياسة الجنوب)، وهذا على حد تعبير السكرتير الإداري جيمس روبرتسون (James Robertson): "إن السياسة الجديدة لا تعدو أن تكون أحد بديلين ينطوي كلاهما على تصور معيب، لكن نعتقد صادقين أن السياسة الجديدة أخف ضرراً من سابقتها".(٢) وهذا ما أكده السفير البريطاني من أن بريطانيا تريد توحيد السودان لكن لن تتحقق هذه الوحدة إلا عن طريق القضاء على مخاوف الجنوبيين واستعادة ثقتهم في الشماليين.(٣)

بعبارة أخرى، رغم اقتناع بريطانيا بسياسة الوحدة بين الشمال والجنوب إلا أنها أرادت أن تستشعر مسؤوليتها لدى جنوب السودان وتضمن حمايته حتى لا يكون ضحية للشمال. وهكذا اعتبرت بريطانيا السياسة الجديدة في إطار السودان الموحد سياسة معيبة، وهذا ما جعلها تبرر تصرفها إزاء هذه السياسة بأنها متخوفة أن يصبح الجنوب فريسة لا حول له ولا قوة، يرزح تحت قوى شمالية أكثر استنارة منه.(٤)

وعلى ذلك فإن أهم السياسات والأحداث التي شهدت أعتى الخلافات السياسية بين شمال وجنوب السودان قبل نيل السودان لاستقلاله، وحسب

(٢) محمد عمر بشير (١٩٨٣): مشكلة جنوب السودان خلفية النزاع من الحرب الداخلية إلى السلام، دار الجيل، بيروت، دار المامون، الخرطوم، ص ١٣٩.

(٣) فيصل عبدالرحمن علي طه (٢٠٠٤): الحركة السياسية السودانية: الصراع المصري البريطاني بشأن السودان ١٩٣٦-١٩٥٣، مركز عبدالكريم ميرغني، أم درمان، ص ٦١٧.

(٤) محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ١٣٩.

التسلسل التاريخي تتمثل في الآتي:

- سياسة التبشير المسيحي.
- انعقاد مؤتمر جوبا ١٩٤٧.
- الحكم الذاتي والجمعية التشريعية ١٩٤٨م.
- تجاوز الجنوبيين في اجتماع القاهرة ١٩٥٢م.
- الخلاف بين الأحزاب الشمالية.
- لجنة السودنة ١٩٥٤.
- المطالبة بالفيدرالية

أولاً: سياسة التبشير المسيحي

يعتبر التبشير المسيحي من أهم الأدوات التي استغلها الاستعمار الأوربي لتنفيذ سياسته وتحقيق مصالحه السياسية والاجتماعية، لا سيما وأنه أصبح يمثل جزءاً من إستراتيجية عامة تسعى لتشكيل الهوية في جنوب السودان. ولذا كان من الطبيعي أن تطلق الإدارة البريطانية العنان للتبشير المسيحي ليسيطر على الخدمات الصحية والتعليمية في الجنوب. لقد وجدت مؤسسات التبشير المسيحي الفرصة مواتية لتحقيق أغراضها ومصالحها وإلى درجة أنها أصبحت تتنافس فيما بينها لنيل فرصة للتبشير في جنوب السودان. وقد وجدت تلك المؤسسات التربة والمناخ ملائمين في ظل انتشار المرض والجهل والتخلف بين القبائل والمجموعات التي تؤمن بالمعتقدات الإفريقية التقليدية. وعلى ذلك مارس التبشير المسيحي سياسته، فكان له أهداف سامية معلنة تتمثل في القضاء على المرض والأمية والجهل، بينما هناك أهداف تحريضية غير

معلنة تسعى للفرقة والشتات بين الجنوب والشمال. ومن هنا تمكنت المؤسسات والإرساليات المسيحية من بث رسالتها عبر الآتي:

١- نشر الثقافة الغربية التي ترسخ للسلوك المتحرر، وبالتالي القضاء على العادات والتقاليد المحلية والموروثة، مما يقوي علاقة الجنوبيين بالغرب أكثر من علاقتهم بالشمال.

٢- نشر وتدريس اللغة الإنجليزية لتصبح أداة تفاهم بدلاً من اللغة العربية التي تربط الجنوبيين بشمال السودان، وبذلك يتاح للإرساليات فرصة أكبر في الجنوب من الفرصة الممنوحة للدعوة للإسلام. ويتوافق ذلك مع ما ذكره كرومر أن التعليم يمكن من بث مباديء التفكير السليم وطاعة السلطان.(٥)

٣- التكريس لبعض الأفكار التي تحرض الجنوبيين ضد الشمال، كالإيعاز لهم بأن الشماليين يعتبرونهم "همجاً وعبيداً وعراة"،(٦) ومن ثم تجريد بعض الأفكار والممارسات من سياقاتها الزمانية والمكانية، لتصبح مفهوما عاماً سائداً وملازماً لأفكار الجنوبيين التي يواجهون بها الشماليين كلما وجدوا الفرصة سانحة لذلك.

ثانياً: انعقاد مؤتمر جوبا ١٩٤٧

انعقد "مؤتمر جوبا" في يومي ١٢ و١٣ يونيو ١٩٤٧ شارك فيه ٢٨ من البريطانيين والشماليين والجنوبيين، وقد ترأسه السكرتير الإداري السير

(٥) مدثر عبدالرحيم (١٩٧٢): مشكلة جنوب السودان..طبيعتها وتطورها وأثر السياسة البريطانية في تكوينها، الدار السودانية ، الخرطوم، ص ٣٦.

(٦) Oliver Albino (1970): *The Sudan: A South Viewpoint*. London: Oxford University Press, p. 10.

جيمس روبرتسون، وكان الهدف من المؤتمر معرفة وجهة نظر الجنوبيين حيال تمثيلهم في الجمعية التشريعية المقترحة للسودان كله، وبعبارة أخرى معرفة رأيهم من توحيد الشمال والجنوب. وفي حالة عدم الموافقة على الجمعية التشريعية فالخيار المطروح سيكون تكوين مجلس استشاري خاص بالجنوبيين مثل المجلس الذي أنشئ لشمال السودان عام١٩٤٤م.[٧] وبذلك يظل الجنوبيون يتدربون على يد البريطانيين حتى يبلغوا درجة الوعي التي تؤهلهم للمشاركة في إطار السودان الموحد.[٨] أي بعبارة أخرى أن تتوفر لدى الجنوبيين أسباب المساواة في المواطنة قبل تحقق الوحدة المرجوة مستقبلاً.[٩]

و لما كان البريطانيون غير متحمسين لفكرة السودان الواحد، فقد وافق الجنوبيون في اليوم الأول من المؤتمر أن يكون لهم مجلسهم الاستشاري الخاص، على أن يرسلوا مندوبين إلى المجلس التشريعي في الشمال.[١٠] لكن اليوم الثاني شهد تحولاً استراتيجياً؛ فقد بذل القاضي محمد صالح الشنقيطي، و كان يتمتع بقدرة عالية على الإقناع، جهداً في تغيير رأي الجنوبيين، حيث أقنع السلاطين والسياسيين الجنوبيين بعدم تضييع فرصة الالتحاق مستقبلاً مع

(٧) تقرير لجنة التحقيق الإداري في حوادث الجنوب ١٩٥٥، ص ١٨.

(٨) محجوب محمد صالح (٢٠٠٦): أضواء على مشكلة جنوب السودان من مؤتمر جوبا إلى اتفاقية السلام الشامل ، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أم درمان الأهلية، ص ١٣.

(٩) شبه السلطان لادو لوليك الذي اشتهر بالحكمة، العلاقة بين شمال وجنوب السودان بعلاقة شاب وشابة يعتزمان الزواج، فلابد أن يمهلا نفسيهما فترة اختبار؛ فالعجلة تؤدي للشقاء، وربما الانفصال والطلاق. أبيل ألير، مرجع سابق، ص ٢٠.

(١٠) تقرير لجنة التحقيق الاداري في حوادث الجنوب ١٩٥٥، مصدر سابق ، ص ١٨.

شمال السودان، وأن أفضلية ذلك تتجلي في المساواة في الأجور وملء الوظائف الإدارية الجديدة.[١١] وعلى ذلك أعلن كلمنت مبورو، وهو أحد قدماء الإداريين الجنوبيين، في اليوم الثاني رأي الجنوبيين في تفضيلهم الاشتراك مع الشماليين في مجلس واحد، هو الجمعية التشريعية، وأيده في ذلك جيمس طمبرة وحسن فرتاك.[١٢]

ورغم أن المؤتمر لم يخرج بقرارات، إلا أنه تمخض بأفكار أهمها أن الوحدة السياسية بين الشمال والجنوب ضرورة لابد منها. ولكن مع ذلك كانت هناك مخاوف لدى الجنوبيين من مدى صدق الشماليين، مما جعلهم يبدون عزمهم على مقاومة سيطرتهم.

و حقيقة الأمر كان مؤتمر جوبا نقطة تحول فاصلة سواء بالنسبة للجنوب أو بالنسبة للعلاقة بين الشمال والجنوب؛ فمن جهة كان المؤتمر أول عمل سياسي يشارك فيه الجنوب، ومن جهة أخرى رغم التحفظ الذي أبداه الجنوبيون في باديء الأمر إلا أنهم ما لبثوا أن أكدوا على وحدة السودان.

ثالثاً: الجمعية التشريعية (١٩٤٨) والحكم الذاتي

أهم ما تمخض عنه مؤتمر جوبا هو تعزيز وحدة السودان، وذلك بتمثيل الجنوبيين في الجمعية التشريعية، مؤكداً ضم كل السودانيين شمالاً وجنوباً، ولما كان ذلك الخيار يستهدف القضاء على الفدرالية والإقليمية، فإنه لم يكن

(١١) محمود محمد قلندر (٢٠٠٤): جنوب السودان، مراحل انهيار الثقة بينه وبين الشمال ١٩٠٠-١٩٨٣، قراءة تاريخية للمشكلة من منظور الاتصال الاجتماعي، دار الفكر، دمشق، ص ١١٢.

(١٢) نفس المرجع ، ص ١٠٦.

خياراً مرضياً للبريطانيين الذين كانوا يحومون حول حمى الانفصال، الأمر الذي جعلهم يحاولون الادعاء بحماية الخصوصية الزنجية الإفريقية، وهذا ما جعل السكرتير الإداري يقدم اقتراحه في اجتماع مجلس الحاكم العام بضرورة "تأمين الذاتية الجنوبية ثقافياً واجتماعياً في مواجهة أي تغول عليها أو سوء إدارة من جانب أي حكومة تشكل أكثريتها من أبناء الشمال".[١٣]

وذهب السكرتير الإداري إلى أبعد من ذلك في تجسيد العلاقة بين الشماليين والجنوبيين؛ فقد أشار إلى أنه دون هذه الحماية "فلن يستطيع الجنوبيون تطوير أنفسهم وفق متطلباتهم الثقافية والاجتماعية، بل سوف يخضعون لهيمنة الشمال، وسوف يتحولون إلى مجتمع رقيق يجمع الأخشاب ويحمل المياه لمصلحة ارستقراطية تفرض سيادتها على الآخرين".[١٤]

وحتى الإرساليات التبشيرية لم تكن موافقة على السياسة الجديدة التي تربط بين الشمال والجنوب؛ فقد ذكر سكرتير مجلس الإرساليات أن الشعار الذي يطلقه الشماليون بوحدة السودان لا يقوم على أساس، لعدم الواقعية في التوحيد بين أقوام متنافرة. ولا يستبعد أن معارضة الإرساليات لقيام سودان موحد، ترجع إلى اعتقادهم أن الشماليين سيقومون بإعلان الإسلام ديناً رسمياً للبلاد، فضلاً عن سيطرتهم على التعليم في الجنوب.[١٥]

(١٣) محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ١٤٦.

(١٤) روفائيل كوبا بادال (٢٠٠٧): فردوس الامبريالية، الإدارة البريطانية في جنوب السودان١٩٠٠-١٩٥٦، مركز محمد عمر بشير للدراسات السودانية، جامعة أم درمان الأهلية، ص ١٧٧.

(١٥) محمد عمر بشير، مصدر سابق، ص ١٤٨.

ومهما يكن من أمر فقد افتتحت الجمعية التشريعية في ١٥ ديسمبر ١٩٤٨، وكان عدد الأعضاء الجنوبيين المشاركين ثلاثة عشر عضواً من جملة الأعضاء البالغ عددهم ستة وسبعين عضواً.[١٦] وتجدر الإشارة إلى أن قانون الجمعية التشريعية لم يشتمل على أي نوع من الضمانات التي كانت مقترحة من قبل البريطانيين كنوع من الحماية للجنوبيين ضد سيطرة وهيمنة الشماليين، وكانت النتيجة أن أثار ذلك الأمر حفيظة الإدارة البريطانية والإرساليات المسيحية.[١٧]

ومن جهة أخرى شهدت فترة الجمعية التشريعية فتح الحدود بين الشمال والجنوب، وتوحيد المرتبات و الأجور، و إنشاء مشروع الزاندي، ومشروع مناشير الأخشاب في كتري وقيلو ولوكا، وتأسيس الحكم المحلي، وتم إصدار تراخيص التجارة، وانتظمت حركة النقل بين أرجاء الوطن الواحد دون صعوبات.[١٨] ومع ذلك لم يحدث تطور اقتصادي و اجتماعي وتعليمي في جنوب السودان بالصورة الكافية والمطلوبة؛ فلم تنشأ سوى مدرسة ثانوية واحدة، ولم توضع بعض المشاريع المقترحة لزراعة القصب وإنتاج السكر موضع التنفيذ،[١٩] ولكن ليس من شك أن بعض التطور الذي شهده الجنوب يرجع بصورة مباشرة إلى الانفتاح بين شطري السودان جنوباً وشمالاً.

(١٦) روفائيل كوبا بادال، مرجع سابق، ص ٢١١.

(١٧) محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ١٤٨.

(١٨) تقرير لجنة التحقيق الاداري في حوادث الجنوب ١٩٥٥، مصدر سابق ، ص ١٨.

(١٩) أبيل ألير، مرجع سابق، ص ٢١.

لم يكن الجنوبيون الذين شاركوا في الجمعية التشريعية ينتمون إلى أحزاب سياسية؛ فكان الانتماء القبلي أقوى وأرسخ من الانتماء السياسي. بينما في الشمال نجد أن المؤسسة السياسية الحزبية نمت وترعرت وتبلور رأيها بصورة واضحة حول الاتحاد مع مصر أو الاستقلال وحول الحكم الذاتي وتقرير المصير. ونجد في هذا الإطار أن مجموعة حزب الأمة في الجمعية التشريعية ترفض الاتحاد مع مصر، أما الختمية والأحزاب الاتحادية فربما لأنها مدعومة من مصر، فإنها تدعم رؤية الاتحاد مع مصر.

وبالرغم من أن الحكومة المصرية اعترفت في مذكرة لها بحق السودانيين في تقرير المصير، على أن تكون هناك فترة انتقالية بغرض تمكين السودانيين من ممارسة الحكم الذاتي وتهيئة الجو الحر المحايد الذي يجب توافره لتقرير المصير،[٢٠] إلا أن النواب الجنوبيين عارضوا الفكرة، وكانت نظرتهم أن منح الحكم الذاتي والاستقلال المبكر للسودان لم يكن من ضمن اهتمامات الجنوب، لأن هناك قناعة راسخة أن المناطق المتخلفة التي تم تهميشها على مدى خمسين عاماً، لابد أن تصل إلى نفس المستوى الحضاري الذي بلغه الشمال، وكان ذلك بمثابة شرط لازم للاتحاد الكامل مع الشمال أو الاستقلال.[٢١]

وتتفق تلك الرؤية مع رؤية "اللجنة السياسية" والتي تشكلت في نهايات عهد الجمعية التشريعية برئاسة باولو لوقالي وعضوية كل من عبد الرحمن سولي، واستانسلاوس بايساما، وبوث ديو، ومجموعة أخرى من المثقفين الجنوبيين،

(٢٠) فيصل عبدالرحمن علي طه، مرجع سابق، ص ٦١٧.

(٢١) روفائيل كوبا بادال، مرجع سابق، ص ٢١٢.

بعد أن اجتمعوا في جوبا وأصدروا مذكرة في ١٣ ديسمبر١٩٥٢م.[٢٢] لم تعارض هذه المذكرة الحكم الذاتي، وإنما عارضت توقيته، وأشارت إلى التخلف الشديد بالجنوب مقارنة بالشمال، ومن ثم حتمية تأجيل تقرير المصير لتمكين الجنوب من اللحاق بالشمال. إذ أن تقرير المصير في ثلاث سنوات ليس كافياً، كما أن الجنوب ليس في وضع يمكنه من الدخول في وحدة ديمقراطية مع شمال السودان. وطالبت المذكرة بإرجاء الإدارة البريطانية العمل على تقرير المصير.[٢٣]

رابعاً: تجاوز الجنوبيين في اجتماع القاهرة

ما زالت المستجدات تترى في الساحة السياسية، وقد كان أهمها استيلاء اللواء محمد نجيب على السلطة في مصر، بعد انقلاب عسكري أطاح فيه بالملكية في مصر في ٢٣ يوليو١٩٥٢م، وكان اللواء محمد نجيب متعاطفاً مع الحركة الوطنية في السودان.[٢٤] تمخض هذا التعاطف أن بعثت الحكومة المصرية بمذكرة إلى حكومة المملكة المتحدة تعلن فيها إيمان مصر في حصول السودانيين على حق تقرير مصيرهم.[٢٥]

(٢٢) تعتبر اللجنة التي أصدرت المذكرة أول عمل تنظيمي في الجنوب، حيث تطورت فيما بعد لتكون حزب الأحرار. نفس المرجع، ص ٢١٣.

(٢٣) نفس المرجع.

(٢٤) لم ينطلق هذا التعاطف بسبب التوافق مع الثورة الوطنية فقط، وإنما زاد عليه أن محمد نجيب ينتمي إلى أم سودانية، وأنه تلقى تعليمه في كلية غردون. انظر: روفائيل كوبا بادال، مرجع سابق، ص ٢٢٠.

(٢٥) صحيفة الرأي العام، العدد ٦١٩١، ١٩٦٥/١/٥، دار الوثائق القومية، الخرطوم.

وفي ١٠ يناير١٩٥٣م زار مصر وفد مكون من الأحزاب السودانية الشمالية، والمتمثلة في الوطني الاتحادي[٢٦] وحزب الأمة وممثلين من الجمهوريين والاشتراكيين، وكان سبب الزيارة التفاوض مع حكومة القاهرة الجديدة، قبل التوقيع على الاتفاقية الإنجليزية المصرية لإعطاء السودان حق تقرير المصير. لكن الأحزاب الشمالية ارتكبت خطأً تاريخياً، إذ لم تصطحب أياً من الجنوبيين،[٢٧] رغم الأهمية البالغة لقضية الجنوب في الأجندة السياسية السودانية. وقد تم الاتفاق مع حكومة القاهرة على رفض التعاون مع الحكومة الاستعمارية في السودان، إلا في الجزء الخاص بتنفيذ الحكم الذاتي وتقرير المصير.

لكن عدم اصطحاب أي من الجنوبيين كان بمثابة صدمة؛ و قد اعتبر الجنوبيون ذلك التصرف نوعاً من التهميش وعدم الاهتمام بهم، كما اعتبر البعض أن الدافع الحقيقي لاستثناء الجنوبيين يرجع إلى طلبهم المتمثل في إبطاء الخطى الدستورية في الاستقلال المبكر، والذي يتعارض فيه مع رغبة الشمال، خاصة رؤية حزب الأمة.[٢٨]

وفي المقابل قامت الأحزاب الشمالية بتبرير تصرفها المتمثل في عدم اصطحاب الجنوبيين في الآتي:

(٢٦) انضم حزب الأشقاء وبعض الأحزاب الاتحادية الأخرى في حزب واحد، هو حزب الوطني الاتحادي بزعامة إسماعيل الأزهري.

(٢٧) تقرير لجنة التحقيق الإداري، مصدر سابق، ص ١٩.

(٢٨) روفائيل كوبا بادال، مرجع سابق، ص ٢٢١.

١- عدم وجود أحزاب جنوبية تقوم بتمثيل الجنوب.

٢- إن بعض السياسيين البارزين في الجنوب قد باركوا خطوة وفد الأحزاب قبل ذهابه، مما يجعل الاحتجاج بعد ذلك لا معنى له.[٢٩]

وقعت الاتفاقية الإنجليزية المصرية في يوم ١٢ فبراير١٩٥٣م، وقررت إعطاء الحكم الذاتي للسودان، وتحديد فترة انتقالية لتقرير المصير لا تتجاوز ثلاث سنوات، على أن يتم في تلك الفترة عملية "السودنة" للوظائف الإدارية، والتي كان يشغلها الإنجليز والمصريون. بعدها تجرى انتخابات عامة لاختيار حكومة وطنية تتولى زمام الأمر بعد إجازة دستور السودان الانتقالي وإعلان جلاء القوات البريطانية في الأول من يناير١٩٥٦م.[٣٠]

مهما يكن من أمر فقد أدى عدم اصطحاب الوفد الشمالي لأي من الجنوبيين في رحلة التباحث إلى القاهرة قبل توقيع الاتفاقية، إلى ازدياد تدهور العلاقة بين الشمال والجنوب، والشعور المستمر لدى الجنوبيين بتهميش الشماليين لهم، وعدم الاهتمام بقضيتهم. وحقيقة الأمر أن حجة عدم وجود حزب سياسي جنوبي، حجة ضعيفة، وربما تكون استخدمت ذريعة للخروج من مأزق المسؤولية، خاصة، وكما سبق أن ذكرنا، مع تكوين لجنة في ديسمبر١٩٥٢م، من مجموعة من المثقفين الجنوبيين. ورغم أن اللجنة لم تكن مسجلة كحزب سياسي، الا أن عضويتها لها من التأهيل السياسي ما يسمح لها بتقديم النصح والمشورة مع بقية أعضاء الوفد الشمالي.

(٢٩) تقرير لجنة التحقيق الإداري، مصدر سابق، ص ١٩.

(٣٠) سعد الدين ابراهيم (١٩٩٢): الملل والنحل والأعراق: هموم الأقليات في الوطن العربي، مركز إبن خلدون للدراسات الإنمائية، القاهرة، ص ٣٦٦.

لكن من جهة أخرى، ربما أدى ضرر عدم اصطحاب الجنوبيين إلى بعض النفع؛ فقد ظهرت بعد ذلك بوادر التنظيم السياسي، وذلك عندما تطورت "اللجنة السياسية" سابقة الذكر برئاسة لوقالي لتكون "حزب الجنوب الفدرالي" في ديسمبر١٩٥٣م، والذي لم ينشأ نتيجة تفاعل فكري سياسي فحسب، وإنما كان السبب الأساسي عند إنشائه خوض انتخابات ١٩٥٣.

جاء البرنامج الإنتخابي لحزب الجنوب داعماً للاستقلال التام للسودان، معارضاً حزب الوطني الاتحادي وموافقاً لحزب الأمة؛ وقد حظي الحزب بتأييد واسع بين كافة أبناء الجنوب على اختلاف قبائلهم، مما أهله للفوز في أول انتخابات برلمانية.[٣١]

خامساً: الخلاف بين الأحزاب الشمالية يؤجج النزاع مع الجنوب

لم يكن متصوراً أن يحدث خلاف بين الحزبين السياسيين الكبيرين، الأمة والوطني الاتحادي، في الوقت الذي كانت أهم مطلوبات المرحلة توحيد الجهود والتكامل ضد الاستعمار. ولم يكن متوقعاً أن تكون واحدة من أسباب الصراع الأساسية، كسب الأصوات في الانتخابات، لاسيما أصوات الجنوبيين، الأمر الذي جعل الجنوب يبدو وكأنه أداة للكسب السياسي، مما زاد من التدهور في العلاقة بين الشمال والجنوب. لقد بلغت المنافسة بين الحزبين أوجها، عند الاستعداد للانتخابات التي أجريت في شهري نوفمبر وديسمبر١٩٥٣، وكانت وجهة نظر الحزب الجنوبي، كما ذكرنا فيما يخص الاستقلال، متطابقة مع رؤية حزب الأمة.

(٣١) تقرير لجنة التحقيق الإداري، مصدر سابق، ص ١٩.

وفي الأول من يناير ١٩٥٤م افتتح الحاكم العام أول برلمان سوداني، بمجلسيه الشيوخ والنواب، بتلاوة من حاكم عام السودان سير روبرت هاو. واختار مجلس النواب في ٦ يناير ١٩٥٤ إسماعيل الأزهري رئيساً للوزراء،[٣٢] وفي ٩ يناير ١٩٥٤ أعلن الحاكم العام تكوين هيئات الحكم الذاتي ليصبح ذلك اليوم بداية الفترة الانتقالية للحكم والتي ستستمر ثلاث سنوات.[٣٣]

أما البرلمان فقد فاز فيه حزب الوطني الاتحادي بالأغلبية البسيطة، ودخل فيه اثنان وعشرون نائباً جنوبياً، أي ما يعادل ربع أعضاء البرلمان، حيث كان نصيب حزب الجنوب اثني عشر مقعداً، وستة مقاعد للجنوبيين الأعضاء بالحزب الوطني الاتحادي، وأربعة من الجنوبيين المستقلين.[٣٤]

وجدير بالإشارة أنه في ظل تأجيج الخلافات لاحقاً انضم نواب الوطني الاتحادي والمستقلون من الجنوبيين، إلى حزب الجنوب، والذي أصبح يعرف مع بداية العام١٩٥٤ بـ"حزب الأحرار".[٣٥]

أما الخلاف بين الحزبين الكبيرين، والذي وصل حد الملاسنة، فقد حدث عندما زار وفد مكوَّن من سياسيي حزب الأمة وحزب الأحرار الجنوبي

(٣٢) كان أغلبية الحزب الوطني الاتحادي في مجلس الشيوخ ٣٤ مقعداً من بين ٥٠ مقعداً، أنظر يحي محمد عبد القادر (ب. ت): شخصيات من السودان، الجزء الثالث ، مطبعة مصر في الخرطوم، الخرطوم ، ص ٣٨٨ .

(٣٣) الرأي العام ، مرجع سابق .

(٣٤) K.D.D. Henderson, *op.cit.*, p. 172.

(٣٥) تقرير لجنة التحقيق الإداري، ص ٢٠.

في أغسطس ١٩٥٤م جنوب السودان، حيث عقدوا اجتماعاً وجهت فيه انتقادات شديدة اللهجة إلى الحكومة التي ينتمي رئيسها إسماعيل الأزهري إلى حزب الوطني الاتحادي. وكرد فعل على تلك الاتهامات قام أعضاء الحزب الوطني الاتحادي، ومعظمهم من الجلابة، بالهجوم على حزب الأمة، وذكروا الجنوبيين بأن رئيس حزب الأمة وأتباعه إنما هم حفدة أعدائهم اللدودين تجار الرقيق، وأنهم إذا أيدوهم فسيأتي اليوم الذي ينكلون بهم.[٣٦] وفي المقابل أتهم أعضاء حزب الأمة وحزب الأحرار، التجار الشماليين باستغلالهم للجنوبيين، مما جعل التجار الشماليين يعوقون سير الاجتماعات. وكانت النتيجة لتلك الملاسنات، مزيداً من التدهور في العلاقة بين الشمال والجنوب، الأمر الذي جعل بعض الجنوبيين يطلبون من نوابهم الاستقالة من الحزب الوطني الاتحادي.[٣٧]

وكرد فعل لهذه المواقف السياسية المتصادمة، فإن الحكومة قامت بنشر إنذار حذرت فيه من المؤامرات التي تحاك في الجنوب، وبأنها سوف تستخدم القوة الحديدية ضد أي جنوبي يجرؤ على محاولة تقسيم الأمة. وقد أغضب رد الفعل هذا أبناء الجنوب الذين بدأوا بسخرية يرددون "أخواننا في الشمال سيستعملون القوة ضدنا".[٣٨]

هكذا نجد أن الطابع الغالب في تلك المرحلة هو ترجيح كل حزب لمصلحته السياسية الضيقة، والمتمثلة في كسب الجولة الانتخابية. والخاسر

(٣٦) نفس المرجع، ص ١٩-٢٠.

(٣٧) نفس المرجع، ص ٢٠.

(٣٨) نفس المرجع.

في كل مرة هو الجنوب والذي يتم تجاهل الحد الأدنى من مطلوبات تطوره الاقتصادي والسياسي، فضلاً عن عدم الاهتمام بالمشاريع التنموية والتي تمثل أس الاستقرار.

سادساً: السودنة

المقصود بمصطلح "السودنة" هو استبدال الموظفين الأجانب بسودانيين، حيث يتم إفراغ أي وظيفة ترى لجنة السودنة أنها تؤثر في جو الحرية والحياد واستبدالها بشخص سوداني. وقد أصدر مجلس الوزراء قراراً يقضي بأنه قي حالة عدم توافر سودانيين أكفاء فإنه يتم ملء تلك الوظائف بأشخاص من دول أخرى غير دولتي الحكم الثنائي، حتى لا تتأثر الخدمة المدنية.[٣٩]

كذلك نصت الاتفاقية الإنجليزية المصرية في مادتها الثامنة أنه "لإيجاد الجو الحر المحايد اللازم لتقرير المصير تنشأ لجنة للسودنة ".[٤٠] وعلى ذلك فقد قرر البرلمان تعيين لجنة السودنة للنظر في وظائف الخدمة المدنية التي يفترض سودنتها، على أن تقدم لجنة الخدمة العامة النصح والمشورة من أجل ترقية السودانيين في الوظائف التي كان يشغلها البريطانيون والمصريون.[٤١]

(٣٩) محمود صالح عثمان صالح (محرر) (٢٠٠٢): الوثائق البريطانية عن السودان، الجزء الثاني، المجلد العاشر، مركز عبدالكريم ميرغني، أم درمان، ص ٨٤.

(٤٠) مهمة لجنة السودنة هي إكمال سودنة الإدارة والبوليس وقوة دفاع السودان وأي وظيفة آخرى تؤثر على حركة السودانيين في زمن تقرير المصير. انظر: تقرير لجنة التحقيق الإداري، مصدر سابق، ص ٩١-٩٢.

(٤١) يتم تعيين عضو أو أكثر من لجنة الخدمة العامة يعمل بصفة استشارية ولا يكون له حق في التصويت. انظر: نفس المصدر، ص ٩٢.

وهنا لابد من الوقوف عند الوعود التي قدمت للجنوبيين والتي مثلت لهم فيما بعد صدمة شديدة، ووصفت بالتهور وعدم المسؤولية. وفي ذلك تؤكد نشرة الحزب الوطني الاتحادي، والتي صدرت في شكل تصريح صدر وتوقيع رئيسه "أن معالجتنا لمسألة السودنة ستكون دائماً عادلة وديمقراطية، ولن تعطي الأسبقية للجنوبيين في الجنوب فحسب، بل سنشجع أيضاً استخدام الجنوبيين في الشمال، خاصة في الوظائف الكبيرة في خدمة الحكومة المركزية....."[٤٢]

ولم يقف الأمر عند الوعود التي بهر بها الحزب الوطني الاتحادي الجنوبيين، بل أرسلت الحكومة المصرية التي تدعم الوطني الاتحادي، الصاغ صلاح سالم إلى الجنوب والذي أسهب في وعوده مؤكداً أنه "عند مغادرة البريطانيين فإن الأربعين وظيفة من مديري المديريات ومفتشي المراكز في المديريات الجنوبية الثلاث، ستعطي للجنوبيين".[٤٣]

و مهما يكن من أمر فقد أصدر الحاكم العام في ٢٠ فبراير ١٩٥٤ قراراً بتشكيل لجنة السودنة والتي بدأت اجتماعاتها الرسمية في ٧ مارس ١٩٥٤، وفي ٢ أغسطس ١٩٥٥ قررت اللجنة أن عملية السودنة قد تمت، حيث عرض قرارها على مجلس الوزراء وتمت الموافقة عليه".[٤٤]

(٤٢) نفس المصدر، ص ٩٣.

(٤٣) حين أسهب الصاغ صلاح سالم من وعوده قام ممرض بأحد المستشفيات يسأله "هل يعني أنني سأصبح (PMOH) لمستشفي جوبا؛ وحيث كان الصاغ يجهل كلمة الاختصار والذي يعني كبير اختصاصيي المديرية؛ رد عليه قائلاً بالتأكيد" انظر: محمود محمد قلندر، مرجع سابق ، ص ١١٥. أورد تقرير لجنة التحقيق الإداري نفس القصة ولكن اختصار الحروف كان يشير إلى "باشمفتش طبي المديرية"، انظر: تقرير لجنة التحقيق الإداري، مصدر سابق، ص ٩٤.

(٤٤) صحيفة الرأي العام ، مصدر سابق.

لقد كان في خدمة حكومة السودان في يوم ١٩٥٤/٦/٢٠م ١١١١ بريطانياً، و١٠٨ مصرياً من موظفي الخدمة المدنية، وقد سودنت وظائف ما يقرب من ستمائة.[٤٥] وقامت عدة لجان بمهمة ملء الوظائف، وقد راعت الأسس الخاصة بالأقدمية، والخبرة، والمؤهلات. ونسبة لأن الجنوبيين كانت تنقصهم الأقدمية والخبرة والمؤهلات، فإنه لم تؤثر عليهم السودنة إلا في حالات قليلة جداً.[٤٦]

أعلنت لجنة السودنة نتائجها في أكتوبر١٩٥٤، وكانت محبطة للغاية بالنسبة للجنوبيين، حيث اقتصرت حصتهم على أربع وظائف قيادية بدرجة مساعد مفتش، ووظيفتين بدرجة مامور.[٤٧] وعلى ذلك اعتبر الجنوبيون أن الوعود التي ذكرت لهم من قبل حزب الوطني الاتحادي لم تكن سوى ترويج لكسب المعركة الانتخابية.[٤٨]

وعليه أصبحت الإدارة الشمالية موضع حنق الجنوبيين الذين شعروا بالخذلان والإحباط والدونية، وربما تذكر بعضهم قول السكرتير الإداري السير جيمس روبرتسون " كيف يثق الجنوبيون في وعود أولئك الذين سرعان ما يتخلون عن وعودهم ويحنثون بها، ويتراجعون عن ما اتفقوا عليه".[٤٩]

(٤٥) تقرير لجنة التحقيق الإداري، مصدر سابق ، ص ٩٢.

(٤٦) نفس المصدر، ص ٩٢.

(٤٧) روفائيل كوبا بادال ، مرجع سابق، ص ٢٢٤.

(٤٨) موسى عبدالله حامد (٢٠٠٨): استقلال السودان بين الواقعية والومانسية، دار عزة للتوزيع والنشر، الخرطوم، ص٦١٦.

(٤٩) روفائيل كوبا بادال ، مرجع سابق ، ص، ٢١٢. انظر كذلك:

Sir Robertson James (1953): "The Sudan in Transition", *The Colonial Review*, Vol 8, No. 30, p. 74.

لقد أرسلت خطابات كثيرة إلى أعضاء البرلمان الجنوبيين وإلى الحكومة، تعبر عن اليأس وخيبة الأمل؛ وقد عبر عن ذلك مجلس مقريال في خطاب ذكر فيه: "لقد كانت نتائج السودنة مخيبة للأمال بدرجة عظيمة. يبدو أن قصد زملائنا الشماليين هو أن يستعمرونا لمدة مائة عام أخرى".[٥٠] ولأن الجنوبيين لم يستفيدوا من السودنة، فإن الاستقلال أصبح في نظرهم مجرد تغيير للحكام. وقد عبر محمد عمر بشير عن المرارة التي أحسها الجنوبيون، وكيف أنهم أصيبوا بخيبة أمل، وكأنما الأمر كان "استبدال سيد بسيد، واستعماراً جديداً من أبناء الشمال".[٥١]

وفي نهاية الأمر يمكن تلخيص الآثار السالبة التي ترتبت على نتائج السودنة، والتي ربما أثرت بصورة عميقة في توسيع الصراع واندلاع أحداث توريت ١٩٥٥م في الآتي:

أولاً: ازدياد تدهور العلاقة بين الجنوبيين والشماليين.

ثانياً: اتساع فجوة عدم الثقة.

ثالثاً: تخوف الجنوبيين من سيطرة الشماليين.

وبصفة عامة لا يمكن رمي اللوم على لجنة السودنة، إذ أنها لجنة فنية متخصصة، وقد كانت محكومة بشروط ومعايير وظيفية ومهنية، ولم يكن ممكناً أن تتخذ اللجنة قرارات أخرى. وعلى ذلك لا يبقى أمام الحكومة الشمالية سوى

(٥٠) تقرير لجنة التحقيق الإداري، ص ٩٤.

(٥١) محمد عمر بشير، مرجع سابق، ص ١٥٦.

خيارين أحلاهما مر: فإما تستجيب لمقررات لجنة السودنة والذي لا يرضي الجنوبيين ولا يحقق مصلحتهم أو تتدخل بإجراء تعيينات لترقية الجنوبيين لأسباب سياسية، وهو تصرف ربما نتج عنه تحطيم الخدمة المدنية. ولذلك فإن الخطأ الأساسي الذي ارتكبته الأحزاب الشمالية تمثل في الوعود التي تنشد الكسب والمصلحة السياسية الضيقة، بدلاً من النظرة الكلية التي تحقق المصلحة العامة.

سابعاً: الدعوة للفدرالية

لم يكن طرح مبدأ الفدرالية أمراً جديداً، أو أنه جاء نتاج قرارت السودنة فقط، ذلك أنه عند معارضة بوث ديو اقتراح الحكم الذاتي عام ١٩٥٠ وتهديده بالانسحاب من الجمعية التشريعية، فإنه طرح خيار الاتحاد الفيدرالي بين الشمال والجنوب. [٥٢]

لكن في ذات الوقت، وعلى أثر ما حدث من إحباط بعد إعلان نتائج السودنة، وكما سبق ذكره، استقال بعض الأعضاء الجنوبيين من الحزب الوطني الاتحادي وانضموا إلى حزب الجنوب، والذي غير اسمه إلى "حزب الأحرار". [٥٣]

عقد "حزب الأحرار"، والذي أصبح يتمتع بنفوذ واسع وسط الجنوبيين، مؤتمراً في جوبا في أكتوبر١٩٥٤م، نوقش فيه أثر نتائج السودنة، واتخذ فيه

(٥٢) موسى عبدالله حامد ، مرجع سابق، ص ٦١٦-٦١٧.

(٥٣) نفس المرجع.

قراراً بالمطالبة بالاتحاد الفيدرالي (Federalism) مع الشمال. في ذات الوقت وُجِّه نداء للجنوبيين بأن يكونوا على "استعداد للتضحية".[٥٤]

وبازدياد نشاط "حزب الأحرار"، وفي مايو ١٩٥٥م، اختلف وزيران جنوبيان من حزب الوطني الاتحادي مع رئيس الحزب بسبب موضوع الفيدرالية، مما أدى إلى استقالة أحدهما، وهو داك دي، بينما فصل الآخر، وهو بلين أليير، وذلك بسبب انتقاده رئيس الوزراء علانية في سياسته تجاه الجنوب.[٥٥] وقد انضم الوزيران إلى حزب الأحرار الذي رحب بهما ونشر نداءً يدعو كل أعضاء البرلمان الجنوبيين ليكوِّنوا جبهة موحدة لتحقيق مطالبهم.[٥٦]

ومن البديهي أن يواجَه مبدأ الفيدرالية بالاعتراض، وقد بدا ذلك جلياً في الاجتماع الذي عقده رئيس الوزراء إسماعيل الأزهري مع سرسيو إيرو وبلين أليير في ١٢ يونيو ١٩٥٥م، حيث جرت مناظرة بين الجانبين، وتم إعلام رئيس الوزراء بالمؤتمر الذي يفترض أن يعقده حزب الأحرار في جوبا والذي سيبحث موضوع الفيدرالية.[٥٧]

(٥٤) زار وفد من الحزب الاتحادي الديمقراطي، برئاسة رئيس الوزراء، الجنوب، وقوبل مقابلة فاترة. وكخطوة مضادة لمؤتمر حزب الأحرار، أعلنت زيادة مرتبات الهجانة والكتبة لتتساوى مع مرتبات الشماليين، لكن اعتبر الجنوبيون ذلك بمثابة "رشوة"، خاصة وأن الزيادة لم تشمل فئة الكتبة خارج الهيئة، وغالبيتهم من الجنوبيين. انظر: تقرير لجنة التحقيق الإداري، مصدر سابق، ص ٢٠.

(٥٥) نفس المصدر، ص ٧٤.

(٥٦) روفائيل كوبا بادال، مرجع سابق، ص ٢٢٥.

(٥٧) لمزيد من المعلومات عن المناظرة انظر تقرير لجنة التحقيق الإداري، ص٧٥.

لقد جاء اعتراض رئيس الوزراء على المؤتمر انطلاقاً من حرصه على الالتزام بقانون الحكم الذاتي والمعاهدة الإنجليزية المصرية، والتي تنص على أن السودان وحدة لا تتجزأ"؛ وقد بُني ذلك المبدأ على قرارات مؤتمري جوبا ١٩٤٧م و١٩٥٤م، برئاسة بنجامين لوكي.(٥٨)

وحقيقة الأمر إن الدعوة للفيدرالية تمثل مطلباً سياسياً حيوياً، وهي كما يبدو، تعتبر من وجهة نظر الجنوبيين السبيل الوحيد لمقاومة سيطرة الأحزاب في الشمال بعد خروج البريطانيين. ويمكن القول إن مبدأ الفيدرالية مثَّل واحداً من البدائل التي بحث عنها الجنوبيون، والتي حدثت كرد فعل لمواجهة الشماليين الذين انشغلوا عن الجنوب بأمور اقتسام السلطة، والكسب السياسي، وكان لابد نتيجة لذلك أن تدخل الأحزاب الشمالية مطلب الفيدرالية في دائرة التحريم.

تداعيات ما قبل الاستقلال

تدهورت الأوضاع في الجنوب مع عدم وجود حل سياسي، فزادت حالة الفقر والمرض وانعدم الاستقرار، وأصبح الفارق الاقتصادي بين الشمال والجنوب كبيراً، مما جعل النخب الجنوبية تلقي باللائمة على الأنظمة الحاكمة في الشمال، وتتهمها بنقض العهود. لكن من المؤكد أن النخب والأحزاب السياسية في شمال السودان ليست هي وحدها المسئولة عن تدهور الجنوب؛ فقد أدى إهمال الإدارة البريطانية للجنوب وإلى حين تقرير مصيره بضمه إلى مستعمراتها في شرق أو وسط إفريقيا، أو وصله بالشمال السوداني، إلى جعل الجنوب منطقة معزولة ومهملة في مقابل تقدم الشمال وتنميته. كذلك أدت سياسة الفصل العنصري

(٥٨) نفس المصدر.

التي زرعها الاستعمار وتأليبه للجنوبيين بأن الشماليين سوف يسودونهم ويعاملونهم كما فعل أباؤهم، إلى مزيد من الخوف والهلع وتفاقم أزمة الثقة بين الجنوب والشمال.

ولا شك أن شعور الجنوبيين بالتهميش والاضطهاد كان أحد أعظم الأسباب التي أدت الى اندلاع التمرد وانفجار الموقف في أحداث توريت في ١٨ أغسطس ١٩٥٥، أي بعد يومين فقط من إصدار القرار التاريخي بجلاء الجيش البريطاني المصري من السودان في ١٦ أغسطس ١٩٥٥. من جهة أخرى كانت أحداث توريت كارثة حقيقية على الجنوب والشمال معاً؛ فقد انتشرت الفوضى وعمليات العنف في أرجاء المديرية الإستوائية، حيث قطعت الطرق، وأغلقت دواوين الحكومة وتعطلت الخدمات، وبلغ إجمالي القتلى ٢٣٦ قتيلاً من الشماليين و٧٧ قتيلاً من الجنوبيين.(٥٩)

ربما صدق تنبوء باروز، أحد المفاوضين البريطانيين، والذي حذر بأن الجنوبيين قد "يلجأون إلى وسائل بدائية لا إلى وسائل دستورية لكي يلحقوا ما حاق بهم". وفي ذات السياق أوضح السكرتير الإداري لحكومة السودان أن زعماء الجنوب قد هدَّدوا بإحراق البلاد إذا أهملت مطالبهم.(٦٠)

(٥٩) نفس المصدر. لمزيد من المعلومات حول أحداث توريت أنظر: هويدا صلاح الدين العتباني (٢٠١٢): الهوية والتعدد الإثني في الصراع بين شمال وجنوب السودان ١٩٥٥-٢٠٠٥، شركة مطابع السودان للعملة، الخرطوم، ص ١٢٦-١٣١.

(٦٠) فيصل عبد الرحمن علي طه ، مرجع سابق، ص ٦١٧.

إعلان الاستقلال تحت وطأة مطلب الفيدرالية

في مايو١٩٥٥م أعلن الحزب الوطني الاتحادي تغيير سياسته، التي كانت تنادي بالارتباط مع مصر، إلى الاستقلال التام.[٦١] وفي خطوة يمكن وصفها بأنها تمثل نوعاً من الكيد السياسي، نادى "حزب الأحرار" الجنوبي بضرورة ارتباط السودان مع مصر بنوع من الاتحاد، وكان ذلك بمثابة إحباط جديد للأحزاب السياسية الشمالية التى كانت تسعى لتحقيق الاستقلال سعياً حثيثاً.[٦٢]

على أن العلاقة المتأزمة بين الشمال والجنوب، لم تحدث نتيجة لعدم الاندماج والتعايش فحسب، وأنما كذلك لأن هنالك قناعات راسخة في الذهنية الجنوبية تتهم الشماليين بتهميش واضطهاد الجنوبيين، وعدم استيعابهم اجتماعياً وسياسياً. وتظل تلك القناعات مكبوتة لفترات طويلة إلى أن تصل أحياناً إلى درجة الإنفجار، مما يقود إلى العنف والمطالبة بالانفصال والتجزئ،ة والذي يعني فصل السودان إثنياً.

وفي ظل المحاولات المستمرة للمطالبة بالفيدرالية وافقت في ١٩ ديسمبر ١٩٥٥ مجموعة من الأعضاء الجنوبيين في البرلمان بالوقوف مع الشمال لنيل استقلاله، وكان ذلك شرطاً لموافقة الشمال على النظر في قيام نظام فيدرالي. و لعل مطالبة الجنوبيين بالاتحاد الفيدرالي قصد منه توفير ضمانات دستورية. وقد كانت تلك هي المرة الأولى التي يطالب فيها الجنوبيون بالفدرالية، لكن دون

(٦١) كانت نتيجة انحياز حزب الوطن الاتحادي إلى الاستقلال أن قطع منه المصريون المعونة والخدمة التي كانت تقدم إليه. لمزيد من المعلومات عن معونة الحزب انظر: موسى عبدالله حامد، مرجع سابق، ص ٦٢٠.

(٦٢) تقرير لجنة التحقيق الإداري، مصدر سابق، ص ٢٠.

الوعي بأن مطلباً كهذا يجب أن تتوفر له تفسيرات للسلطات التي ينطوي عليها الاتحاد الفيدرالي.[٦٣] ومهما يكن من أمر، فقد بدا الأمر وكأنه صفقة سياسية ينشد فيها كل طرف تحقيق مصالحه.

ويبدو أن التعجيل لتحقيق مطلب الاستقلال جعل الشماليين يوافقون على ذلك الشرط دون دراسة الموضوع وتمحيصه، مما اضطرهم لصياغة المطلب بصورة عامة غير حاسمة وعلى أساس أن تعطي الجمعية التأسيسية المرتقبة في الدستور الدائم للبلاد اعتباراً خاصاً لمطلب الإتحاد الفدرالي؛ فكانت الصيغة "أن مطلب الأعضاء الجنوبيين لحكومة فيدرالية للمديريات الجنوبية الثلاث ستعطى الاعتبار الكافي بواسطة الجمعية التأسيسية عند قيامها".[٦٤]

وعلى ذلك احتفل الجنوبيون بالاستقلال جنباً إلى جنب مع الشماليين، وهم يحملون أملاً ورجاءً في قيام الحكم الفيدرالي، دون أن يدركوا ما ستخبئه الأيام والسنوات القادمة من صراع سببه الأساسي السلطة ورفض الحكومات المركزية للحكم الفيدرالي. ويرى أبيل ألير أن الجنوبيين، مع قلة خبرة بعضهم، لم يفطنوا للحيلة التي كانت تكمن في الصياغة التي صدر بها المطلب الخاص بالفدرالية.[٦٥] أي بعبارة أخرى أنهم بلعوا الطعم ولم تسعفهم خبرتهم للتأكد من مدى المصداقية والحرص لتحقيق مطلبهم.

(٦٣) محجوب محمد صالح، مرجع سابق، ص ١٦-١٧.

(٦٤) صدر القرار بالإجماع في الجلسة رقم ٤٣ لمجلس النواب في البرلمان في دورته الثالثة من ١٤ فبراير ١٩٥٥م إلى ١ يناير ١٩٥٦م. مجموعة البرلمان، الصندوق ٧، دار الوثائق القومية.

(٦٥) أبيل ألير، مرجع سابق، ص ٢٣.

مهما يكن من أمر، فقد دخل السودان بعد الاستقلال في يناير ١٩٥٦م حقبة جديدة حكم فيها تحت نظام جمهوري برلماني بدستور مؤقت، وتشكلت أول حكومة وطنية بزعامة إسماعيل الأزهري، وكان أهم جدول أعمال الحكومة التكريس للوحدة الوطنية بين شمال وجنوب السودان، وربما يكون الهدف الأساسي تغيير الصورة التي رسمها الاستعمار والمتمثلة في سودان جنوبي زنجي متعدد الأديان، وشمال عربي مسلم.

وبعد نيل السودان للاستقلال كان أكبر تحدي هو صياغة دستور دائم للبلاد؛ وقد جاءت في خطاب وزير العدل زيادة أرباب والذي ألقاه في يوم ٥ أكتوبر ١٩٥٦ أهمية تكوين لجنة تساعد في وضع مسودة الدستور، والتي أطلق عليها فيما بعد اللجنة القومية للدستور، مهمتها الأساسية صياغة الدستور الدائم، وذلك بغرض عرضه على الجمعية التأسيسية والتي ستنتخب من قبل الشعب، لإقرار مسودة الدستور أو رفضها.[٦٦] لكن كان تمثيل الجنوبيين في اللجنة ضعيفاً، حيث ضمت اللجنة خمسة وأربعين عضواً من بينهم أربعة جنوبيين فقط، هم بوث ديو، وبان أليير، واستانسلاو بيا ساما، والأب ساترنينو. وهذا العدد لا يتناسب مع تعداد أهل الجنوب، ولا ثقلهم البرلماني.[٦٧]

عرضت مطالبة الجنوبيين المتمثلة في الحكم الفيدرإلى إلى اللجنة القومية للدستور والتي رفضت البحث فيه، وأحالت الأمر إلى لجنة اختصاص فرعية (sub comittee). وقد أوصت لجنة الاختصاص برفض مطلب الفيدرالية،

(٦٦) الوثائع الرسمية لمجلس النواب، مجموعة البرلمان (١)، القسم ١٢، الصندوق ٧، القطعة ٦٣، دار الوثائق القومية.

(٦٧) محجوب محمد صالح، مرجع سابق، ص ١٦-١٧.

والسبب في ذلك أن الجنوب لا يملك المؤهلات البشرية ولا المقومات الاقتصادية التي تمكنه من الحكم الفدرالي.[٦٨]

وفي ديسمبر ١٩٥٧ اتخذ أغلبية أعضاء اللجنة القومية للدستور- وفقاً للتوصية المرفوعة من اللجنة الفرعية - قراراً باستبعاد النظام الفيدرالي من النظم التي سيكون عليها شكل الدولة السودانية، الأمر الذي بدا وكأن القضية المطروحة بواسطة الجنوبيين قد صرف النظر عنها.[٦٩] لكن أكدت اللجنة على منح الجنوب أكبر قدر من سلطات الحكم المحلي في إطار الحكم اللامركزي، ولا يمنع ذلك من طرح فكرة الفيدرالية على الجمعية التأسيسية لأنها صاحبة القرار النهائي. وهنا خرج الأعضاء الجنوبيون من لجنة الدستور،[٧٠] وبذلك يكونون قد سجلوا موقفاً معارضاً للدستور المقترح والذي ما زال حتى ذلك الوقت في مرحلة صياغة مسودته.

أدت تداعيات مطالبة الجنوبيين بالحكم الفيدرالي وما تبع ذلك من رفض من قبل اللجنة القومية للدستور إلى فقدان الجنوبيين ثقتهم في حزب الأحرار، الأمر الذي جعلهم يشكلون حزباً جديداً هو "الحزب الفيدرالي" والذي خاض انتخابات ١٩٥٨ ليحوز على أغلبية مقاعد الجنوبيين، حيث حصل على ٤٠ مقعداً من ٤٦ دائرة انتخابية في الجنوب.[٧١]

(٦٨) نفس المرجع.

(٦٩) محمد عمر بشير، مرجع سابق ، ص ١٦٨ .

(٧٠) محجوب محمد صالح ، مرجع سابق ، ص ١٦ ، ١٧ .

(٧١) نفس المرجع.

هكذا فإن حصول الحزب الفيدرالي على أغلبية المقاعد في الجنوب منحه القوة، فتمكن من تصعيد دعوته للفيدرالية مرة أخرى، ومن ثم سجل الجنوبيون موقفاً بالانسحاب من جلسة البرلمان عند مناقشة الدستور الدائم في ١٦ يونيو ١٩٥٨.[٧٢] غير أن الدستور الدائم نفسه لم يكتب له النور؛ فبعد شهرين فقط من تسجيل الجنوبيين موقفهم، استولى الجيش في ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ بقيادة الفريق إبراهيم عبود على الحكم، لتدخل البلاد في مرحلة جديدة، وتدخل بالتالي مشكلة الجنوب في منعطف سياسي جديد.

الخاتمة والنتائج

كانت قضية نيل الجنوبيين لمطلب الفيدرالية ومحاولة إجراء التسوية مع الشمال هي النقطة الأخيرة في آخر محطة من محطات الصراع قبل الاستقلال، مما استدعى محاولاتهم تأمين موقفهم مستقبلاً لدرء ما أسموه بـ"الاستعمار الجديد". وبذلك أصبحت مشكلة جنوب السودان من المشاكل المتجددة والتي تلوح في الأفق كلما لاحت بوادر الصراع حول السلطة والثروة، لتصير من أعقد المشكلات التي ظلت ترثها الأنظمة الحاكمة المتتالية، مما تسبب في حرب أهلية طاحنة، وإعاقة للتنمية، وتبديد تقوية الروح الوطنية، وتأخير إقامة صرح الأمة السودانية. ومما سبق توصلت الدراسة للنتائج التالية:

أولاً: إن تفاقم أزمة الثقة بين شمال وجنوب السودان تمثل أس المشكلة التي أدت إلى تأجيج الصراع وعدم نجاح التسويات والاتفاقيات السياسية مستقبلاً.

(٧٢) نفس المرجع.

ثانياً: عمل التبشير المسيحي في جنوب السودان على تكريس الفوارق الثقافية بين الشمال والجنوب، حيث أضعف اللغة العربية لصالح اللغة الإنجليزية، وأضعف الثقافة الإسلامية لصالح الثقافة الغربية الكنسية، وخلق أجواءً تحريضية في الجنوب؛ فاتسعت فجوة الخلاف، الأمر الذي جعل الجنوبيين يستخدمون أحياناً حجج الاضطهاد والهيمنة الشمالية من أجل استقطاب الدعم الكنسي.

ثالثاً: الإخلال بتنفيذ الشروط المسبقة للاتفاقيات السياسية وتعقيد مشكلة جنوب السودان والصراعات المستمرة، سواء الصراع الشمالي الجنوبي أو الصراع الجنوبي الجنوبي، كل ذلك عمل على تضييق فرص النجاح، وفشل التحالفات، ورفع حجم المطالب.

رابعاً: رغم مشروعية مطلب الجنوبيين في إقامة نظام فيدرالي، إلا أن عدم الموافقة على ذلك المطلب فاقم من الأزمة، وربما يكون قد أدى إلى بروز الحركات المسلحة، ورفع المطالب التي تطورت فيما بعد لتشمل مطلب تقرير المصير الذي أدى إلى انفصال الجنوب بعد أكثر من خمسين عاماً.

إنتاج القطن المطري قصير التيلة وتصنيعه بجبال النوبة في الفترة ١٩١٣-١٩٩٢م

توحيد خميس تبيسة وحسن عبدالله المنقوري

مستخلص: تناولت هذه الورقة مشروع إنتاج القطن المطري قصير التيلة وتصنيعه ودوره في نمو وتطور المستوطنات البشرية بجبال النوبة، والذي أحدث حراكاً اقتصادياً واجتماعياً في مطلع القرن العشرين. وقد تمتعت المنطقة بكل العوامل المناخية والبشرية لنجاح هذا المشروع، وظل، بشقيه الزراعي والصناعي، منتجاً لقرابة الخمسين عاماً إلى أن برزت الظروف التي أدت إلى تدهوره، ومن ثم توقفه تماماً. لقد قاد تدهور الإنتاج وتوقف المصانع إلى جملة من الآثار السالبة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وأمنياً. وختمت الورقة بالقول بأن نفس تلك الفرص التي كانت وراء نجاح هذا المشروع ما زالت متاحة لإحيائه إذا ما استتب الأمن وتوفرت الإرادة السياسية.

Abstract: This paper tackles the subject matter of rain fall cotton production scheme, its manufacturing and role in the growth and development of the human settlement in the Nuba Mountains area, an element which caused economic and social movement in the beginning of the twentieth century. The area enjoyed all the ecological and human factors that favoured the success of this scheme. It continued for ca. 50 years productive, in both of its agricultural and industrial parts, until the emergence of the circumstances that led to its deterioration, and eventually, to its complete stop. Deterioration of production and stopping of the industries led to a number of negative economic, social and security consequences. The paper concludes that those same opportunities that were behind the success of this scheme are still available for its resurrection, if security is restored and there is political will.

كلمات مفتاحية: التصنيع الزراعي، المحالج، الاستقطاب السياسي، التوطن الصناعي.

مقدمة

شهد إقليم جبال النوبة في ولاية جنوب كردفان الحالية خلال القرن العشرين، فترة من الازدهار والرفاه بفضل إنتاج وتصنيع القطن المطري قصير التيلة الذي أدخله الإنجليز على غرار مشروع الجزيرة لإنتاج القطن المروي طويل التيلة. توافر هذا الإقليم على كل فرص نجاح إنتاج القطن، من

طبيعية (الأرض الصالحة والأمطار الوفيرة) وبشرية (الأيدي العاملة المحلية والمهاجرة)، الأمر الذي سمح بتوطن صناعته من خلال المحالج ومعاصر الزيوت المستخرجة من بذرته. وقد نتج عن ذلك نمو العديد من المستوطنات الملحقة بالمشروع، وبرزت على الفور مناطق مثل تلودي، وكادقلي، وكلوقي، وأم برمبيطة، ولقاوا، وأبي جبيهة. غير أنه منذ منتصف السبعينات بدأ الوهن يدب في أوصال هذا المشروع، لعدة أسباب سيرد ذكرها في متن الورقة، إلى أن توقف تماماً في منتصف التسعينات ولحق به ما لحق بمشروع الجزيرة.

تتناول هذه الورقة موضوع إنتاج القطن المطري قصير التيلة وتصنيعه ودوره في نمو وتطور المستوطنات البشرية بجبال النوبة، وما أحدثه من تغيرات اجتماعية واقتصادية خلال النصف الأول من القرن العشرين، قادت إلى تطور المنطقة عمرانياً واقتصادياً واجتماعياً. وتحاول الورقة إبراز العلاقة الارتباطية القوية بين القطاعين الزراعي والصناعي (التصنيع الزراعي Agro-Manufacturing) بمنطقة الدراسة، وتختم بمرحلة تدهور هذا النشاط الزراعي الصناعي وتوقفه تماماً، والآثار الاقتصادية والاجتماعية لهذا التدهور والتوقف. اتبعت الورقة عدة مناهج، أهمها منهج الأيكولوجيا السياسية الذي يهتم بتفاعل مجموعة الظروف البيئية والبشرية في ظل المعطى التاريخي والسياسي. هذا إلى جانب استجابتها للمنهج الإقليمي والإحصائي الكمي.

١. التأسيس والازدهار

أشارت دراسة قام بها كراوفود (Crowfood)[١] إلى وجود أثر لزراعة القطن المطري قصير التيلة في جبال النوبة قديماً، إلا أن المنتَج كان للاستخدام

(١) Grace M. Crowfood (1922): "The hand spinning of cotton in Sudan", *Sudan Notes and Records*, Vol. 7, No. 3, p. 90.

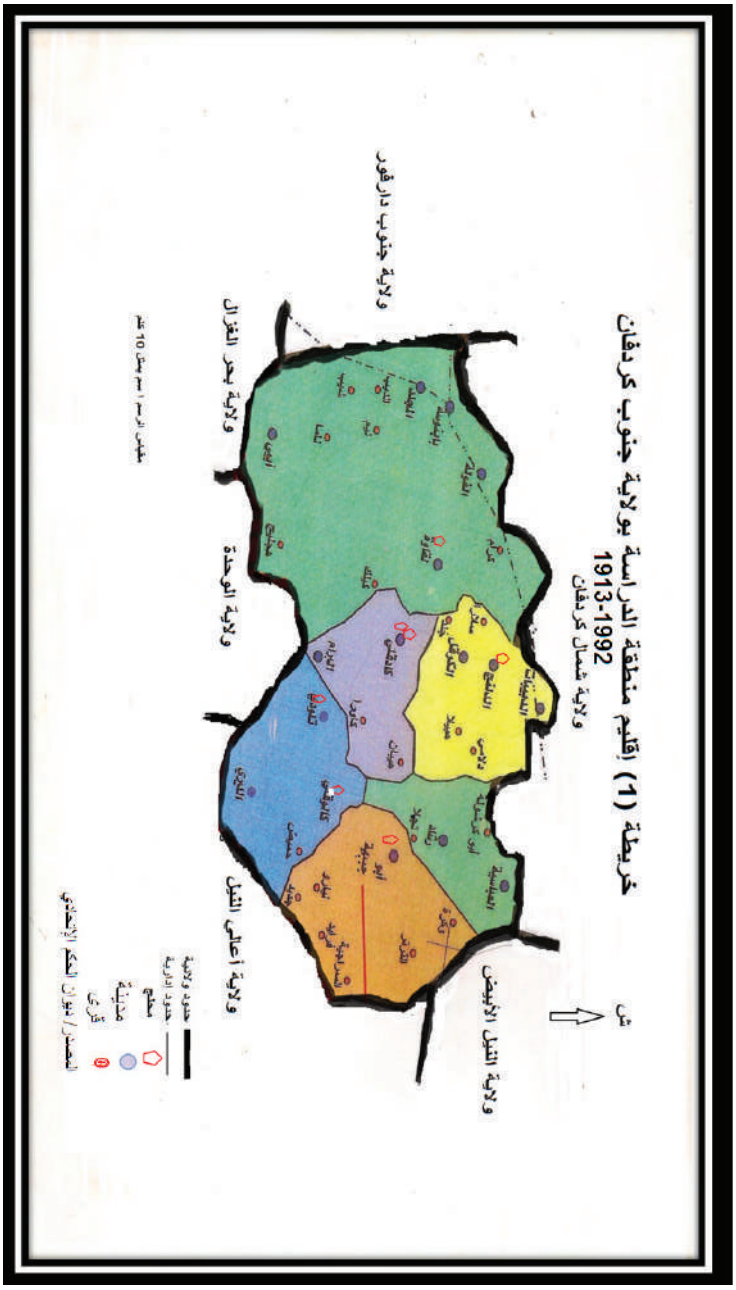
خريطة (1) إقليم منطقة الدراسة بولاية جنوب كردفان
1913-1992
ولاية شمال كردفان
ولاية جنوب دارفور
ولاية بحر الغزال
ولاية الوحدة
ولاية أعالي النيل
ولاية النيل الأبيض
ش
مقياس الرسم ١ سم يمثل 10 كم
حدود ولاية
حدود ادارية
محلج
مدينة
قرى
المصدر / ديوان الحكم الإتحادي

المحلِّي. لقد اهتمّ الإنجليز بالقطن المطري قصير التيلة في جبال النوبة باكراً،[٢] وتجلَّى ذلك من خلال التقارير الأولى لخط سير الحملة لإعادة فتح السودان، بوصفها وتحديدها منذ العام ١٩٠٣ في طريقها لاحتلال منطقة جبال النوبة، حيث حددت أكثر من عشرين منطقة تصلح لزراعة القطن المطري قصير التيلة والتي غدت فيما بعد مناطق الإنتاج ومواضع تركيب المحالج في الفترة من عام ١٩١١م – ١٩٣٦م.[٣] غير أن المشاكل المتَّصلة بالعمالة وقلَّة الخبرة وغياب البنية التحتية الخدمية دفعت بشركة شرق أفريقيا البريطانية لرفع يدها عن زراعة القطن المطري قصير التيلة، فتوجَّهت إلى التنقيب عن المعادن، وكان ذلك بمثابة المسعى الحقيقي الأول الذي لفت الانتباه باكراً للأهمية الاقتصادية لهذه المنطقة. أما المسعى الثاني الجاد فكان في عام ١٩٢١ عندما عُقِدت عدَّة اجتماعات بين الإدارة البريطانية وبعض الشركات بلندن لإيجاد حلول لمشكلات زراعة القطن المطري قصير التيلة بجبال النوبة، فيما تعلَّق بالبنيات التحتية، والخدمية، ومحطَّات البحوث، وخدمات الإرشاد الزراعي، ووسائل النقل والترحيل، وأهمّ من ذلك كلّه مشكلة التمويل الأول.[٤] انتهت الاجتماعات بدخول الإدارة البريطانية كشريك مع مجموعة من مالكي مصانع القطن المطري قصير التيلة بلانكشير، إلى جانب جمعية مزارعي القطن المطري قصير التيلة

(٢) Ahmed Othman Ibrahim (1978): A History of Nuba Mountains with Special Reference to British Policy and Administration 1898 - 1947. M.Sc., University of Khartoum.

(٣) عبد الرحمن النور التلب (١٩٧٣م): "دور مؤسسة جبال النوبة الزراعية في التنمية"، مؤتمر أركويت السابع حول التنمية الاجتماعية والاقتصادية لغرب السودان، الخرطوم.

(٤) عطا الحسن البطحاني (٢٠٠٩م): جبال النوبة: الإثنية السياسية والحركة الفلاحية ١٩٢٤م-١٩٦٩م، ط ٢، الخرطوم، دار عزَّة، ص 54.

البريطانيين (British Cotton Grower Association)، ونقابة المزارعين بالسودان (Sudan Plantation Syndicate)، ومؤسَّسة الإمبراطورية لإنتاج القطن المطري قصير التيلة ((The Empire Cotton Growing Corporation). وكان السؤال المحوري هو: من الذي سيتحمَّل المخاطر المالية المترتِّبة على توفير رأس المال اللازم لتسيير صناعة أقطان جبال النوبة وقتها؟ فكانت الإجابة تتمثَّل في قيام مشروع تشاركي بين اتِّحاد مزارعي القطن المطري قصير التيلة الإنجليزي ومؤسَّسة الإمبراطورية لزراعة القطن المطري قصير التيلة، على أن يكون شبيهاً بمشروع الجزيرة، بما في ذلك نظام تقسيم الأرباح، وأن يكون مجال عمل الشركة في شراء وحلج وتسويق الأقطان المنتَجة في جبال النوبة، إلى جانب أقطان المديريات الجنوبية. إلا أن الحاكم العام البريطاني لم يكن مطمئناً لمآلات المشروع، مع وجود صعوبة التوصُّل إلى الطريقة التي يجب التعامل بها في صناعة إنتاج القطن المطري قصير التيلة في الفترة ١٩٢٤م – ١٩٥٦.

أدى ذلك إلى سيطرة الحكومة واحتكارها زراعة القطن المطري قصير التيلة لوحدها بعد إقصائها للقطاع الخاص البريطاني. وقد أرادت الإدارة فرض وصايتها على النوبة تحت مظلَّة المحافظة على الاستقرار السياسي، حيث كان ذلك وراء استبعاد رأس المال الخاص للاستثمار في جبال النوبة، لأن ذلك سيؤدِّي حتماً إلى عقد اتِّفاقية لخلق نظام تشاركي لتقسيم الأرباح بين الحكومة والشركات والمزارعين. قد كان من الممكن أن تؤدِّي مثل هذه الاتفاقية إلى قيام مشروع كالجزيرة، إلا أن النافذين من الإنجليز استبعدوا الفكرة.[٥] يمكن النظر إلى نجاح المحالج التي اكتمل إنشاؤها في منطقة الدراسة بحلول عام ١٩٣٦،

(٥) نفس المرجع، ص ٩٨.

حيث بدأت بمحلج تلودي الذي ظهر إنتاجه في ١٩٢٤م، أُلحِق به محلجان بكادقلي عامي ١٩٣٠م و١٩٣١م. ولما كانت القُدرة الإنتاجية للأقطان المعالجة تفوق طاقة المحالج التشغيلية؛ نسبةً للزيادة المطردة في الإنتاج، الذي كان يتمّ نقله مائياً عبر ميناء تونجا (Tonga) على النيل الأبيض، كان لابُدّ من إضافة محالج جديدة لتستوعب الزيادة. هذا الأمر حدا بالإدارة البريطانية، على الرغم من الكساد العالمي الكبير في الثلاثينيات، إلى المضي قُدُماً في تركيب ثلاثة محالج إضافية، اثنان بالجبال الشرقية في أبي جبيهة وكلوقي، والمحلج الثالث بالجبال الغربية في لقاوا.[٦] وفي الموسم التالي مباشرةً، أي في موسم ١٩٣٥/١٩٣٦م، ولارتفاع الإنتاجية، أُضيف محلجان في أم برمبيطة والدلنج، كآخر محلجين تمّ تركيبهما، إذ يُلاحَظ أن هذه المحالج (خريطة ٢) تقع على أطراف منطقة الدراسة في شكل حلقة دائرية (نظرية التوطُّن الصناعي لكريستالر ١٩٣٣م)[٧] يتوسَّطها محلج أم برمبيطة. تتفاوت المساحة الزراعية التي يغطِّيها كل محلج، وهذه المساحة من الأرض كان لابُدّ من إدارتها بواسطة مؤسَّسة أو هيئة متخصِّصة لإدارة الزراعة والحلج والنقل وتسويق القطن، وهنا تتكامل نظريتا التوطن الصناعي لكل من فيبر (Weber 1909) وكريستالر (Christelar 1933).

(٦) انظر: Sudan Government Agriculture, Annual Reports 1934

(٧) كريستالر (Christelar:1933) صاحب نظرية المحلات المركزية (central places) التي عالجت حركة النقل والمبادلة ما بين المراكز العمرانية الكبرى وما حولها من المراكز الصغرى والتي تتمدد في شكل سداسي (hexagonal) أو شبه دائري، في ظل توفر شروط معينة. وبناءً على ذلك تتحدد مواضع التوطن الصناعي للمنشآت. لذلك حاول كريستالر إيجاد المبررات والتفسيرات العلمية لأحجام وأعداد وتوزيعات مراكز العمران التي تقدم الخدمات لظهيرها، كما أنه أراد أن يجد القوانين المتحكمة في هذه العلاقات.

بذلت الإدارة جهداً كبيراً في ترغيب المواطنين في زراعة القطن المطري قصير التيلة بمنحهم البذور مجاناً وصلاً لتجربة زراعة القطن المطري قصير التيلة الأولى التي سنّها ممتاز باشا في شرق السودان. وقد أدَّى ذلك لارتفاع الإنتاج حيث وصل إلى ١٣,٠٠٠ قنطاراً (Annual reports 1924 -1948) في الموسم الأول، وفي الموسم الثاني تضاعف الإنتاج وأخذ من بعد ذلك يتصاعد باستمرار إلى أن وصل في الثلاثينيات إلى ١٥٠,٠٠٠ قنطاراً (Agriculture Annual Reports 1924-1963). كان من الصعب معرفة المساحات المزروعة سنوياً بالضبط نسبة لأن زراعة القطن المطري قصير التيلة كانت تتم بعد الانتهاء من زراعة المحاصيل الاستهلاكية، ولم تكن هناك فترة محدَّدة لزراعته، وفوق ذلك كله كانت المساحات تترك لاختيار المزارع دون تدخل الدولة. ورغم كل ذلك ورغم من عدم وضوح الرؤية في العلاقة بين المُزارِع وصناعة الأقطان بجبال النوبة، كانت النتائج إيجابية. ولكن بعد نهاية الحرب الأهلية الأمريكية وتصاعد الهزَّة الاقتصادية (Economic Devastation)، تراجع إنتاج القطن المطري قصير التيلة في الفترة ١٩٣٥م – ١٩٣٩م إلى أن وصل الإنتاج إلى ٣٣,٠٠٠ قنطار بعد أن تجاوز ٤٠٠,٠٠٠ قنطاراً، ولم يتحسَّن إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، حيث ارتفع الإنتاج بمتوسِّط إنتاجية بلغ ٦٥٠,٠٠٠ قنطاراً سنوياً حتى الخمسينيات من القرن العشرين. واستمرَّت إدارة صناعة قطن جبال النوبة (NMCI) في الانتاج منذ عام ١٩٢٥م إلى أن تحوَّلت عام ١٩٦٧م إلى مؤسَّسة أقطان جبال النوبة (Nuba Mountains Cotton Corporation - NMCC). ولم تكن هذه بأفضل من سابقتها بالنسبة لصناعة أقطان جبال النوبة، حيث تمّ احتكار تسويق القطن المطري قصير التيلة دون منافس. وانتهجت المؤسَّسة نظام حساب

الشراكة (Joint Account System) إلا أن استجابة صغار المزارعين لم تكن مُرْضية، فانخفض الإنتاج في الأربع سنوات التي تلت التأسيس ١٩٦٧ –١٩٧٠م، مما أجبر الحكومة في عام ١٩٧٠م على الاستعاضة عن مؤسَّسة أقطان جبال النوبة (NMCC) بمؤسَّسة جبال النوبة للإنتاج الزراعي (Nuba Mountains Agricultural Production Corporation)التي كان مرجوًّاً منها إحداث تنمية في الإقليم من خلال الاهتمام بالقطن المطري قصير التيلة وإنسان المنطقة باستخدام أسلوب التحديث (Modernization) للنهوض بصغار المزارعين في القطاع التقليدي (Traditional Small Holders Sector) وذلك بإدخال الجرارات واتِّباع التقنيات الجديدة لتطوير القطاع. أُنشئت إدارة عُرِفت بـ"مصنع قطن جبال النوبة" (Nuba Mountains Cotton Industry (NMCI) تتبع لإدارة الزراعة والغابات على أساس تجاري بعد نجاح التجربة التجارية الأولى لحلج القطن المطري قصير التيلة. فاهتمَّت بزراعة القطن المطري قصير التيلة، إلا أن السياسات المتَّبعة وصلت إلى طريق مسدود نسبة لتدهور الإنتاج سنوياً. وعلى الرغم من أسلوب التحديث باستخدام الجرارات ودخول البنك الدولي مع اتِّحاد المزارعين، إلا أن الشيء الثابت هو التدهور المستمر الذي أدى في النهاية إلى حل المؤسسة عام ١٩٩٢م وتسريح العاملين، وذلك على الرغم من أن المحالج لم تسجل خسارة تحمل الحكومة آنذاك لحلها بالمرة. ولكن ارتباط المحالج بمناطق الصراع، وللفوائد المادية التي ستنعكس على المزراعين الذين تحسبهم الحكومة ذوي توجهات مناهضة للنظام، كبعض الشيوعيين بالمؤسسة، علاوة على أن بعض أبناء المزراعين والمزارعين أنفسهم لديهم علاقات قربى ببعض المتمردين، أدى كل ذلك – إلى جانب بعض المشكلات الموجودة أصلاً ومركبة في جسم الاقتصاد السوداني وفي الأنظمة

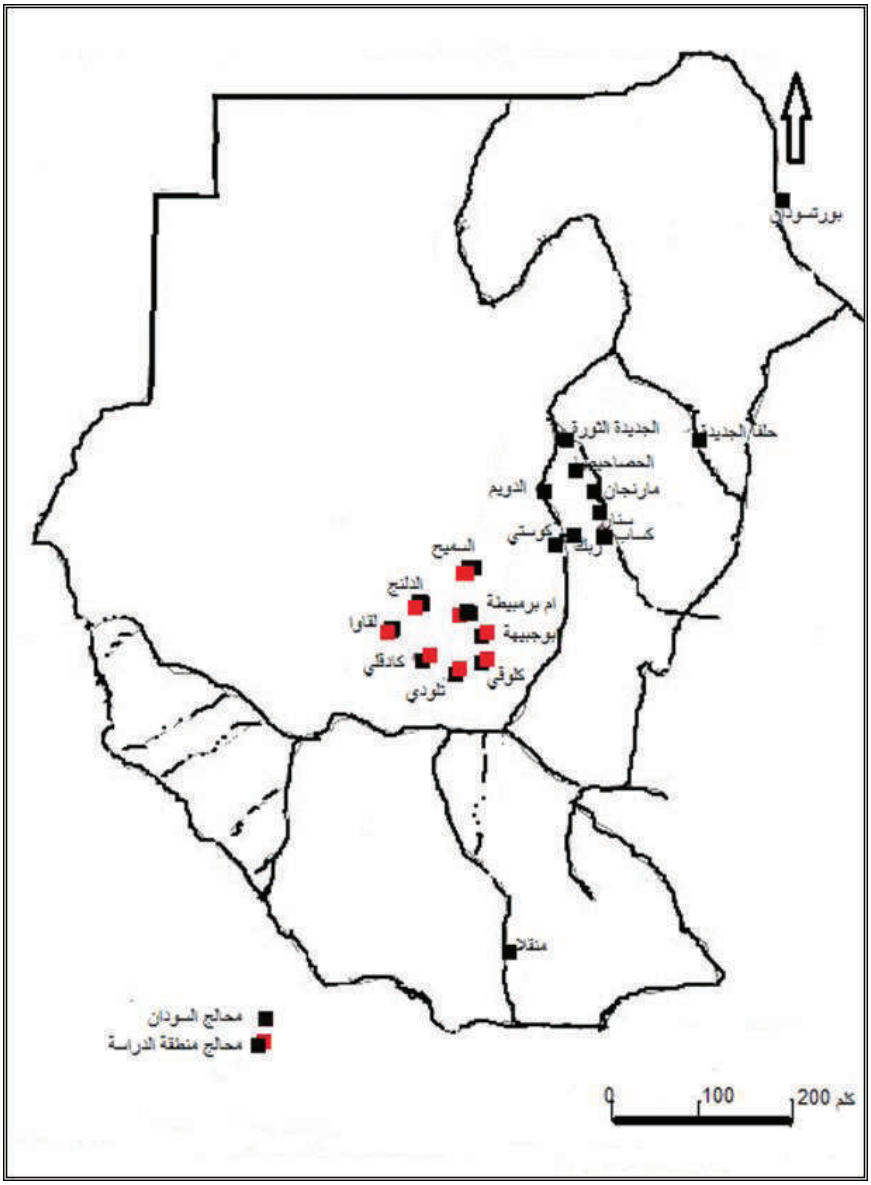

خريطة (٢) توزيع محالج القطن المطري قصير التيلة في السودان ١٩٢٤- ١٩٩٢م.

المصدر/ عمل البحث

الحاكمة – إلى حل مؤسسة جبال النوبة وغيرها من المؤسسات الزراعية الأخرى في إطار سياسات الخصخصة والصالح العام، مما انعكس سلباً على العمالة المسرحة وعلى المناطق اقتصادياً واجتماعياً كما سيرد لاحقاً في متنِ الورقة.

٢. فرص نجاح الإنتاج والتصنيع

تكاملت مجموعة من الفرص الطبيعية والبشرية في منطقة جبال النوبة أسهمت في نجاح تجربة زراعة القطن المطري قصير التيلة وتصنيعه،[٨] الأمر الذي قاد في مطلع القرن العشرين إلى توطين صناعته التي كان من الممكن أن تتطوَّر لتشمل مجموعةً من الصناعات الرديفة.[٩] تأتي في مُقدِّمة هذه الفرص، العناصر الطبيعية المكوِّنة لطبيعة الإقليم، إذ أن منطقة جبال النوبة تقع ما بين نطاق المناخ شبه الجاف وشبه الرطب، أمطاره تتراوح ما بين ٦٠٠ – ٧٠٠ ملم كمتوسِّط سنوي، وتعد هذه الأمطار مثالية لنجاح محصول القطن المطري قصير التيلة. وإلى جانب الأمطار نجد التربة الصالحة الخصبة والتي تنقسم لثلاثة أقسام، وهي التربات الرملية في الأطراف الشمالية والتربات الطينية في الأجزاء الوسطى والجنوبية، أما التربات الفيضية فنجدها على طول المجاري المائية المنتشرة في المنطقة عموماً. وهذه الثلاث تربات تتوفَّر في منطقة الدراسة، تتصدَّرها التربة الطينية. إن منطقة جبال النوبة تكاد تكون برمَّتها أرضاً صالحة للزراعة عدا بعض المناطق الجبلية التي إذا ما أُحسِنت إدارتها

(٨) Mohmed Hashim Awad (1964): The Export of Cotton since the War. M.Sc. thesis, University of London.; G.M. Crowfood (1924): "Handsprings of cotton in the Sudan", *Sudan Notes and Records*, vol.7, pp. 86 - 87.

(٩) عبد الله، أحمد عبد الله (١٩٩٥م): نحو نمو زراعي أفضل ومستدام، الخرطوم، المركز القومي للبحوث، ص ١٣.

يمكن أن تُستزرع؛ فالأراضي لم تُستغل بعد، بل وتلك التي تمَّت زراعتها لم تُستنزَف خصوبتها؛ فأعطت نتائج ممتازة للأقطان المنتجة لخلوها من العسلة. ولهذه الأفضلية وجدت أقطان جبال النوبة سوقاً رائجة، علاوةً على صغر المساحات المزروعة أصلاً مما يجعل رصيد المنطقة كبيراً كفرصة سانحة تمنح الاستثمار الزراعي إمكانية للنجاح مستقبلاً، لا سيما وأن قطن منطقة الدراسة يعتبر من الأقطان قليلة الأمراض، مما يكسبها سمعة طيبة،(١٠) حيث تُقدَّر الأرض الصالحة للزراعة في جبال النوبة بحوالي ١٧،٩٦٠،٥٤٠ فداناً،(١١) إلا أن المستغل منها ٥٪ فقط.(١٢)

قادت العديد من الفرص البشرية، إلى جانب الفرص الطبيعية، إلى نجاح إنتاج هذا النوع من القطن وصناعته، وتمثَّلت الفرص في سياسة الحكومات التي ساهمت بدور فاعل في ذلك. وتتفاوت هذه السياسات تبعاً لنظام الحُكْم؛ ففي بواكير نشأة حلج القطن المطري قصير التيلة في السودان كان الحلج حكراً على المحالج التركية عدا محلج خواجة إلياس ببورتسودان، ثم آلت إدارة المحالج إلى شراكة ما بين المستعمر والشركات عابرة القارات لاحقاً. فقد اهتمَّت الحكومة عام ١٩٢٥م بمساعدة شركات القطاع الخاص في إدارة إنتاج وصناعة القطن

(١٠) R.F. Massey (1924): "Bacterial diseases of cotton of Sudan", *Sudan Notes and Records*, vol.7, p. 124.

انظر أيضاً: يحيى محمود مصطفى، (ب ت)، "السياسة الزراعية في السودان"، دار الوثائق المركزية، الخرطوم، التسجيل ٢٦٤٦، التصنيف ٣٣٣٦٣، ص ١٧٤.

(١١) عوض أحمد مختار (١٩٨٥م): "فكرة تنظيم القُرى في الإقليم وكيفية تطبيقها"، ورقة مقدمة لمؤتمر تنمية إقليم كردفان، الخرطوم، ١٩٨٠م.

(١٢) داؤود حماد (١٩٨٠م): "تقييم جدوى الدراسات والمشاريع السابقة والحالية: مشاريع التحديث الزراعي في مؤسَّسة جبال النوبة الزراعية"، ورقة مقدمة لمؤتمر تنمية إقليم كردفان، الخرطوم.

(Nuba Mountains Cotton Industry). وكان النظام الصناعي الذي يسلكه المحلج يعكس سلوك الدولة ونظامها السياسي العام؛ فهذا النوع من التصنيع يدور في فلك الاقتصاد التابع، حيث يعكس سياسة الإدارة البريطانية التي اهتمَّت بإنتاج القطن المطري قصير التيلة تلبيةً لحاجة السوق المحلي البريطاني، بدليل عدم انتشار مصانع للغزل أو النسيج في الجبال، إنما كان الإنتاج لحلج القطن فقط للتخلص من بذرته وتصديره خاماً. كما أثبت إنسان المنطقة أن مسألة رأس المال النقدي، وإن كان عنصراً مهمَّاً في نجاح وتوطين الصناعة، لم يكن عائقاً أمام نجاح صناعة حلج القطن؛ حيث تمكَّن من تجاوزه. وبخصوص رأس المال المنتج، فمؤسَّسة جبال النوبة قد أوجدت لنفسها أرضية ثابتة؛ فقد زوَّدت كل مستوطنة بمحلج للقطن أُلحِق به مكاتب ومنازل ومستودعات وآليات. وعادةً لا يكون لرأس المال الثابت أهميَّة كبيرة إلا بعد توفُّر رأس المال النقدي اللازم لشراء المستلزمات والمعينات.[١٣] وهذا بالضبط ما حدث، إذ اكتملت المباني في تاريخ متأخِّر لنشأة الصناعة. وفي العصر المعاصر قلّ دور رأس المال في اختيار الموضع، حيث أصبح بالإمكان توفيره بالاعتماد على القروض وصيغ التمويل مع بعض الضمانات، مما يحتاج إلى أوضاع سياسية مستقرة.

٣. سمات تدهور الإنتاج وتوقُّف التصنيع

استعرضت الدراسة التي أجرتها الهيئة العامة للتحكيم واختبارات القطن المصرية ٢٠٠٦م، الأثر النسبي المتوقَّع على مساحات محصول القطن في ظل التوسُّع المتوقَّع في زراعة المحاصيل المنتِجة للطاقة الحيوية (قصب

(١٣) فؤاد محمد الصقار (١٩٨٠م): جغرافية الصناعة في العالم، منشأة المعارف، الإسكندرية، ص، ٢٤١.

السكَّر، بنجر السكَّر، الجاتروفا، الذرة الرفيعة، الذرة الشامية والبلح). فزيادة أسعار هذه المحاصيل تؤدِّي إلى التوسُّع في زراعتها على حساب مساحات القطن؛ ويمكن النظر إلى الشكل رقم (١) الذي يوضِّح مدى تأثُّر محصول القطن المطري بمنافسة المحاصيل النقدية مثل الذرة والسمسم واللوبيا والكركدى التي خصمت كثيراً من إمكانية التطلُّع إلى محصول القطن كمحصول نقدي كان وحيداً في الساحة. وتتمثَّل سمات تدهور إنتاج القطن المطري ومظاهر توقُّف التصنيع الزراعي فيما يلي:

- التوسُّع في استيراد القطن المطري قصير التيلة من الخارج وبأثمان أقلّ من السعر المحلِّي، مما أثَّر على الكميات المنتجة، وذلك لدعمها من دولها على الرغم من أن صفاتها الغزلية التي تقلّ كثيراً عن الأقطان السودانية.

- ارتفاع تكاليف الإنتاج في مقابل أسعار البيع، يُضاف إلى ذلك الكميَّات المنتَجة في الجزيرة والمناقل والتي شكَّلت عامل ضغط على أقطان جبال النوبة ذات الكميَّة القليلة التي يتمّ تسويقها بواسطة هيئة الأقطان، الأمر الذي أدَّى لحجزها بالداخل لسد حاجة المصانع المحلية.

الأزمات الاقتصادية التي يمرّ بها العالم أدَّت إلى تراجع الإنتاج المتمثِّل في:

- انخفاض المساحة نتيجة لارتفاع تكلفة الإنتاج، فأصبح القطن غير مرغوب فيه من قبل المنتجين، ونجم عن ذلك انخفاض أسعاره لنزوع المنتجين إلى زراعة محاصيل نقدية بديلة كالسمسم والذرة والكركدي والفول السوداني واللوبيا تحديداً.

- التوسُّع في استيراد الملابس الرخيصة الجاهزة المصنوعة من الألياف الصناعية.

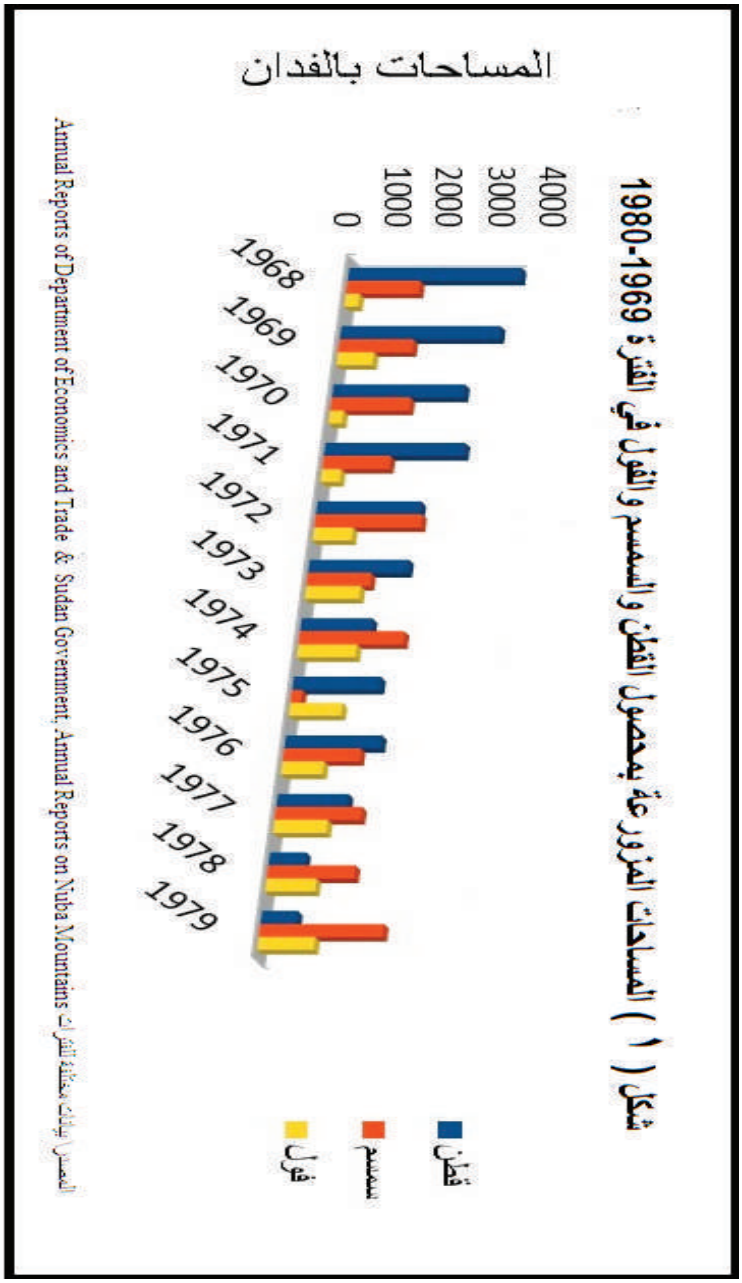

شكل (١) المساحات المزروعة بمحصول القطن والسمسم والفول في الفترة 1969-1980

المصدر: بيانات مختلفة للتقارير Annual Reports of Department of Economics and Trade & Sudan Government. Annual Reports on Nuba Mountains

- منافسة المحاصيل التي تقل تكلفة إنتاجها مع ارتفاع أسعارها بالمقارنة مع القطن المطري قصير التيلة.
- تدهور البنية التحتية كالطرق والكباري.
- مشكلات مياه الشرب خاصة في فصل الصيف.
- تدهور الحالة الأمنية كامتداد للعنف المتبادل منذ الثمانينيات.

وبذلك فقد احتلَّت أقطان جبال النوبة المرتبة الثانية في السودان من حيث الإنتاج في مساحة قُدِّرت ٣٠٠,٠٠٠ فداناً موسم ١٩٥٥-١٩٥٦م. وفي عام ١٩٦٤-١٩٦٥م مثلاً قفز الإنتاج في منطقة الدراسة من محصول القطن إلى ٥٠,٠٠٠,٠٠٠ بالة شعرة.(١٤) فعلى الرغم من التدهور العام الذي اتسمت به تلك الفترة، إلا أن خصوبة التربة وقلة الآفات مع إعتدال هطول الأمطار وملاءمة المناخ أدت إلى إرتفاع إنتاجية الفدان.

٤.عوامل تدهور الإنتاج

إن المشروعات التي أقيمت لم يُستفد منها الفائدة المرجوة، لذلك عاش الإنسان في تلك المناطق مهمشاً وفي علاقة عكسية مع تلك المشروعات الإنمائية،(١٥) إذ يتقلَّص دوره كلما تمدَّدت المشروعات؛ فبدلاً من أن يكون هو جوهرها والمستفيد من خيراتها، نجده لم يحظَ إلا بالقدر اليسير من فوائدها.

(١٤) Nuba Mountains Region, Pilot project for agricultural development, feasibility study, 1977, Germany, p.4.

(١٥) حامد البشير إبراهيم (١٩٨٠م): "آثار الزراعة الآلية التجارية لمنطقة جبال النوبة"، ورقة مقدمة لمؤتمر تنمية إقليم كردفان، الخرطوم.

وبالرغم من كل ذلك، كان المأمول في القطن[١٦] أن يسهم في تجسير وبناء مشروع الوحدة الوطنية وتفعيل آليات الاندماج السلس عبر شراكات استراتيجية، مفضية إلى تعاون بناء بين كافة قطاعات المجتمع، مما يفتح الباب واسعاً أمام كثير من فرص العمل. فبالرغم من تحديث الزراعة والتوسُّع في المساحات المزروعة وضخامة حجم التمويل، إلا أن العائد كان غير مجزٍ ترتَّب عليه انخفاض مستوى معيشة المزارعين. فنسبة لمحدودية دخلهم، فقد تعذَّر حصولهم على أبسط فرص الحياة؛ فازدادت البطالة وانخفضت القوى البشرية المدرَّبة.[١٧] فمن الطبيعي أن ينعكس ذلك على قطاع المحالج للتأثيرات التي أضرَّت بالقطن المطري قصير التيلة، فانخفض الإنتاج لانكماش المساحات وتقلُّصها لصالح محاصيل أخرى (الشكل٢). جدير بالذكر أن جبال النوبة قد عانت من أثر عدم التوزيع العادل لفرص التنمية على مرّ التاريخ الحديث جراء سياسات الاقتصاد السوداني الذي لم تُبنَ هياكله التنموية على استراتيجية علمية تنشد العدالة من خلال توزيع فُرص التنمية، لذلك كان من الطبيعي أن يتأثَّر المحصول الذي ارتبط بعوامل أخرى أبرزها سياسة الدولة ممثَّلة في تطبيق سياسة التحرير والخصخصة، بالإضافة إلى عوامل بيئية وبشرية اقتصادية وتقنية ولوجستية وأمنية وغيرها، كما أن لتدهور الإنتاج المضطرد وعدم مقدرة الدولة للإيفاء بمسؤلياتها والتزاماتها في ضوء التدهور العام للاقتصاد السوداني برمته قد

(١٦) سليمان سيد أحمد السيد (١٩٩٩م): "الزراعة وتحديات العولمة"، الدراسات الإستراتيجية، الخرطوم، ص ٥٢.

(١٧) Wood, R. Gail (1971): *Agricultural System in Nuba Mountains*. California, p. 18.

انظر أيضاً: عبد الجليل عبد الجبار وآخرون (١٩٨٥م): "القطاع الزراعي"، المؤتمر الاقتصادي القومي للفترة من ١٩٦٤ - ١٩٨٥م، الخرطوم.

أثر تأثيراً كبيراً على المنطقة. تلك الأوضاع جعلت مؤسسة جبال النوبة مستودعاً كبيراً للعمالة مع ضعف طاقتها الحلجية لضعف وارد القطن أساساً من مناطق الإنتاج التي أخذت تهتم بزراعة المحصولات النقدية في مناطق القطن.

٥ . الآثار الاقتصادية لتدهور الإنتاج والتصنيع

ارتفع إنتاج القطن بعد أن استقرَّت الأحوال العامة في الإقليم وسادت حالة الأمن؛ فأنشئت العديد من مراكز تجميع القطن (Spots) بغية نقله إلى المحالج الثمانية المذكورة آنفاً، فتحوَّلت هذه الزرائب إلى مراكز جذب للنشاط التجاري وتحوَّلت تلقائياً إلى أسواق أسبوعية تمّ تنظيمها بالتداول فأحدثت حِراكاً اجتماعياً فاعلاً عمل على دعم الروابط بين المتجوِّلين من التجار خارج المنطقة والمحليين على أثر النشاط الاقتصادي المزدهر. وفي غضون ذلك نمت وازدهرت تلك المناطق فغدت مناطق استقطاب أفادت واستفادت من القرى المجاورة والبعيدة. إذ يعزى النمو والتطور الذي حدث إلى دخول منطقة جبال النوبة في الاقتصاد الحديث الذي ارتبط بدخول بذرة القطن عجلة الإنتاج.

لقد أضافت الإدارة البريطانية أعباءً جديدةً تمثَّلت في وكلائهم من التجَّار الشماليين والإدارة الأهلية الذين استُخدِموا في تنفيذ أجندة الرأسمالية بأقل تكلفة، الأمر الذي يدلّ على أن بذور تدهور إنتاج وصناعة القطن المطري قد بذرت مع زراعته، على الرغم من النجاحات الباهرة هنا وهناك.

- أحدثت زراعة القطن المطري قصير التيلة وتصنيعه تطوُّراً وحِراكاً ملموساً، إلا أن هذا التطوُّر، كما يذهب أمبدة[١٨] (١٩٨٩م) والبشير (١٩٨٤م) و(١٩٩٨م)،

(١٨) صديق أمبدة (١٩٩٨م): "مؤشرات الغبن التنموي في الريف السوداني"، (مجموعة أوراق سمنارات)، مركز البحوث والدراسات، الإنمائية جامعة الخرطوم.

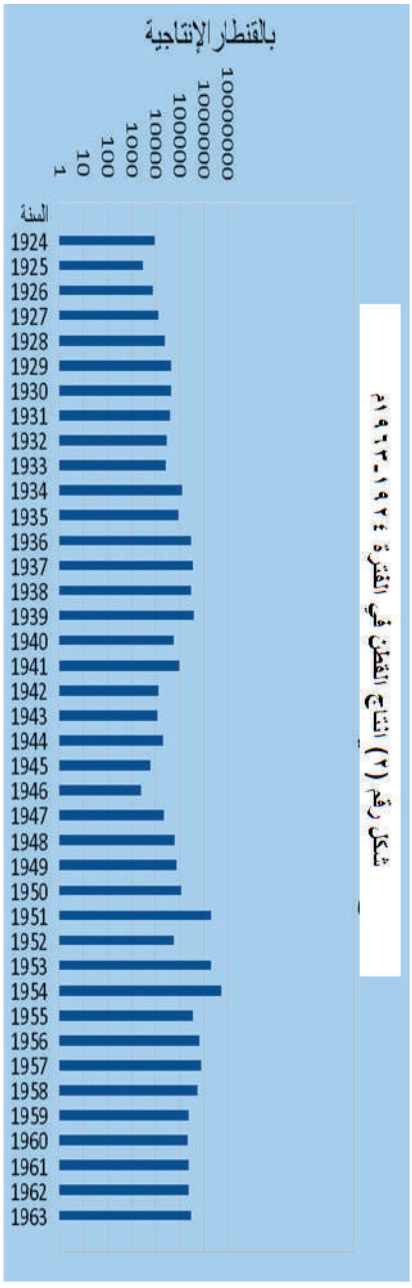

المصدر/ بيانات مختلفة للفترات المذكورة ١٩٢٤ – ١٩٦٤م

Annual Reports of Department of Economics and Trade &
Sudan Government, Annual Reports on Nuba Mountains

لم يكن متوازياً ومطرداً مع التحولات التي كانت مرجوة من محصول في ضوء وجود احتياطي من عائدات القطن المطري والاستقطاعات التي تؤخذ من المزارعين لتنشيط دور الخدمات الاجتماعية (البطحاني، ٢٠٠٩م)، علماً بأن كلفة زراعة القطن المطري قصير التيلة في المنطقة المطرية خاصَّةً القطاع التقليدي، غير مكلفة مادياً لعدم وجود مصروفات على المدخلات الزراعية مقارنة مع المناطق المروية، رغم كل ذلك لم تسهم عائدات القطن الإسهام المطلوب.

- أخذ إنتاج القطن وصناعته منذ الستينيات في الانحدار نحو الأسوأ، وهي النقطة التي يمكن التأسيس عليها عموماً كبداية فعلية لتدهور زراعة القطن في جبال النوبة ، إلى أن توقَّفت تماماً وذلك لعدم رغبة المزارعين، خاصة بعد تدنِّي الأسعار، فانخفض الإنتاج إلى ٥٢٪ كما حدث في الفترة من ١٩٦٠ – ١٩٧١م (تقرير مؤسَّسة جبال النوبة، ١٩٨٥م والشكل (٣،٤)).

- إن انهيار منظومة اقتصادية متكاملة كانت ترتبط بإنتاج القطن المطري قصير التيلة؛ فعلى مستوى المزارعين يمكن التأكيد على تراجع دخلهم المعتمد أساساً على النشاط الزراعي والتصنيعي لمحصول القطن، وهذه مسلمة لطالما توقف الإنتاج، مما أدى إلى فقدان فُرصة الادِّخار التي كانت تبدو جلية في اقتناء المواشي باعتبارها أحد مصادر تنويع الدخل وإضفاء المكانة الاجتماعية.

- ساهم إنتاج القطن المطري قصير التيلة على استبقاء النوبة في مناطقهم، مما أدَّى لنجاح زراعته؛ فتدهور إنتاجه يعني خسارة زراعة الأرض وإبطاء حركة النمو والتطوُّر الاقتصادي.

- أدَّى توقُّف زراعة القطن المطري قصير التيلة إلى انقطاع حركة الناقلات التي كثيراً ما كانت ترفد المنطقة في تلك الفترة بمنتجات المدن البعيدة من البضائع، لكونها عند دخولها المنطقة تأتي فارغة لنقل القطن، فبانخفاض وتيرة هذه الحركة تقلَّصت فُرص التواصل الاقتصادي والاجتماعي فتراجعت سرعة النمو العمراني والاندماج الثقافي والخدمات والأنشطة الأخرى.

- إن توقُّف الحلج يعني توقُّف الأيدي العاملة على مستوى الحقل منذ بذر الحبوب والجني وحتى حلج القطن وما يتعلَّق بذلك من عمليات غير مباشرة. فالعمالة الموسمية التي تنشط بعد نهاية موسم الزراعة أو أثناءه لزيادة دخلها المحدود أصلاً، فقدت أحد أهمّ مصادر تنويع دخلها المحدود بحل المؤسَّسة. وكذلك الحال بالنسبة لعمَّال وموظَّفي المحالج من كبار المهندسين والفنيين والخبراء الزراعيين والكوادر المصاحبة؛ فقد خسرتهم المنطقة قبل أن يخسروا هم وظائفهم.

- أدَّى تدهور المحالج إلى توقُّف الماكينات؛ فبيعت الممتلكات وخُصخِصت بعض الأصول دون النظر إلى سُبُل العلاج الذي لم يكن بعيداً.

- خسرت المنطقة الأسواق المرتبطة بإنتاج القطن لأن هذه الأسواق كانت تعتمد كلياً على العمالة الدائمة أو الموسمية؛ فلم يتأثَّر المجاورون للقطن فحسب، بل تعدَّاهم إلى آخرين، كما فقدت المنطقة فُرص التأهيل الفنِّي والمهني للعديد من الكوادر وانخفض معدَّل تراكم الخبرات.

٦. الآثار الاجتماعية لتدهور الإنتاج والتصنيع

في عام ١٩٩٠م دخلت المؤسَّسة في مرحلة الأزمة بصدور قرار الخصصة الذي قضى بحل عدد من المؤسَّسات الزراعية، من بينها مؤسَّسة جبال النوبة،

في عام ١٩٩٢م. وعلى إثر ذلك تداعت النتائج الاجتماعية والاقتصادية السالبة، بعد التطوُّر والازدهار الذي شهدته المنطقة بتركيب المحالج التي عملت على تقديم نموذج التغيُّر الاجتماعي والاقتصادي كعلامة فارقة في خريطة المنطقة العمرانية بنمو المستوطنات البشرية بجبال النوبة. لقد أحدث دخول زراعة القطن المطري قصير التيلة إلى جبال النوبة حِراكاً اجتماعياً واقتصادياً كبيراً كما أسلفنا، لذلك يُعتبَر هذا المحصول مفتاح التنمية لكونه سهَّل حركة تداول النقود في المنطقة لدى النوبة لأول مرَّة بشكل كثيف، حيث كان الأهلون يتعاملون في علاقاتهم الاقتصادية بأسلوب المقايضة العينية. هذا الحِراك الاقتصادي تبعته نتائج جعلت مستوى المعيشة أفضل مما هو عليه سابقاً بفضل زراعة القطن المطري قصير التيلة، كما أن القبائل العربية، وبفضل استثمارها في زراعة القطن، تمكَّنت في فترة وجيزة من استعادة بعض ثروتها الحيوانية التي تآكلت بفعل فترتي التركية والمهدية.[١٩]

وبعد أن نجحت الإدارة البريطانية في إقناع النوبة سِلماً وحرباً بالعدول عن سكن الجبال والتحرُّك نحو السهول، استقرَّت الأحوال وساد الأمن الذي لعب فيه نجاح تجارب زراعة القطن في تلودي ١٩١٣م دوراً محورياً. فانخرطت القبائل العربية في زراعة القطن بشكل كثيف لكونها أول من عرف قيمة النقود في المنطقة بفضل التجَّار الشماليين الذين عملوا كوكلاء للإدارة البريطانية في مجال الأقطان في شراء وترحيل القطن المطري.[٢٠] وبحلول العقد الثاني من القرن العشرين بدأت ملامح المستوطنات تتشكَّل بظهور الخدمات الاجتماعية

(١٩) حامد البشير إبراهيم، مرجع سابق.

(٢٠) عطا البطحاني، مصدر سابق، ص ١٠٩.

التي صاحبت تركيب المحالج ونمو الأسواق. إن إنتاج القطن وتصنيعه في جبال النوبة كان له بالغ الأثر في بناء العتبة الأولى في سُلَّم التنمية في منطقة لم تعرف أصلاً النقود إلا بفضل زراعة القطن المطري، باعتباره رائد عملية الازدهار في المنطقة والذي تبدَّت نتائجه بشكل واضح في القبائل العربية لكونها أول من عرف قيمة النقود[٢١] وبفضل التجَّار الشماليين الذين عملوا في النشاط باكراً. وبدخول محصول القطن ثقافتهم الزراعية ظهر بوضوح أثر العمل الجماعي الذي انتظم المنطقة في إنجاز المهام كافة من خلال منهج النفير السائد قبلاً؛ فكان لهذا الأمر الأثر الطيب في الترابط الاجتماعي. ولما زاد الإنتاج وأصبح فوق مقدرة المزارعين، تطلب الأمر دخول أيادٍ عاملة إضافية موسمية، فكان أن برزت ثلاث مناطق: البرداب بكادقلي، وشركيلا بالعباسية، وأم علوان بالدلنج، حيث صُممت خصيصاً لقبائل غرب افريقيا الوافدة آنذاك (البرقو- البرنو- الفلاتة) التي كان لها سابق تجربة في أقاليمها في زراعة القطن، وقد كان لإنتاج القطن المطري قصير التيلة وتصنيعه الأثر الطيب في العلاقات الاجتماعية بين السكان المحليين والوافدين. ولكن بتدهور الإنتاج وتوقف التصنيع، إنهارت الوشائج ونظم العلاقات الاجتماعية، والتي انتكست مرة أخرى نتيجة للاستقطابات السياسية والعسكرية والحزبية والقبلية الحادة. فتأزم الوضع وتدهورت شبكة العلاقات الاجتماعية لارتباطها لاحقاً بالموارد الطبيعية.

إن القرى (ظهير المدينة) تعمل ضمن وظيفتها الأساسية على رفد المدن بالاحتياجات الزراعية بشكل أساسي، حتى تتفرغ المدن لمزاولة أنشطتها غير

(٢١) كانت القبائل العربية تمجد محصول القطن المطري قصير التيلة وتطلق عليه أبو فذاري جياب البكاري (النساء) يملأ إبدك شعر ورجلك بعر (بقر). انظر أيضاً: يوسف إسحق أحمد (٢٠٠٨م): الماضي المعاش في جبال النوبة – منطقة الأجانج، الخرطوم، دار عزة للنشر والتوزيع، ص ٢٥.

الزراعية، وأبرزها في منطقة الدراسة المحالج التي تعمل في حلج القطن وتعبئته في بالات، علاوة على صناعة زيت بذرة القطن والصابون وصناعة مكرور الزيت (القطران) والأمباز. فالمستوطنات البشرية التي أُلحقت بها هذه المحالج، نجدها أكثر المناطق استقراراً، لما اتسمت به من حيوية ونشاط، خاصة في موسم الحصاد. كما أن هذه القرى كانت تتجمع أسبوعياً في مراكز تجميع القطن التي غدت لاحقاً أسواقاً أسبوعية بغرض عرض وشراء الأشياء. إلى جانب ذلك، فقد شهدت مناطق الإنتاج والتصنيع – وهذا هو الأهم – حراكاً اجتماعياً عريضاً عمل على تشكيل بنية وعي جمعي باكر بفضل تأسيس اتحاد مزارعي جبال النوبة، وهو بذلك يمثل بذرة الوعي التعبوي للبحث في هموم ومشكلات المنطقة. فبتدهور زراعة القطن وتوقف نشاط المحالج، حُلت عقدة كبيرة في منظومة العمل الاجتماعي الذي كانت من ضمن أجندته العمل على تطور المنطقة بتلمس المشكلات وإنفاذ التوصيات بالبحث في الحلول الممكنة مع جهات الاختصاص.

إن المناطق التي تميزت بزراعة القطن هي الأكثر استقراراً صيفاً، وذلك بحصاد المياه الذي مثل واحداً من أكبر محددات زراعة القطن المطري في جبال النوبة. وبخروج القطن من دائرة الإنتاج قل الاهتمام بهذه المناطق، فأثر ذلك سلباً على الحياة الاجتماعية التي كانت تستفيد كثيراً من حركة وسائل النقل (القندرانات والترلات) في نقل المياه والسلع والبضائع والركاب. ومعلوم أن المدينة تبدأ حينما ينتهي الطريق؛ فبتدهور النقل فقدت المنطقة عاملاً مهماً في البناء الاجتماعي بغياب عنصر التفعيل. لم ينحصر تدهور وتوقف نشاط زراعة القطن المطري قصير التيلة على المتصلين به مباشرة وبالمحالج والمزراعين الذين كان لهم القِدح المعلى في النهوض بهذه المستوطنات، إذ

بفضلهم تراكمت كثير من الأنشطة الاجتماعية الداعمة كخدمات التعليم، والصحة، والغابات، والبساتين وغيرها، بل تعداهم إلى العمالة الوافدة التي تعمل في المحالج ككوادر مساعدة، كالفنيين والحدادين والإداريين والمحاسبين والكتبة والبرادين والسائقين والزياتين، إلخ. هذا علماً بأن هذه المنظومة كانت لديها أحياء سكنية منفصلة في تلك المستوطنات، أسهمت بقدر وافر في توطيد أواصر العلاقات الاجتماعية في ما بينها وبقية السكان، ثم هناك حركة اجتماعية تمخضت في المدن عن هذه المحالج، وذلك بمشاركة الوافدين من العمال والموظفين والفنيين، حيث أُستفيد منهم في الأنشطة الاجتماعية، خاصة الأندية الثقافية والرياضية وبقية ضروب الحياة الأخرى التي ما كانت لتنضج ويكتمل تمامها إلا بمشاركة هؤلاء النفر الذين قدموا إلى منطقة الدراسة. ولكن بتدهور محصول القطن المطري قصير التيلة انهارت النتائج الإيجابية وحل محلها البوار.

لقد تأثرت كذلك النواحي الاجتماعية سلباً بتوقف نشاط المحالج سنة ١٩٩٠م نتيجة لسياسات ما يعرف بالصالح العام، مما أدى لزيادة البطالة، وهذا بدوره أدى إلى زعزعة وتشريد أسرهم لعدم صرف الاستحقاقات وفوائد ما بعد الخدمة. إن برنامج مشاريع التحديث الزراعي التي أدخلت عام ١٩٨٥م قد أدت إلى إفقار النوبة على فقرهم، خاصة صغار المزارعين، مما يؤكد فشل مخططات التنمية الزراعية،[٢٢] وكذلك لم ينجح المشروع التعاوني لصغار المزارعين ومشروع التنمية الريفية لجبال النوبة (١٩٨٠-١٩٨٧م) في الوصول

(٢٢) رابح محمد نور (١٩٩٥م)، "التغيرات في نظم حيازة الأرض واستخداماتها وأثارها في جبال النوبة الشرقية ١٩٧٠-١٩٩٥م" ، ورقة مقدمة لمؤتمر تنمية إقليم كردفان، الخرطوم.

إلى الريف، وهذا لا يذهب بعيداً عن نتائج مشاريع الزراعة الآلية ١٩٦٧م التي أدت إلى هيمنة طبقة محددة على اقتصاد المنطقة تماماً. وبسبب فشل سياسات التنمية الزراعية وطبيعتها المجحفة، وصل بعض السكان المحليين إلى حالة من الاحباط والغبن[٢٣] أدت إلى استعار أوار الحرب سنة ١٩٨٥م، والتي نجم عنها:-

- التحول من إنتاج القطن المطري إلى إنتاج الذرة ليس لأغراض الاكتفاء الذاتي، بل كإنتاج نقدي.
- الاخلال بالنظام الإيكلوجي وانخفاض إنتاج محصول القطن المطري.

تغيُّر نمط ملكية الأرض من المشاع إلى الفردي المقيد أدى إلى توسع الزراعة الآلية على حساب الزراعة التقليدية والرعي.

إن ظاهرة العمل الموسمي في المحالج أدت إلى تنشيط الحِراك الاقتصادي الذي بموجبه توطنت بعض المجموعات السكَّانية والتي غدت مواضع سكناها فيما بعد جزءً من منظومة المستوطنات، إلا أنها أخذت تفقد تماسكها ففقدت جراء ذلك فرصة النمو والتطوُّر التلقائي.

الخاتمة

لقد كانت لزراعة وحلج القطن المطري قصير التيلة في جبال النوبة أثر كبير في التنمية العمرانية والاقتصادية والاجتماعية؛ فنمت وتطورت كثير من المناطق بقدر أفضل مما كانت عليه المنطقة سابقاً. وبتدهور زراعته نجمت جملة من الآثار الاجتماعية والاقتصادية السالبةً، يمكن إجمالها في توقُّف

(٢٣) صديق أمبدة، مرجع سابق.

النمو التلقائي للأنشطة المصاحبة التي كانت سائدة آنذاك، خاصة في مناطق الإنتاج؛ فتدهورت الخدمات وفُقِدت روح التواصل بعد أن غادر الإقليم بعض من جموع المُسرَّحين بالصالح العام والخصخصة.

أما النمو الذي ظهر مؤخَّراً في المستوطنات الكبيرة التي حظيت بتركيب المحالج، فهو ذو دلالة ذات وجهين: يتمثَّل الوجه الأول في كون القطن المطري قصير التيلة قد مثَّل قاعدةً أساسية للمستوطنات البشرية، لأنها وبفضله اكتسبت المكانة والكثافة السكَّانية والسمعة، فنمت وتطوَّرت على حساب محيطها الريفي. أما الوجه الآخر لتفسير ذلك فهو أن المستوطنات البشرية بجبال النوبة قد تراجعت اقتصادياً، وأصبحت تعتمد من ثمّ على ظهيرها المحيط بها والذي أخذت مساحات زراعة القطن المطري قصير التيلة تتدنَّى في نطاقه.

لقد أسهمت بذرة القطن المطري قصير التيلة إسهاماً فاعلا في نمو وتطوُّر بعض المستوطنات البشرية، خاصة تلك التي أُلحقت بها المحالج نسبةً لتوفُّر فرص نجاح زراعة القطن، الأمر الذي أوجد البيئة المناسبة لنمو صناعة حلج القطن التي ربطت الإقليم بالعالم الخارجي، إلا أن ذلك قد خلق حالة هيمنة حضرية للمستوطنات التي تمكَّنت من النمو وتدعيم سيطرتها من خلال الخدمات والأنشطة التي تركَّزت في مدن المحالج وحولها. ولما تدهور إنتاج محصول القطن المطري وتوقَّفت صناعته، تراجع نمو المستوطنات التي اشتهرت بالإنتاج تحديداً (القرى المحيطة بالمحالج)، بينما توسَّعت مدن المحالج بشكل واضح، خاصة بعد تدهور الحالة الأمنية منذ مطلع التسعينيات.

يمكن القول إجمالاً بأن الفرص الطبيعية وراء نجاح هذا المشروع تمثلت في خصوبة التربة وملاءمتها لزراعة محصول القطن المطري في ضوء هطول

الأمطار المناسبة مع اعتدال هبوب الرياح وكثافة الغابات التي عملت كمصدات تحد من سرعة الرياح. كما أن لخلو المنطقة من الآفات والأوبئة فائدة كبيرة في نجاح زراعة القطن وتصنيعه. هذا، إلى جانب العوامل الطبيعية الأخرى التي يتكامل دورها مع العوامل البشرية التي أسمهت بدور فاعل في نجاح تجربة زراعة وحلج القطن في إقليم منطقة الدراسة، أبرزها خبرة المنتجين الزراعية التي لاقت سنداً من المهاجرين ذوي الخبرة في مجال زراعة القطن، خاصة المجموعات التي قدمت من غرب أفريقيا، لمعرفتها بزراعة القطن، والتي وُطنت في البرداب وأم علوان وشركيلا.

لقد ساهم الكادر السوداني الذي تم تأهيله للعمل في المجال المهني المتعلق بالمحالج وقيادة وسائل الحركة والجرارات وتدوير المحالج وصيانتها - ساهم في نجاح تجربة الإنتاج والتصنيع التي وجدت سوقاً مزدهرة؛ فعبدت الطرق الترابية وسكك الحديد وصولاً إلى البحر الأحمر بغية تصديره.

إن الظروف الطبيعية والبشرية التي أدت لنجاح المشروع في عهده الذهبي ما زالت متوفرة لحد كبير إلى يومنا هذا، ويزيد عليها التكنولوجيا الحديثة التي ظهرت مؤخراً في مجال الزراعة. لذلك من الممكن إعادة إنتاج وتصنيع القطن طويل التيلة في إقليم جبال النوبة وينتعش الإقليم مرة أخرى، إذا ما توفرت الظروف الأمنية، والإرادة السياسية، والسياسات الاقتصادية الراشدة، والقوانين الحمائية، مع إعطاء الإقليم تمييزاً إيجابياً نسبة للظروف التي مر بها.

الدراسات المعملية لأثر بول الإبل والمستخلص المائي للزنجبيل ضد فطر Alternaria alternate المسبب لمرض اللفحة المبكرة في الطماطم في السودان

الأمين حافظ بيلو
سعاد علي الطيب علقم
محمد الوقيع علي

مستخلص: أجريت هذه الدراسة المعملية لعزل وتعريف العامل المسبب لمرض اللفحة المبكرة في الطماطم، ولتقصي أثر بول الإبل والمستخلص المائي للزنجبيل بتراكيز ٥٪، ١٠٪ و١٥٪ على نمو هيفات التجرثم وإنبات جراثيم الفطر Alternaria alternata. أظهرت نتائج الدراسة أن كل تراكيز بول الإبل والزنجبيل التي تم اختبارها لها تأثيرات مثبطة وتزيد نسبة التركيز مع زيادة التركيز. يوصي البحث بتطبيق هذه النتائج المعملية علي طماطم مزروعة في الحقل والبيوت المحمية للتأكد من اختفاء الأعراض المرضية على نباتات الطماطم.

Abstract: This study was conducted to isolate and identify the causal agent of early blight disease on tomato and investigated the effect of camel urine and ginger water extract in concentrations (5%, 10% and 15%) on inhibiting mycelial growth, sporulation and spores germination of Alternata alternata. The results of study show all tested concentrations of camel urine and ginger had inhibitory effects against A. alternate and the inhibition of mycelial growth increased as concentration increased. These results are considered promising to control the fungus in vitro, and indicator of the effectiveness of camel urine and ginger. The research recommends application of these results on tomato planted in field and greenhouses to make sure disappearance of symptoms on tomato plant.

كلمات مفتاحية: المكافحة الحيوية، بول الإبل، الزنجبيل، Alternaria alternata، طماطم

المقدمة

يتبع محصول الطماطم (Solanum lycopersicum L. [syn. Lycopersicon esculantum Mill.]) للعائلة الباذنجانية مع محاصيل اقتصادية مهمة أخرى مثل الباذنجان،

والبطاطس والفلفل الحار.[١] وتعتبر الطماطم من أكثر المحاصيل عرضة للآفات والأمراض من فترة الإنبات وحتى الحصاد. إن مرض اللفحة المبكرة من أهم الأمراض الفطرية التي تصيب الطماطم ويسببه فطر Alternaria alternata، وهو من الأمراض الشائعة المعروفة التي تصيب العديد من النباتات حول العالم، وأحد أهم الأمراض المدمرة لمحصول الطماطم في المناطق ذات الرطوبة النسبية العالية والأمطار الغزيرة، ويستطيع الفطر إحداث المرض على الأوراق (لفحة الأوراق)، والساق (عفن)، وعلي الثمار والتي تحدث نتيجة للإصابة الشديدة خلال مراحل نمو النبات.[٢] وتتم مكافحة مرض اللفحة المبكرة بصورة رئيسية عن طريق المبيدات الكيميائية، ولكن الاتجاه الجديد لمكافحة الأمراض هو باستخدام المبيدات الفطرية الصديقة للبيئة، وهذا الاتجاه يقلل من التلوث البيئي بالمركبات الكيميائية المصنَّعة، حيث تعتبر المركبات الطبيعية من أهم المصادر للمكافحة البيولوجية الجديدة لمكافحة أمراض النبات.[٣]

هنالك اهتمام بصفة عامة بالزراعة المستدامة والمنتجات الزراعية الخالية من متبقيات المبيدات،[٤] لذلك ظهرت المبيدات الفطرية ذات

(١) J. B. Jr. Jones (2008): *Tomato Plant Culture in the Field, Greenhouse and Home Garden*. Second Edition, CRC Press; A. Caicedo and I.Peratal (2013). Basic information about tomatoes and tomato group, in: B.A. Liedl et al (eds.). *Genetics, Genomics and Breeding of Tomato*. CRC Press Taylor and Francis New York, (1-36).

(٢) Y. Sabriye, Y. Yusuf, and K. Isa (2011): Evaluation of bacteria for biological control of early blight disease of tomato. *African Journal of Biotechnology*, 10 (9): 1573-1577.

(٣) A.M. Sallam and A.M. Kamal (2012): Evaluation of various plant extracts against the early blight disease of tomato plants under greenhouse and field. *Plant Protection Science*, 48: 74 - 79.

(٤) G.J.N.P. Yeole, Teli, H. M Kotkar and P. Smendki (2014): Cinnamomum zeylanicam extracts and their formulation control early blight of tomato. *Journal of Biopesticides*, 7(2): 110-123.

الأصل الطبيعي كإستراتيجية بديلة واعدة لمكافحة مرض اللفحة المبكرة في الطماطم.[٥] وقد أثبتت العديد من المركبات ذات الأصل الطبيعي ومكوناتها نجاحها في مكافحة أمراض النبات، ليست لها أضرار وسمية نباتية كما في المبيدات الفطرية الكيميائية. وهنالك مركبات فعالة في بول الإبل والزنجبيل، جذبت الانتباه نتيجة لخصائصها الواسعة في المجالات الصيدلانية.

لقد ثبت أن لبول الإبل كفاءة فاعلة كمضاد للميكروبات، وقد استخدم ضد الأمراض السرطانية والتهابات الجهاز التنفسي والطب البديل،[٦] اختبرت الدراسات النشاط المضاد للميكروبات لبول الإبل ضد الكائنات الدقيقة الممرضة تضم الفطر:

Aspergillus niger, A. flavus, Fusarium oxysporum, Rhizoctonia solani, Aschocayta sp., Pythium aphanidermatum, Sclerotinia sclerotiorum, Candida albicans; and the bacteria Staphylococcusaureus, Streptococci, E. coli Pseudomonas aeroginosa and Klebsiella pneomoniae.

وأظهرت نتائج هذه الدراسات النشاط العالي المضاد للميكروبات لبول الإبل ضد الكائنات الممرضة المختبرة[٧] والنشاط المضاد لبول الإبل ضد الكائنات

(٥) Y. Prasad and M. K. Naik (2003): Evaluation of genotypes, fungicides and plant extracts against early blight of tomato caused by *Alternaria solani, Indian Journal of Plant Protection, 31: 49- 53*; G. D. Mate (2005): Efficacy of plant products and fungicides on tomato early blight caused by Alternaria solani. *Research on Crops,* 6:349 – 351.

(٦) A. Al-Awadi and A. Aljudaibi (2014): Effects of heating and storage on the antifungal activity of camel's urine. *Journal of Clinical Microbiology*, 3:6 4172-2327.

(٧) M. Al-Bashan (2011): In vitro assessment of the antimicrobial activity and biochemical properties of camel's urine against some human pathogenicmicrobes. *Middle-East Journal of Scientific Research*, 7(6): 947-958.

الممرضة التي تم اختبارها نتيجة لعوامل عدة، منها التركيزات العالية للأملاح والقلويات والمركبات الطبيعية الأخرى.[٨]

والزنجبيل (Zingiber officinale Roscoe) رايزومات لها خصائص عطرية وطبية قوية،[٩] وأوضحت الدراسات السابقة أن المركبات المستخلصة من الزنجبيل مضادات أكسدة قوية[١٠] ومضادة للبكتريا والفطريات والسرطان والتهابات الجهاز التنفسي.[١١] الرايزومات غنية بمركبات الأيض الثانوية مثل المركبات الفينولية:[١٢]

(gingerol, paradol and shagaoal),
volatiale sesquiterpenes (zingiberene bisabolenne)
and monoterpenoids (curcumene and citral).

لذلك هدفت هذه الدراسة إلى عزل وتعريف الكائن المسبب لمرض اللفحة المبكرة في الطماطم وتقصي أثر بول الإبل والزنجبيل علي نمو هيفات الفطر التجرثم وإنبات جرثومه A. alternate. تمت دراسة معملية (في المعمل) لبعض صفات الفطر مثل نمو المستعمره، والصبغة، والتجرثم، واللون، والشكل، والمكافحة.

(٨) N.T. Kamlu, G.C. Okpe and A.Williams (2004): Mineral contents of extracellular fluids in camel and cattle in North East Sahel region of Nigeria. *Nigeria Veterinary Journal*, 24: 13-20.

(٩) I. N.Chen, C.C. Chang, C.Y. Wang, Y.T Shyu and T.L. Chang (2008): Antioxidantand antimicrobial activity of zingiberaceous plants in Taiwan. *Plants Foods for Human Nutrition*, 63(1):15-20.

(١٠) I., Stoilova, A. Krastanov, A. stoyanova, P. Denev and S. Gargova (2007): Antioxidant activity of ginger extract (zangiberofficianale). *Food Chemistry*, 102:764-770.

(١١) S. H. M. Habib, S. Makpol, N. A. A. Hamid, S. Das, W. Z. W. Ngah and Y. A. M. Yuosif (2008): Ginger extract (*Zangiberofficianal*) has anti-cancer and anti-inflammatory effect on ethionine-induced hepatoma rats. *Journal of Clinics*, 64: 807-813.

(١٢) B. H. Ali, G. Blunden, M.O. Tanira and A. Nemmar (2008): Some phytochemical, pharmacological and toxicologicalproperties of ginger (*zingiber officinale*): A review of recent research. *Food Chemistry Toxicology*, 46, 409-420.

المواد وطرق البحث

تم جمع الأوراق المصابة من نباتات الطماطم خلال موسم شتاء ٢٠١٣/٢٠١٤ من حقل طماطم مصابة في شمال الخرطوم، بشمبات. جُمعت الأوراق المصابة في أكياس ورقية ونُقلت إلى معمل أمراض النبات بكلية الزراعة، جامعة الخرطوم، للفحص. قُطعت الأوراق إلى قطع صغيرة حوالي ١٠ملم^2 وتم تعقيمها سطحياً بهيبوكلورايت الصوديوم 1 (NaOCl)٪ لمدة دقيقة ومن ثم غُسلت بالماء المقطر المعقم وجُففت بورق ترشيح معقم. تم وُضعت أربع قطع في أطباق بيتري ٩ سم محتوية علي بيئة أجار البطاطس والدكستروز (PDA) وأضيفت إليها مادة كلورامفينيكول (٠,٠٥ جم / لتر) كعامل مضاد للبكتيريا. وتم تحضين الأطباق في درجة حرارة ٢٧ ± ٢^{o}C لمدة ٧ أيام للحصول على مستعمرة نقية.

تعريف الفطر

اعتمادنا في تعريف الفطر على الصفات المظهرية للفطر، وهي شكل نمو المستعمره والصبغة. وأجرينا مزيداً من الدراسة باستخدام المجهر المركب لعرض الشرائح التي أعدت من نمو الفطريات. واستخدم المجهر لدراسة شكل الحوامل الكونيدية، وترتيب الكونيدية على الحوامل الكونيدية، وتكوين الأعناق الكونيدية والحواجز العرضية والطولية، بالإضافة إلى لونها. وقد تم قياس نمو الفطر لمدة ١٠ أيام.

عينات بول الإبل

تم الحصول على عينات بول الإبل من مركز أبحاث الإبل بكلية الطب البيطري، جامعة الخرطوم. وقد جُمع البول من الإبل الإناث العذارى عند

التبول مباشرة في دورق ٢٠٠مل معقم وحُفظ في الثلاجة عند ٤°C لحين وقت الاستخدام.

النشاط المضاد للفطريات لبول الإبل ضد المسبب المرضي

تم تحديد أثر بول الإبل والزنجبيل على المسبب المرضي باستخدام تقنية الأغذية المسمومة وفقاً لما أورده الهتار (Al-Hetar) وآخرون (٢٠١٠).[١٣] وقمنا باختبار بول الإبل المحفوظ دون تخفيف أولاً لتحديد النشاط المضاد للفطريات قبل أن تستخدم التركيزات المختلفة. وتم تلقيح الوسط الغذائي PDA المخلوط ببول الإبل ١٠٠٪ بقرص من ٥ ملم من مزرعة حديثة النمو عمرها ٧ أيام، وتحضينها في 27 ± 2°C لمدة ١٠ يوم.

قمنا بتحضير البيئة الغذائية PDA وتعقيمها، ثم تلا ذلك خلط البيئة الغذائية المبردة مع بول الإبل للحصول على التركيزات التالية ٥٪، ١٠٪، ١٥٪، مع استخدام ثلاث مكررات (ثلاثة أطباق لكل تركيز) ودورق خالٍ من بول الإبل استخدم كشاهد. ثم صبت البيئة الغذائية في أطباق بتري معقمة وتُركت لتتصلب، ومن ثم تم تلقيح الأطباق بأقراص من نمو الفطر قطرها ٥ملم من حواف مزرعة نقية حديثة النمو عمرها ٧ أيام، وحُضنت الاطباق عند ٢٧ ± ٢°C. أخذت قياسات نمو المستعمرة يومياً، ومن ثم تم حساب نسبة التثبيط على النحو التالي:

(١٣) M.Y. Al-Hetar, M.A. Zainal Abidin and M. Sariah, M.Y. Wong (2010): Antifungal activity of chitosan against fusariumoxysporium f. sp. cubense. *Journal of Applied Science*, 10:1002 - 33455; Jha. Ravi., L. Roshan, S.Sobita, and A. Abhilasha, (2014): Effect of six plant extracts on mycelial growth of Alternaria alternata causing leaf spot of Aloe vera. International Journal of Research (IJR).7: 2348 - 6848.

النسبة المئوية للتثبيط =

$$\frac{\text{(قطر مستعمرة الفطر في الشاهد - قطر مستعمرة الفطر في المعاملة)}}{\text{قطر مستعمرة الفطر في الشاهد}} \times 100$$

كما ذكره عبد الكريم (Abd-Elkareem) وآخرون.[١٤]

النشاط المضاد للفطريات للمستخلص المائي للزنجبيل

جُمع الزنجبيل من السوق المحلية في شمال الخرطوم وغُسل جيداً بماء الصنبور، وجُفِّف في الظل ومن ثم سُحن للحصول علي البدرة. تم وزن ١٠ جرام من المسحوق ووضع في دورق سعة ٢٠٠ مل به ١٠٠ مل من الماء المقطر المعقم لمدة ٤٨ ساعة في درجة حرارة الغرفة، ثم تمت تصفيتها من خلال طبقة قماش وتعقيمها وحفظها حتى وقت التجربة، وفقاً لأمادي (Amadi) وآخرون،[١٥] قمنا بإعداد تركيزات مختلفة من 5٪ و10٪ و15٪ عن طريق خلط المستخلص المائي للزنجبيل بالبيئة الغذائية PDA وتعقيمها وصبها في أطباق بتري معقمة وتركها حتي تتصلب، وتلا ذلك تلقيح الأطباق بأقراص من نمو الفطر قطرها ٥ملم من حواف مزرعة نقية حديثة النمو عمرها ٧ أيام. حُضنت الأطباق في 27 ± 2°C، وأُخذت قياسات نمو المستعمرة يومياً، وتم حساب نسبة تثبيط الفطر باستخدام الصيغة المذكورة أعلاه.

(١٤) F. Abd-Elkareem, S.N. Elmougi, N.G. Elgamal and Y.O. Fatouhy (2006): Use of chitin and chitosan against tomato root rotdisease under greenhouse condition. *Research Journal of Agricultural and Biological Sciences,* 2(4): 147-152.; Z. Guo, R. chen, R. Xing, S. Liu, H. Yu, P. Wang, C. Li and P. Li (2006). Novel derivatives of chitosan and theirantifungal activities in vitro. *Carbohydrate Research*, 341:351-354.

(١٥) J.E. Amadi, E.E. Adelelk, G. Olahan T. Garuba And M.O. Adebola (2014): Effect of plant extracts on sporulation and sporegermination of stored melon seed fungi. *International Journal of Research*, 1(Iss.1): 2350-0530.

أثر بول الإبل والمستخلص المائي للزنجبيل على التجرثم

تم اختبار التجرثم باستخدام خلط البيئة كما هو موضح أعلاه. وبعد وصول نمو مستعمرة الفطر في معاملة الشاهد لحافة الطبق ٩ سم غُمرت جميع الأطباق بماء مقطر معقم وتم تحريكها لمدة ٢٠ دقيقة، ثم تصفيتها من خلال طبقتين من قماش الجبن المعقم. قمنا بتحديد تركيز الجراثيم لكل مليلتر باستخدام haemacytometer وفقاً لما ورد في الهتار (Al-Hetar) وآخرون (٢٠١٠).[١٦] تم حساب نسبة تثبيط التجرثم باستخدام الصيغة المذكورة أعلاه لنمو فطر.

أثر بول الإبل والمستخلص المائي للزنجبيل على إنبات الجراثيم

قمنا بتقييم أثر بول الإبل ومستخلص الزنجبيل على إنبات الجراثيم عن طريق نشر ٣٠٠ ميكرولتر من معلق الجراثيم المخفَف (٣٠٠ جرثوم/ مل) على أطباق PDA المخلوطة مع التركيزات المختلفة من بول الإبل والمستخلص المائي للزنجبيل (5%، و١٠%، و15%)، وحُضنت الأطباق عند ٢٧ ± ٢ لمدة ٤٨ ساعة وتم حساب عدد المستعمرات التي تشكلت وتحديد نسبة تثبيط إنبات الجراثيم باستخدام الصيغة المذكورة أعلاه لقياس نمو فطر.

التحليل الإحصائي

أجريت التجربة باستخدام التصميم العشوائي الكامل بثلاث مكررات لكل معاملة، وتم تحليل التباين (ANOVA) وفصل المتوسطات باستخدام Duncan's Multiple Range Test عند مستوى المعنوية ٥٪ باستخدام البرنامج الإحصائي SPSS version16.0 .

(١٦) M. Y. Al-Hetar, M. A. Zainal Abidin, M. Sariah and M. Y. Wong (2010), op.cit.

النتائج والمناقشة

عزل وتعريف المسبب المرضي

كان نوع المزرعة التي تم عزلها من الطماطم المصابة بأعراض مرض اللفحة المبكرة السائد في العزلة هو فطر Alternaria sp، وكان نمو المستعمرة النقية من العامل المسبب لمرض اللفحة المبكرة واضحاً من نمو المستعمرة واللون والصبغة.

تم التعرف على العامل المسبب لمرض اللفحة المبكرة المعزول من الأوراق المصابة على أنه A. alternate اعتماداً على خواصه الظاهرية، واستند التعريف على اللون، ونمو المستعمرة، والصبغة، والجراثيم (كونيدية وحوامل كونيدية)، وشكل التقسيم الرأسي والأفقي، والعنق للكونيديا، فضلاً عن وجود الجراثيم في سلاسل، حيث تميزت المستعمرات الفطرية من بطيئة إلى متوسطة النمو. بلغ قطر المستعمرة ٩سم في الأيام العشرة التي كانت فيها محضنة في 27ºC. أظهر نمو المستعمرات في PDA من الجانب الأول لطبق بتري اللون الأخضر الداكن في البداية، ثم تحول إلى أسود زيتوني غامق، في حين كان الجانب الآخر من طبق بتري أسود اللون في المركز محاطاً بنمو البني الرمادي. وكشف الفحص المجهري أن الحوامل الكونيدية تنشأ مباشرة من الحواف ذات اللون البني الشاحب التي تتكون من سلسلة كونيدية، حيث كانت الكونيدية ذات لون بني داكن، مكونة سلسلة مع وجود أعناق قصيرة للكونيدية. وبناءً على ذلك تم التعرف على العامل المسبب على أنه A.alternata، وهذه النتيجة تتفق مع جاء في إليه أبُّو (Abbo) [١٧] الذي عرَّف المسبب لمرض اللفحة المبكرة في المحاصيل الباذنجانية في السودان بأنه A.alternata.

أثر بول الإبل على نموهيفات الفطر A. alternata

في هذه الدراسة تم تقييم فعالية بول الإبل ضد A. alternata، في المعمل. وأظهر بول الإبل الذي تم اختباره دون تخفيف التثبيط الكامل لنمو هيفات الفطر في غضون ١٠ . في كل التركيزات التي تم اختبارها انخفض نمو قطر مستعمرة A alternata بشكل كبير عند مستوى معنوية ($P<0.05$) مقارنة بالشاهد (الشكل.١). ولوحظ زيادة الأثر المثبط لبول الإبل كلما زاد التركيز. كما أظهر تحليل التباين وجود فروق معنوية بين تركيزات بول الإبل؛ ففي تركيز ٥٪، ١٠٪، ١٥٪ كانت نسبة تثبيط نمو الفطر ٥٤٪، و٦٧٪، و٧٨٪ على التوالي مقارنة بالشاهد. وسُجل أقصى حد للتثبيط من بول الإبل في تركيز ١٥٪، (الجدول ١ والشكل ١). وافقت هذه النتيجة ما توصل إليه الجديبي Al-Judaibi (٢٠١٠)[١٨] الذي وجد أن بول الإبل يثبط نمو الفطر Aspergillus niger وCandida albicans. وتم الحصول على نتائج مماثلة من الزهراني Al-Zahrani (٢٠٠٢)[١٩] الذي سجل تثبيط نمو A. niger بعد معاملته ببول الإبل لمدة ١٤–١٨ شهراً. أيضاً تتوافق هذه النتائج مع ما توصل إليه العوضي (Al-Awadi) والجديبي (AL-Jedaibi) (٢٠٠٠)[٢٠] والذي

(١٧) A.S.H. Abbo (2011): Etiology epidemiology and management of early blight disease (*Alternaria alternata* (Fr) Keissler) on tomato *(Solanum lycopersicom* L.) in Sudan. Ph.D. Thesis, University of Khartoum, Sudan.

(١٨) A. Al-Judaibi (2010): Effect of mixed camel's urine and milk on dry weight and some metabolic activities of tested fungi. *Proceedings of the 3rd Aanimal Wealth Research Conference in the Middle East and North Africa*, Animal Health Research Institute (AHRI), 414–420.

(١٩) S.M. Al-Zahrani (2002): Study on the effect of female camel's urine (virgin and fertilized)– *Arab Gulf Journal Science Research,* 20(2): 115-122. (English on the *Aspergillus niger*fungus. abstract).

(٢٠) A. Al-Awadi and A. AL-Jedaibi (2000): Antimicrobial agents in camel's Urine. J*ournal of Union of Biologist* Cairo, 8(11): 265-281.

سجل تأثير بول الإبل على الوزن الجاف للخمائر والفطريات. كذلك أثبت شعيب (Shoeib) وباحثيق (Ba-hatheq) (٢٠٠٨)[٢١] من خلال الدراسات المجهرية الإلكترونية تأثير بول الإبل على الخصائص الشكلية لبعض أنواع البكتيريا المسببة للأمراض البشرية.

الجدول ١: كفاءة بول الإبل ضد نمو فطر A.alternata في المعمل

المعاملات	قطر المستعمرة بالمليمتر	نسبة تثبيط نمو الهيفات٪
5%	28.38^{b}	54%
10%	20.11^{c}	67%
15%	13.73^{d}	78%
الشاهد	60.83^{a}	0

المتوسطات الملحقة بنفس الحروف لا توجد بينها فروقات معنوية عند

مستوى معنوية (٠,٠٥) وفقا لـ Duncan Multtiple Range Test (DMRT)

أثر المستخلص المائي للزنجبيل على نموهيفات الفطر A.alternata

انخفض قطر نمو مستعمرة A. alternata بشكل كبير في تركيزات الزنجبيل الثلاثة ($P<0.05$) مقارنة بالشاهد (الشكل ٢)، ولوحظ زيادة أثر التثبيط بزيادة تركيز المستخلص المائي للزنجبيل. وأظهرت النتائج أن تركيزات مستخلص الزنجبيل ٥٪ و١٠٪ و١٥٪، خفَّضت نمو الفطر بنسبة ٢٠٪، ٣٥٪ و٥٧٪ على التوالي (الجدول ٢، الشكل ٢). ولوحظ أن تركيز ١٥٪ قد أظهر أقوى أثر مثبط من التركيزات الأخرى وانخفض نمو قطر مستعمرة الفطر والتجرثم مع زيادة

(٢١) A.A. Shoeib and A.M. Ba-hatheq (2008): Electromicroscopic study of camel urine- effect on the morphology of some human pathogenic bacteria in comparison with *the antibiotic cefuroxime. Saudi Journal of Biological Science*,15(3): 119-125.

تركيز المستخلص المائي للزنجبيل. توافق هذه النتائج ما توصل إليه أمادي (Amadi) وآخرون (٢٠١٤)[٢٢] الذين أظهروا في فحص حول الأثر الكيميائي النباتي على مستخلصات الزنجبيل، وجود بعض المركبات الأيضية الثانوية وهي: tannins, alkaloids, flavonoids, anthraquinones, saponins و steroid؛ فوجود هذه المركبات الثانوية دليل على وجود خاصية مضاده للفطريات في الزنجبيل.

الجدول ٢: كفاءة المستخلص المائي للزنجبيل ضد نمو الفطر A.alternata في المعمل

المعاملات	قطر المستعمرة بالملمتر	نسبة تثبيط نمو الهيفات٪
5%	49.10^{b}	20%
10%	40.27^{c}	35%
15%	26.88^{d}	57%
الشاهد	61.33^{a}	0

المتوسطات الملحقة بنفس الحروف لا توجد بينها فروقات معنوية عند مستوى معنوية (٠,٠٥) وفقا لـ ((Duncan Multtiple Range Test (DMRT)

أثر بول الإبل والزنجبيل على إنتاج جراثيم الفطر A.alternata

أظهرت النتائج في الجدول (٣) أن بول الإبل والزنجبيل كان لهما أثر مثبط في كل التركيزات المستخدمة. انخفض عدد جراثيم الفطر المعامل ببول الإبل والزنجبيل بتركيزات ١٥٪ و١٠٪ و٥٪ بشكل مطرد كلما زاد التركيز، وكانت

(٢٢) J.E. Amadi, E.E. Adelelk G. Olahan, T. Garuba And M.O. Adebola (2014): Effect of plant extracts on sporulation and sporegermination of stored melon seed fungi. *International Journal of Research*, 1(Iss.1): 2350-0530.

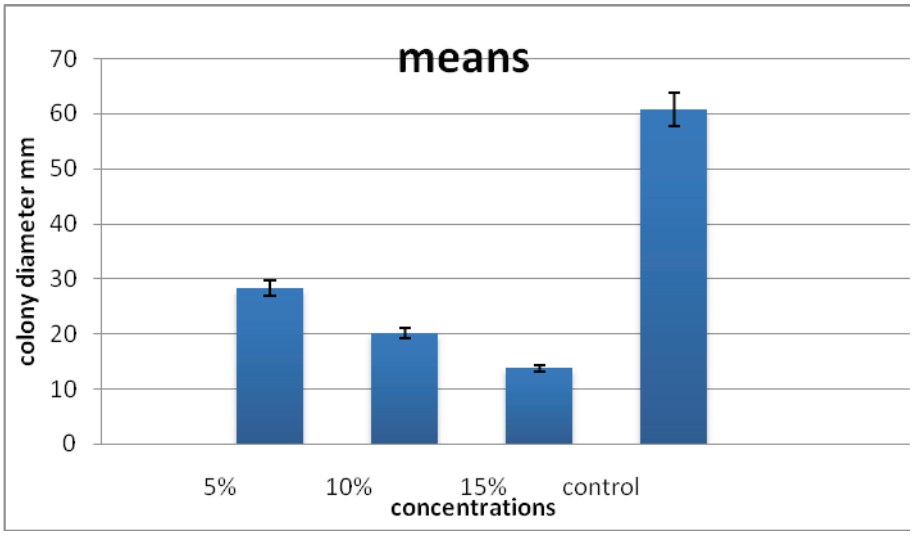

الشكل (١): أثر التركيزات المختلفة لبول الإبل على نمو الفطر A.alternata

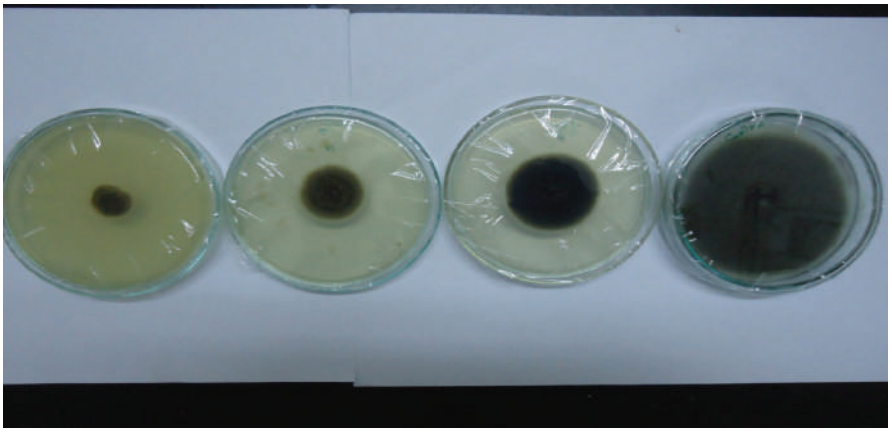

الصورة (١): أثر التركيزات المختلفه لبول الأبل علي نمو الفطر A.alternata

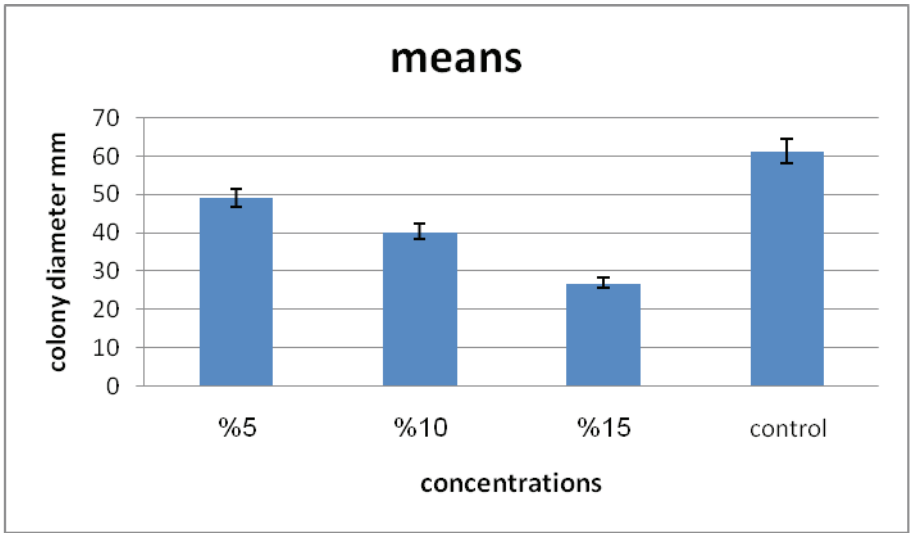

الشكل (٢): مقارنة بين التركيزات المختلفة للزنجبيل ضد نمو الفطر A.alternata

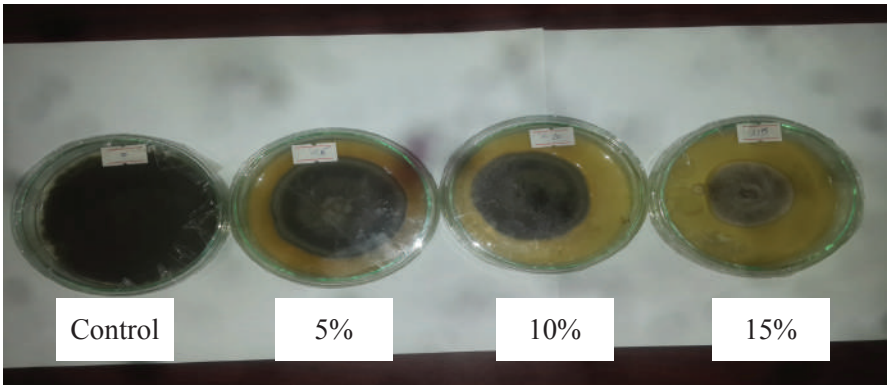

الصورة (٢): أثر التركيزات المختلفة للزنجبيل علي نمو الفطر A.alternata

نسبة تثبيط إنتاج الجراثم لتركيزات بول الإبل ٩٢٪، و٨٣٪ و٧٧٪، وللزنجبيل ٨٨٪، و٧٧٪ و٦٩٪ على التوالي مقارنة مع الشاهد عند المعنوية ($P<0.05$). كما أظهر تركيز ١٥٪ لبول الإبل أعلي نسبة تثبيط مقارنة بالتركيزات الأخرى ($P<0.05$). وتشير الدراسة إلى أن التثبيط العالي لإنتاج جراثيم الفطر يمكن أن تكون مرتبطة بالأثر الفعال لبول الإبل والزنجبيل؛ اتفقت هذه النتيجة أيضاً مع ما توصل إليه خليفة (Khalifa) وآخرون (٢٠٠٥)[٢٣] الذين أشاروا إلى اختفاء العلامات المرضية لأنسجة الكبد أو الكلى بعد استخدام بول الإبل.

الجدول ٣: أثر التركيزات المختلفة لبول الإبل والمستخلص المائي للزنجبيل على تجرثم A.alternata بعد ٩ أيام من التحضين.

المعاملات	التركيزات	عدد الجراثيم لكل مليلتر	نسبة تثبيط الجراثيم٪
بول الإبل	5	6.3×10^5	77%
	10	4.7×10^5	83%
	15	2.2×10^5	92%
مستخلص الزنجبيل	5	7.8×10^5	69%
	10	6.1×10^5	77%
	15	3.2×10^5	88%
الشاهد		26.5×10^5	

(٢٣) S. Khalifa, R. AL-Elyani and A. AL-Alwani (2005): Histological, cytological and histochemical studies on the effect of camel's urine on liver of rabbits infected by escherichia coli. *Saudi Journal of Biological Science*, 12: 66-80.

أثر بول الإبل والمستخلص المائي للزنجبيل على إنبات جرثومة المسبب المرضي

بعد ٤٨ ساعة من التحضين كان إنبات الجراثيم في أطباق الشاهد ٨١ مستعمرة في المعاملتين. لقد أدى بول الإبل إلى تثبيط إنبات الجراثيم بصورة كاملة في كل التركيزات بنسبة (١٠٠٪)، وأظهر مستخلص الزنجبيل تثبيطاً كاملاً في التركيزين ١٠٪ و١٥٪، مقارنة مع الشاهد (الجدول ٤). وكان واضحاً من النتائج أن التركيزات المختلفة لبول الإبل والمستخلص المائي للزنجبيل لها أثر واضح على إنبات الجراثيم في الفطر A. alternata. كانت كونيدية الفطر حساسة جداً لبول الإبل، ولم يلاحظ أي إنبات للجراثيم علي البيئة الغذائية المخلوطة ببول الإبل في التركيزات المختلفة في اختبار إنبات الجراثيم. تتفق هذه النتائج مع ما توصل إليه الطلحي (Al-Talhi) والباشان (Al-Bashan) (٢٠٠٦)[٢٤] اللذان أظهرا النشاط المضاد للميكروبات لبول الإبل والذي يحتوي على المضادات الحيوية والأملاح واليوريا، والتي تؤثر على الفطريات والبكتيريا والفيروسات.[٢٥] ربما يرجع الأثر الفعال لبول الإبل والزنجبيل إلى تدمير العناصر الأساسية المهمة للجراثيم والمواد الغذائية، مما يؤدي إلى نفاذية غشاء خلايا الجراثيم.

(٢٤) A.D. Al-Talhi and M. M. Al-Bashan (2006): Microbiological and chemical studies on camel's urine at Taif city. in: *Proceeding of the International Scientific Conference on Camels*, under the patronage of his royal highness prince sultan Bin Abdulaziz Al-Saud, part 2, 10-12 May, Qassim University College of Agriculture and Veterinary Medicine, Kingdom of Saudi Arabia, 533-552.; A. Al-Awadi and A. Al-Jedabi (2000), op.cit.

(٢٥) A. AL-Awadi and A. AL-Jedabi (2000). Antimicrobial agents in camel's Urine in the 7th. International conference, Mansoura University, *Journal union Biologist Cairo*, 8(11): 265-281.

الجدول ٤: أثر التركيزات المختلفة لبول الإبل والمستخلص المائي للزنجبيل علي إنبات جراثيم الفطر A.alternata بعد يومين من التحضين.

المعاملات	التركيزات	عدد المستعمرات	نسبة تثبيط الجراثيم٪
بول الإبل	5 10 15	0 0 0	100% 100% 100%
مستخلص الزنجبيل	5 10 15	0 0 1	100% 100% 99%
الشاهد		81	

التوصيات

أظهرت هذه الدراسة نتائج واعدة لبول الإبل والزنجبيل لمكافحة الفطر المسبب لمرض اللفحة المبكرة في الطماطم في المعمل، ويعتبر هذا أول تقرير عن أثر بول الإبل والمستخلص المائي للزنجبيل ضد A. alternata المعزول من نباتات الطماطم المصابة في السودان. وتشير الدراسة إلى أن بول الإبل والزنجبيل يمكن أن يطورا لمكافحة مرض اللفحة المبكرة اعتماداً على النتائج. وتعتبر هذه النتائج مؤشراً لفعالية بول الإبل، ونوصي بتطبيق هذه النتائج المعملية على الطماطم المزروعة في الحقل والبيوت المحمية للتأكد من اختفاء الأعراض المرضية وتأثير المعاملات على نمو الأوراق والأزهار، ومن أن المنتج من هذه الطماطم مقبول لدى المستهلك لحجم ثمارها طعمها ورائحتها. أيضاً يجب إجراء المزيد من الدراسات لتحديد ما إذا كان بول الإبل والزنجبيل قادران على مساعدة النبات لتكوين آلية دفاعية وتعزيز نمو النبات والسيطرة على المرض تحت ظروف البيوت المحمية وظروف الحقل.

عصر البطولة في سنار،
تأليف: جاي سبولدنق،
ترجمة: أحمد المعتصم الشيخ

عرض: الصادق محمد سليمان

صدرت هذه الترجمة لكتاب *The Heroic Age in Sinnar* في عام ٢٠١١م في الخرطوم عن هيئة الخرطوم للصحافة والنشر، ويقع في ٤٩٣ صفحة من القطع المتوسط. أما الإصدارة الأصلية فقد كانت باللغة الإنجليزية، وصدرت عام ١٩٨٥ عن جامعة ميتشيجان.

يعتبر موضوع هذا الكتاب من نوع الموضوعات التي تهم القارئ العادي والأكاديمي على السواء، وتتميز المعالجة المنهجية للموضوع بأنها تمثل اتجاهاً متفرداً في مجال دراسات التاريخ في السودان مما يجعل لهذه الدراسة صبغة تميزها عن الدراسات التي تمت من قبل للموضوع. وسواءً اتفقنا مع المؤلف أو اختلفنا معه في وجهة نظره فإن هناك جهداً لا تخطئه العين، يتضح ذلك من الكم الهائل من المراجع والمصادر التي استعان بها لإثبات وجهة نظره، أضافت للتحليل المنهجي أبعاداً جديدة لهذه الدراسة، وبذلك أتاح الكتاب فرصة للنظر إلى تاريخ هذه الدولة ومجتمعها وحكامها من منظور جديد.

موضوع الكتاب

إن مملكة الفونج أو السلطنة الزرقاء التي قامت حوالي القرن الخامس عشر، وحكمت أجزاءً واسعة شرقاً وغرباً وشمالاً من سودان اليوم، واستمر

حكمها زهاء ثلاثة قرون ونيف (١٥٠٤-١٨٢١)، قد أسستها مجموعات اختلفت حولها الروايات التاريخية، إلا أن الرواية الأكثر تداولاً تذكر أن هذه الدولة تكونت نتيجة لتحالف بين عناصر محلية وعناصر عربية وافدة. وبعيداً عن هذه الروايات التاريخية، فإنه من اسم السلطنة يمكن الاستدلال أن الفونج هم من قاموا بتأسيس هذه الدولة وتحالفوا مع قوى أخرى، مثلهم مثل السلطنات والممالك التي كانت قائمة في أجزاء ما يعرف بالسودان اليوم (بسلطنات الفور، وتقلي، وعلوة، والمسبعات، إلخ). أما الاختلاف حول أصول هذه المجموعة فهذه قضية أخرى.

الفكرة المحورية التي يطرحها الكتاب هي أن قيام الدول وسقوطها يكون نتاجاً لعملية الصراع بين القديم والحديث، والقديم هو مجموعة النظم السائدة من إدارية واقتصادية واجتماعية وثقافية،إلخ، أما الحديث فهو عوامل القوى الجديدة والقوى والنظم القديمة.

إن صعود وسقوط الدول هو سنة كونية والتاريخ شاهد على ذلك؛ فكم من الدول صعدت ثم أفل نجمها، وكم من الحضارات سادت ثم بادت. وسقوط الدولة أو أفولها وتبدل المجتمعات تحدثه عوامل قوية تنقض وتهدم الأسس والنظم التي تقوم عليها الدولة أو المجتمع وما هو سائد في هذه المجتمعات من نظم وتقاليد وقيم. وهذه العوامل بعضها داخلي وبعضها خارجي، جميعها تتضافر لتحدث ما يعرف بعملية التغيير التي بموجبها ينهار النظام القديم ويحل محلة النظام الجديد في الدولة أو المجتمع.

يرى المؤلف أن هنالك تشابهاً بين ما حدث في دولة الفونج وبين فترة الجاهلية في المجتمع العربي في جزيرة العرب، وهذا التشابه هو الذي دفع بالمؤلف لإجراء هذه المقارنة. والتشابه هنا ليس في حدوث التغيير في كلا

المجتمعين (الجاهلي – سنار)؛ فهذه ظاهرة عامة تحدث في كل المجتمعات الإنسانية متى ما تهيأت لها الظروف، إنما في أن الذين قادوا التغيير هم أشخاص لهم صفات البطولة، وأن أعمالهم، إضافة إلى عوامل أخرى خارجية، هي التي أحدثت التغيير في كلا المجتمعين. وفي هذا يقول المؤلف (المقدمة، ص ١٥-١٦):

"تحض الحقبة في تاريخ السودان الشمالي التي تقع بين الإطاحة بملوك الفونج في سنار وظهور المهدي (١٧٥٠-١٨٥٠م) تقريباً إلى المقارنة مع جاهلية العرب، وتظهر لنا مصادر هذه الحقبة التشابه الواضح في تفكك التقاليد القديمة من خلال تأثير التجارة وتداول السلع التي صحبها تداخل القوى المجاورة، وكانت هذه الحقبة، إن قيست بالمعايير الإنسانية، جذابة ومأساوية في آن واحد، إذ حفلت برجال أقوياء يشبهون أبطال الجاهلية الذين أداروا الصراع، غالباً في ظروف غير مواتية لفرض النظام على مجتمع كان في حالة شتات وفي النتيجة استطاع واحد منهم، هو المهدي أن يحقق حلم أمة عربية جديدة وكبيرة في السودان".

المنهج

يعالج المؤلف قضية التغير من منظور النظرية الماركسية. فهو يرى أن نظام الفونج القديم نظام إقطاعي، وأن العوامل التي تحكمت في انهيار هذا النظام والقوى الاجتماعية الجديدة والمؤسسات الداخلية على أنها عوامل رأسمالية (المقدمة ص ١٧- ١٨). والمنهج الذي اختاره المؤلف لمعالجة الموضوع هو "المنهج البنيوي" الذي وجد رواجاً في فترة الستينات والسبعينات في العلوم الاجتماعية والإنسانية (الأدب، والاجتماع، والإثنولوجيا، والأنثرويولوجيا، واللغويات، والتاريخ وغيرها). وهذا المنهج يقوم على تحليل الموضوع إلى

ثنائيات متعارضة، والتي يمكن من خلالها تفسير الواقع الاجتماعي أو الظواهر الاجتماعية، إذ يرى المؤلف أنه يحقق غرض الدراسة ويلائم منظورها، ويبدو ذلك واضحاً في رؤية المؤلف للنظام الاجتماعي والاقتصادي لدولة الفونج، حيث يقول: "عوملت سنار في هذه الدراسة على أنها دولة فيها طبقات متوارثة من النبلاء، والعامة، وفئة من العبيد، تنوعت أدوارها ومقاماتها في المجتمع تنوعاً كبيراً، ويحتاج الوضع الخاص بالمرأة في أي مجموعة اجتماعية على حدة إلى اعتبار منفصل" (المقدمة، ص ١٩).

تقسيم الكتاب

جرت العادة، خاصة في الدراسات الأكاديمية، على تقسيم الدراسة من الناحية المنهجية إلى مقدمة وفصول وأبواب ثم خاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع والملاحق إذا وجدت. فالكتاب يتكون من عدة أبواب أو فصول. غير أن مؤلف الكتاب قيد العرض لم يتبع التقسيم المعهود (فصول / أبواب)، بل قسم مادة الكتاب إلى ثلاثة أقسام سمى كل قسم من هذه الأقسام "جزءً"، واحتوى كل جزء على عدد من الموضوعات أو العناوين بلغت سبعة في الجزأين الأول والثالث وستة في الجزء الثاني، إضافة إلى مقدمة لكل جزء من الأجزاء الثلاثة. وبالطبع احتوى الكتاب على مقدمة للناشر، ومقدمة للمترجم، ومقدمة للمؤلف، وقائمة بالمصادر والمراجع. احتلت الهوامش الصفحات الأخيرة من الكتاب أكثر من مائة صفحة بقليل (ص ٣٩١-٤٩٣) مرتبة حسب الموضوعات، وأفرد لكل موضوع من موضوعات الأجزاء الثلاث هوامش منفصلة ولكن لم يثبتها في نهاية الموضوع ولا في نهاية الجزء، بل أتى بها كلها تحت "هوامش موضوعات الأجزاء الثلاثة" في نهاية الكتاب؛ فهذا فيه عنت للقارئ الذي يريد الرجوع إلى هامش من الهوامش في أحد الأجزاء أو الموضوعات. ومع اختلاف

نظم أثبات الهوامش والمراجع، فإن إثبات الهوامش في نهاية الموضوع أو الجزء كان حرياً بأن ييسر للقارئ عملية المتابعة، خاصة إذا كان الهامش معلومة مهمة أو اسم مرجع أو مصدر.

الكتاب في مجمله جهد أكاديمي رصين؛ فهو يجمع بين عدة أطروحات فى علم السياسة والاجتماع والتاريخ والأدب. ففي الجزء الأول يتحدث عن الدولة والنظام الإداري للدولة والأسر الحاكمة، أما الجزء الثاني فيتناول عملية التغيير وعوامل التغير، بينمااهتم الجزء الثالث بالشخصيات والنفوذ والصراع على السلطة. وعنوان الكتاب نفسه (عصر البطولة في سنار) يدفع بنا إلي عالم الأدب، إذ يتخيل القارئ أنه سيخوض في قِصص الأبطال الملحميين كما في الجاهلية أو الميثولوجيا الإغريقية. فقد أُخضعت المادة التاريخية في هذا الكتاب للتحليل المنهجي، ولم تقدم كحوادث تاريخية كما يتخيل القارئ الذي اعتاد على فهم التاريخ كحوادث تاريخية مرتبة زمنياً تشكل كل منها مرحلة أو حقبة من حقب تاريخ الكيانات السياسية أو المجتمعات.

الجوانب الفنية

اختير لغلاف الكتاب اللون الأسود تتوسطه لوحة لمجلس ملكي باللون الأزرق الفاتح طبع عليها وسم * للفونج باللون الأحمر الخفيف، وهو عبارة عن دائرة خطان مستقيمان متقاطعان على شكل صليب أو علامة +، وكل ذلك التكوين يرمز لدولة الفونج. يرمز للون الأسود "للسلطنة الزرقاء" (كلمة أزرق عند السودانيين تعني الأسود)، ويرمز اللون الأزرق للنيل الأزرق، أما الوسم فهو بمثابة شعار للدولة. بهذه المكونات أرى أن مصمم الغلاف قد وُفق إلى حد بعيد في الترميز لفكرة الكتاب ومحتواه. إضافة إلى ذلك فإن القطع ٢٢×١٥ مناسب تماماً لحجم الكتاب (٤٩٣ صفحة). وكذلك أسهمت المميزات الأخرى، كنوع

الورق وحجم البنط ونوعه، في أن يخرج هذا المطبوع بهذه الصورة الأنيقة التي لم نعهدها في كثير من الكتب التي تصدر عن دور النشر في السودان. بقي أن نقول استكمالاً لهذه العناصر أن الكتاب قد حظي بتحرير دقيق، ويتضح ذلك في قلة الأخطاء الطباعية واللغوية والاهتمام بتشكيل الكلمات.

الترجمة والمترجم

إن الترجمة فن أكثر منه عملية نقل من لغة لأخرى؛ فهي تحتاج إلى جانب تمكن المترجم من اللغة المُترجم منها واللغة المُترجم إليها وإلى حس فني، وكثيراً ما يشار إلى أن الترجمة من لغة إلي أخرى تضيع معها بعض خصوصيات وجماليات اللغة الأصلية للنص. وهنا نستطيع أن نلمس الفرق بين نَفْسَ المترجم الناقل وبين المترجم المبدع. والترجمة العربية التي بين أيدينا لكتاب: ***The Heroic Age in Sinnar*** الذي كتب باللغة الإنجليزية استطاعت أن تتجاوز هذه العقبات فجاءت بلغة رصينة رشيقة متماسكة وخالية من التعقيدات والعبارات الغامضة. ومن ناحية أخرى فإن المترجم لم يشر في مقدمته إلى أي من الصعوبات التي عادة ما تواجه المترجمين، سواءً كانت هذه الصعوبات في أسلوب المؤلف أو صعوبة لغته أو تلك التي تتعلق ببعض المسميات المحلية مثل أسماء البلدان أو الأماكن أو الأشخاص أو بعض الممارسات الثقافية أو الاجتماعية. وبديهي أن الترجمة في كل مجال تختلف عن غيرها؛ فالترجمة الأدبية تختلف عن الترجمة في العلوم الاجتماعية أو الإنسانيه أو في العلوم التطبيقية.

إن العمل الذي بين أيدينا قام بترجمته السفير الدكتور أحمد المعتصم الشيخ الذي جمع بين خبرة السلك الدبلوماسي والعمل الأكاديمي الذي قاده إلى جمع أحاجي الرباطاب وأن يكتب بحثاً عن العناصر الإفريقية في الأحاجي

السودانية، ثم عرج من الفولكلور إلى التاريخ فصدر له كتاب مملكة علوة، وكتب أطروحته للدكتوراة في مملكة الأبواب أو "العنج"، إضافة إلى الاشتغال بالشأن الثقافي العام. من هنا فإن ترجمته لهذا الكتاب لم تكن مجرد ترجمة، بل هي جزء من التماهي في طريق البحث التاريخي والفولكلوري. فالخبرة في العمل الدبلوماسي عززت التعاطي في موضوع اللغة، أما الهم الأكاديمي فكان نتيجته أن جعله يتعقب المصادر الوطنية التي رجع إليها المؤلف ويثبت ما نقله المؤلف من الأصل، وليس من الاقتباس، مما يجعل من الأمر بحثاً في حد ذاته. كما أن اختياره لهذا الكتاب الذي يتحدث عن فترة تاريخية مهمة من تاريخ السودان ونقله من مصاف المراجع التي لا يتصفحها إلا الأكاديميون ليكون في مقدور القراء العاديين الاطلاع عليه، وهو في حد ذاته جهد يستحق الإشادة .

مكتبة جامعة الخرطوم في عصرها الذهبي(*)

قاسم عثمان نور

مولد المكتبة ونشأتها

بدأت مكتبة جامعة الخرطوم مع بداية تأسيس كلية غردون التذكارية التي أُنشئت بتبرع من الشعب البريطاني إحياءً لذكرى الجنرال شارلس غردون. وتم افتتاحها في عام ١٩٠٢م تخليداً لذكرى غردون الذي قتل بالخرطوم إبان اقتحام ثوار المهدية تحصينات الخرطوم وتوجههم للسرايا (سرايا الحكمدارية) حيث كان غردون يتحصن بها رغم أن تعليمات الإمام المهدي أن يبقوا على حياة غردون على أمل مقايضته بالزعيم المصري الثائر أحمد عرابي.

وبدأت الكلية وهي عبارة عن مدرسة ابتدائية يقبل لها تلاميذ من كل أنحاء السودان لا يزيد عددهم عن أربعين تلميذاً في كل عام، ثم تدرجت إلى مدرسة عليا. وفي عام ١٩٤٧م أصبحت كلية الخرطوم الجامعية، وبعد إعلان استقلال السودان في عام ١٩٥٦م أصبحت جامعة الخرطوم.

(*) بعد استماعه لسلسلة الحلقات التي سجلتها لإذاعة جامعة الخرطوم وسردت فيها ذكرياتي عن مكتبة هذه الجامعة خلال العشرين عاماً التي خدمت فيه، طلب إلي الأستاذ الدكتور/ الأمين أبومنقة أن أسجل هذه الذكريات كتابة لتنشر كملف بمجلة الدراسات السودانية. فما كتبته وسطرته في هذا المقال لا يعدو كونه خواطر وذكريات عابرة، ويلاحظ ذلك في خلوه من المراجع والإشارات الببليوغرافية التي تحتاج لها الدراسات العلمية.

خلال هذه الفترة الممتدة في تطور الكلية صاحبت المكتبة هذا التطور. فمن غرفة واحدة بالمبنى الحالي للمكتبة والذي يمثل الشكل حرف U المقلوب والذي كان يضم، بجانب الفصول الدراسية ومكاتب المدرسين وإدارة الكلية، سكن التلاميذ. وأذكر عندما زارني والدي- رحمه الله- حوالي عام ١٩٦٣/١٩٦٤م وكنت وقتها أعمل بقسم التزويد بالغرفة بالطابق الأرضي والتي تقع اليوم شرق مكتبة الشنقيطي ذكر لي بأنه كانت هذه الغرفة الداخلية التي كانت تضمه مع أربعة من زملائه حوالي عام (١٩٢١/١٩٢٢م).

وكانت الطفرة الأولى التي شهدتها المكتبة في عام ١٩٤٥م عندما تم جمع الكتب الموجودة بالمدارس العليا إلى مجموعة من الكتب قدمها السير دوقلاس نيوبولد، السكرتير الإداري آنذاك. فكانت حوالي ثلاثة آلاف كتاب، إضافة إلى مكتبته الخاصة التي تبرعت بها أسرته عند وفاته فيما بعد بالخرطوم والتي بلغت مجموعاتها ١٥٠٠ كتاب تخليداً لذكراه أطلق على المكتبة "مكتبة نيوبولد"، وما زالت إلى يومنا هذا بعض من تلك الكتب تحمل خاتم "مكتبة نيوبولد". وتم اختيار أحد الأساتذة من البريطانيين للإشراف عليها إلى أن أوكل أمرها إلى المستر جولف كأول أمين مكتبة متخصص ومتفرغ، وظل في هذا المنصب حتى تمت سودنة وظيفته بعد عام ١٩٥٨م عندما تم اختيار الأستاذ عبد الرحمن النصري- أميناً للمكتبة بعد حصوله على ماجستير علوم المكتبات من جامعة لندن. وما لبث أن شغلت المكتبة كل المبنى القديم للكلية بطابقه الأرضي والأول ما عدا الجناح الشرقي الذي ظل تشغله كلية العلوم (قسم الفيزياء) إلى يومنا هذا.

وظيفة أمين المكتبة

وفقاً لقانون جامعة الخرطوم (١٩٥٦م) فإن وظيفة أمين المكتبة (The Librarian) تأتي في الهيكل الوظيفي: مدير الجامعة - المسجل - أمين المكتبة - عمداء الكليات، ولذلك كان موقعه في احتفالات الجامعة (التخريج) قبل عمداء الكليات وفقاً لبروتوكول الإجلاس.

وعمل المستر جولف خلال الفترة (١٩٤٧-١٩٥٨م) وسودن الوظيفة الأستاذ عبدالرحمن النصري حمزة والذي كان يشغل وظيفة محاضر بقسم الجغرافية بكلية الآداب - وكان حاصلاً على ماجستير من جامعة كمبردج في علم الجغرافيا. وعندما بدأت الجامعة في عهد مديرها السوداني الأستاذ نصر حاج علي (أول مدير سوداني يتولى إدارتها) تم ابتعاث مجموعة من الأساتذة في بعثات خارجية لتولي المناصب الإدارية والتنفيذية بالجامعة الوليدة. فوقع الاختيار على الأستاذ عبد الرحمن النصري- الذي ابتعث للخارج وحصل على ماجستير في علوم المكتبات. وظل في هذا المنصب حتى تقاعده بالمعاش.

خلفه (أي عبدالرحمن النصري) الأستاذ أبوبكر الصديق عثمان توفيق وتولى أمانة المكتبة. كان الأستاذ أبوبكر الصديق في ذلك الحين يحمل ماجستير في علوم المكتبات، وكان يعمل بالمكتبة منذ تخرجه من كلية الآداب بجامعة الخرطوم، وكان يشغل وظيفة نائب أمين المكتبة وظل في الأمانة حتى تقاعده بالمعاش. بعدها تولى أمانة المكتبة أساتذة من غير تخصص في مجال المكتبات، وتعاقب عليها عدد من الأساتذة وما زالت تدار على هذا النحو. وكانت مكتبة جامعة الخرطوم تشمل المكتبات التالية:

أ- **المكتبة الرئيسية:** ومقرها بالمبنى الرئيسي القديم وتحتل كل الأجنحة عدا الجناح الشرقي. وخصصت لخدمة كليات الوسط والتي كانت على أيامنا تمثل كليات: الآداب، والعلوم، والاقتصاد والعلوم الاجتماعية (بكل أقسامها وفروعها)، رغم أنه كان لكل من كلية الآداب وكلية والاقتصاد والعلوم الاجتماعية مكتبة تتبع لإدارة كل من الكليتين (اضيفتا فيما بعد إلى مكتبة جامعة الخرطوم).

ب- **مكتبة القانون:** وهي تتبع للمكتبة الرئيسية ولكنها منفصلة لخدمة طلاب وأساتذة القانون في مبنى منفصل، وكان موقعها الأول جنوب شارع الجامعة (الداخليات القديمة) ولكن تم ترحيلها إلى مبنى داخلية النيل الأزرق المبنى الحالي- لتحتل الطابق الأرضي الحجرات الجنوبية الغربية (توسعت فيما بعد).

ج- **مكتبة الطب:** وهي تقع في كلية الطب وتقدم خدماتها لأساتذة وطلاب الطب والصيدلة فيما بعد طلاب العلوم الطبية في كل التخصصات، وكان موقعها القديم بالقبة التي تقابل معمل استاك بشارع القصر (الآن رحلت إلى المبنى الجديد).

د- **مكتبة شمبات:** وهي المكتبة المتخصصة في العلوم الزراعية والغابات والبيطرية لخدمة طلاب وأساتذة الطب البيطري والزراعة في مختلف تخصصاتهم. وموقعها بضاحية شمبات بالخرطوم بحري.

هـ- **مكتبة التربية:** بعد ضم معهد المعلمين العالي إلى جامعة الخرطوم وأصبح كلية التربية بأم درمان، ضمت مكتبته إلى المكتبة الرئيسية لتقديم خدماتها لأساتذة وطلاب التربية. توسعت فيما بعد المكتبة بتوسع الجامعة واستحداث كليات وأقسام جديدة وإضافة كل مكتبات الكليات إلى إدارة المكتبة الرئيسية.

ساعات فتح المكتبة

تفتح المكتبة الرئيسية ومعظم المكتبات الفرعية يومياً من الساعة ٧:٣٠ صباحاً وحتى الساعة ١٠:٣٠ مساء – عدا الجمع والتي تفتح فيها لفترات أقل.

التزويد: تعتمد المكتبة في تزويدها على قوائم الناشرين حيث تطلب كل الكتب بواسطة الأساتذة ورؤساء الأقسام بالكليات وعادة يرشحون الكتب المطلوبة. وتتم المراجعة بقسم التزويد للتأكد من عدم وجود الكتاب بالمكتبة. ويطلب الكتاب من بريطانيا عن طريق وكيل المكتبة الناشر BLACKWELLS وهو الوكيل المعتمد للمكتبة حيث كانت ٩٠٪ من الكتب المطلوبة باللغة الإنجليزية. وكان يتم مراجعة أسعار الكتب والدوريات لتتناسب مع ميزانية المكتبة، وأيضاً لتوزع على الأقسام والتخصصات بعدالة مع زيادة حصة الأقسام الجديدة.

ولا يتم طلب كتاب إلا بعد المراجعة والتأكد من عدم وجوده بالمكتبة والفهرس بما في ذلك المكتبات الفرعية. ويطبع طلب الكتاب في أربعة بطاقات صغيرة تحتوي على اسم المؤلف وعنوان الكتاب ورقم الطبعة وتاريخها والناشر واسم طالب الكتاب/ القسم – الكلية. وجميع قسائم الطلبات يوقع عليها أمين المكتبة الأستاذ عبد الرحمن النصري. والذي كان يحرص على المراجعة النهائية ومن ثم التوقيع والاعتماد. وترسل النسخة الأصلية وصورة منها إلى الوكيل BLACKWELLS الذي يقوم بتزويدنا بالكتب. ويرسل الكتاب وبداخله الصورة الثانية من بطاقة الطلب، أما الصورة الثالثة فتحفظ في ملف خاص (كتب تحت الطلب) وترتب ترتيباً ألفبائياً بأسماء المؤلفين- وذلك لتخضع للمراجعة حتى لا يتم طلب نفس الكتاب مرة أخرى قبل استلامه - أما النسخة الرابعة من بطاقة طلب الكتاب فتوضع مع ملف الميزانية لمعرفة صرف كل قسم من أقسام الكليات ومعرفة الصرف النهائي للكلية وللمكتبة. وتطلب نسخة واحدة

من كل كتاب وكل الطلبات تصل إلى المكتبة عن طريق البريد العادي. ولا يطلب كتاب عن طريق البريد الجوي إلا في حالات خاصة جداً. وذلك لارتفاع أسعار الشحن الجوي وتوفير كل المبلغ لطلب الكتب وعدم تبديدها في مصروفات إضافية، كما أن ميزانية المكتبة مخصصة لشراء المجموعات المكتبية، ولا بند فيها للصرف على بنود أخرى، فميزانية المكتبة لا تعرف مثلاً بند الحوافز المالية أو الأثاثات والأجهزة (هذه لها ميزانية منفصلة من الجامعة).

عندما يصل الكتاب المطلوب ويتم استلامه يراجع مع البطاقة الثانية ومع (البطاقة الأصل) أو الكتلوج الذي عُبِّيءَ به الطلب أصلاً والتأكد تماماً من أنه الكتاب المطلوب، وأن الكتاب يخلو تماماً من أي عيوب طباعية أو تلف جزئي أو كلي. بعد ذلك يختم الكتاب بختم المكتبة ويتم تسجيله في سجل الكتب، وهو السجل الذي يحمل أرقاماً متسلسلة للكتب التي ترد المكتبة. بعد ذلك يخطر الأستاذ أن الكتاب الذي قام بطلبه قد وصل المكتبة وعليه الاتصال بقسم الفهارس والتصنيف، حيث يحول الكتاب إلى ذلك القسم الذي يحوله إلى المكتبة الرئيسية لتسهيل إعارته للأستاذ إذا رغب في ذلك.

قسم الفهارس والتصنيف

قسم الفهارس والتصنيف من الأقسام الفنية المهمة بالمكتبة وتستخدم مكتبة جامعة الخرطوم التصنيف الموضوعي (تصنيف بليس) في الفهرسة؛ فهي تتبع قواعد الفهرسة الأنجلو الأمريكية ومتابعة التطورات والتحديثات التي تمر عليها تستخدم بطاقة الفهرسة (الفهرس المحزوم)، وهي بطاقات كبيرة تعطي فرصة واسعة للإضافات لحجمها النسبي مقارنة ببطاقات الفهارس التقليدية. ويتم حزم البطاقات في حاويات من الخشب المجلد والمربوطة بمسمار (قلووز) يحزم حوالي خمسمائة بطاقة. ويحتوي الفهرس على مجموعة

فهارس المؤلف وفهارس الموضوع والفهرس المصنف، حيث يتاح للباحث أن يحصل على الكتاب المطلوب عن طريق اسم المؤلف أو موضوع الكتاب أو رمز التصنيف. وتُرَاجَع بطاقات الفهارس في فترات دورية، وهو الإجراء الذي يقوم به قسم الفهرسة حيث يقوم بإعداد البطاقات وطبعها ونسخها وترتيبها في الفهارس. وكان موقعه بمدخل المكتبة الرئيسية. حيث يتيح للباحث أن يصل إلى الكتاب عن طريق اسم المؤلف / موضوع الكتاب/ أو رمز التصنيف وفي الكتب العربية عن طريق عنوان الكتاب أيضاً.

خدمات القراء وقاعات المطالعة

يضم المبنى الرئيسي للمكتبة عدداً من القاعات والحجرات: فالقاعة الشرقية مخصصة للعلوم التطبيقية والبحتة، والقاعة الغربية مخصصة للعلوم الإنسانية والآداب، والقاعة السفلى الشرقية مخصصة للدوريات، والقاعة السفلى الغربية مخصصة للغة العربية والمكتبة الفلسطينية. هذا بجانب الحجرات والقاعات للتاريخ والاقتصاد والعلوم السياسية، وقسم خاص للدوريات بالطابق الأرضي.

وعلى مدخل المكتبة الرئيسية يوجد "بنك المراقبة" والذي يحتفظ ببطاقات الإعارة للأساتذة (فقط) وهو القسم الذي يتولى توجيه الطلاب والإجابة على استفساراتهم، بجانب ذلك فهو يحتفظ بكتب "الحجز"، وهي المراجع التي تحفظ عادة بتوصية من أساتذة المواد ويكون الإقبال عليها كبيراً، وخاصة أيام الامتحانات، حيث يتدافع الطلاب للحصول على المراجع النادرة، خاصة في عدم وجود خدمات التصوير في ذلك الوقت. أما كتب المقررات فهي محفوظة بأقسام الكليات أو بمكتبة الكلية (الخاصة).

قسم الدوريات

وهو القسم المختص بطلب وحفظ الدوريات العلمية، وعندما غادرت المكتبة في عام ١٩٨٢م كانت المكتبة تشترك في حوالي أحدَ عشر ألف دورية تغطي كل التخصصات في كل الكليات بجميع الأقسام. ويخضع ترشيح الطلبات الجديدة تخضع لإجراءات تبدأ من الشعبة التي ترشح الاشتراك، وتتم المراجعات حتى لا يتكرر الطلب، ويحتفظ القسم ببطاقات التسجيل حيث تتم المتابعة الدقيقة في الاستلام وطلب الناقص، وقد كان الوكيل المعتمد هو أيضاً شركة بلاكويلز ومقرها بأكسفورد وتتم محاسبتها سنوياً وتقوم بدورها بمحاسبة إدارات الدوريات. ولم تكن للمكتبة في ذلك الوقت أي صعوبات مالية حيث توفر ميزانية المكتبة المبلغ المخصص للدوريات ويتم التحويل عن طريق بنك السودان- وذلك عندما كان الجنيه السوداني يعادل ثلاثة دولارات أمريكية. وتوقف الاشتراك في الدوريات منذ عام ١٩٨٣م تقريباً.

المكتبة العربية (القسم العربي)

كانت الدراسة بمعظم كليات جامعة الخرطوم باللغة الإنجليزية ولذلك لم تكن المكتبة العربية تهتم سوى بكتب اللغة والتراث والأدب والتاريخ والحضارة الإسلامية. وكانت المكتبة تستخدم نظاماً للتصنيف وضعه أحد المستشرقين وقام الأستاذ أحمد عبد الحليم بإجراء تعديلات عليه. ولكن مع تنامي الاهتمام باللغة العربية، وخاصة بعد قرار وزارة التربية والتعليم بتعريب التعليم الثانوي، ازداد الاهتمام بالكتب العربية ليس فقط في مجال التراث والدراسات التقليدية، بل في كافة العلوم، عدا الطب والهندسة والعلوم الزراعية والحيوانية والعلوم التطبيقية حيث تواصل تدريس تلك المواد باللغة الإنجليزية. وقد كانت المكتبة

الفلسطينية جزءاً من المكتبة العربية، وكانت مجموعات المكتبة الفلسطينية من المجموعات القوية، حيث حرصت إدارة المكتبة بطلب كل ما يصدر من مطبوعات تتناول القضية الفلسطينية باللغتين العربية والإنجليزية.

مكتبة الشنقيطي

وهي إحدى المكتبات التابعة للمكتبة الرئيسية وقد أهدى المرحوم الأستاذ محمد صالح الشنقيطي مكتبته الخاصة إلى مكتبة جامعة الخرطوم في عام ١٩٧١، وكان حينها على قيد الحياة، وتم نقل المكتبة إلى مقرها الجديد بعد وفاة صاحبها الذي أصدر وثيقة قانونية وهب فيها مكتبته الخاصة لمكتبة جامعة الخرطوم. والمرحوم الأستاذ محمد صالح الشنقيطي من الرعيل الأول من خريجي كلية غردون التذكارية، وقد درس وتخرج في قسم الشريعة والقانون وعمل بالسلك القضائي بالهيئة القضائية حتى وصل إلى درجة قاضي محكمة عليا أثناء فترة الحكم الثنائي والإدارة البريطانية. وقد استقال من منصبه لينضم للعمل الوطني حيث شارك في الجبهة الاستقلالية وكان واحداً من دعاماتها.

تميزت مكتبة الشنقيطي بمجموعاتها القانونية والمؤلفات التراثية في اللغة العربية وآدابها والتاريخ والحضارة الإسلامية بجانب المراجع الأساسية في مجال التشريع والفقه والقانون. وتضم المكتبة، بجانب المجموعات الورقية، عاديات تراثية كمجموعة السيوف التي تزين جدران المكتبة. والمكتبة مخصصة لطلاب الدراسات العليا، ويشرف ويقوم على خدمة القراء أحد الملازمين. وبمدخل المكتبة تمثال نصفي لصاحب المكتبة أعده وأهداه للمكتبة النحات الأستاذ عبد الرزاق عبدالغفار والذي كان يعمل أستاذاً بكلية الفنون الجميلة

بالمعهد الفني بالخرطوم (حالياً جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا)، وهو أيضاً مصمم تمثال للدكتور التجاني الماحي والذي يحتل مدخل مكتبة التجاني الماحي (تم ترحيلهما فيما بعد).

مكتبة التجاني الماحي

هي إحدى المكتبات الملحقة بالمكتبة الرئيسية وتحتل جانباً من الجناح الأرضي الغربي من المبنى الرئيسي للمكتبة. وقد تلقتها مكتبة الجامعة عام ١٩٧٣ هدية من أسرة المرحوم العالم الجليل الدكتور التجاني الماحي والذي كان يعمل أستاذاً لعلوم الطب النفسي بكلية الطب بجامعة الخرطوم. وهو من الشخصيات العامة حيث تبوأ منصب عضو مجلس السيادة عقب ثورة أكتوبر ١٩٦٤م، كما أنه أحد رواد الطب النفسي في القارة الأفريقية والوطن العربي. عرف باهتمامه بالكتب والمكتبات واستطاع خلال حياته العلمية العامرة بجلائل الأعمال أن يجمع ذخيرة علمية قيمة وخاصة في مجال الدراسات السودانية والمراجع الطبية والمخطوطات والخرائط النادرة. وخصصت إدارة المكتبة مبنى خاصاً حفظت فيه المكتبة واختصر استخدامه للأساتذة وطلاب الدراسات العليا. ويقوم بالمراقبة وخدمات القراء فيها أحد ملازمي المكتبة، ويقدر عدد مخطوطاتها بحوالي ألفي مخطوط، ولكن لم يصدر حتى اليوم فهرس للمخطوطات، بالإضافة إلى الأناتيك والعاديات التي تحويها المكتبة. وقد تعرضت في الآونة الأخيرة لفقد مجموعات من طبعات نادرة لبعض الكتب. كما أن أحوال حفظ المخطوطات غير مناسبة ولابدّ من قفل المكتبة واستخدام خزائن خاصة لتأمين المجموعات النادرة، وإصدار فهرس المخطوطات وطباعة فهرس المكتبة وإتاحته للمستفيدين بالطرق النشر التقليدية والإلكترونية.

مجموعات الإهداء

تضم مكتبة جامعة الخرطوم (المكتبة الرئيسية) مجموعات من الكتب التي أُهديت للمكتبة من أصحابها قبل وفاتهم أو قدمت من أسرهم ومن هذه المجموعات:

- مجموعة بروفسور سعد الدين فوزي: وهو أول سوداني يتولى عمادة كلية الاقتصاد بجامعة الخرطوم وبعد وفاته قامت أسرته بإهداء مكتبته لجامعة الخرطوم.
- مجموعة خضر حمد: وخضر حمد سياسي من مؤسسي مؤتمر الخريجين بالسودان (١٩٣٨م) وأحد زعماء الحزب الوطني الاتحادي وعضو مجلس السيادة. أهدت أسرته مكتبته الخاصة للجامعة بتوصية من الفقيد.
- مجموعة الدرديري محمد عثمان: أُهديت للمكتبة بعد وفاته. وعمل الدرديري محمد عثمان بالسلك القضائي ثم عمل بالعمل العام وكان أحد مؤسسي الحزب الوطني الاتحادي، وقد اختير عضواً في أول مجلس للسيادة (١٩٥٥م).
- مجموعة مكاوي سليمان أكرت: وهو من أوائل الإداريين الذين عملوا بالإدارة، وتولى منصب مدير المديرية الاستوائية في عهد الجنرال عبود.
- مجموعة د.عباس إبراهيم: وهو أحد أساتذة قسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة الخرطوم الذي توفي أثناء عملة وانتدابه بالمملكة العربية السعودية.

- مجموعة د.عز الدين المهدي- طبيب من أسرة المهدي.
- مجموعة الصحفي والسياسي محمد عبد الجواد الذي أهدى مكتبته قبل وفاته للجامعة.

ومن المجموعات التي أهديت للجامعة مؤخراً، مكتبة الدكتور خالد الكد، ومكتبة بروفسور علي المك، ومكتبة خالد ابن الخياط، ومكتبة بروفسور صلاح الدين المليك.

بالإضافة إلى ذلك فهناك مجموعات صغيرة أخرى من أسر وشخصيات قدمت لمكتبة جامعة الخرطوم. والمكتبة تحرص بوضع ديباجة بالكتب المهداة تسجل اسم المهدي وتاريخ الإهداء.

مكتبة مطبوعات الأمم المتحدة

تعتبر مكتبة جامعة الخرطوم إحدى المكتبات، وربما الوحيدة من بين المكتبات الجامعية بالسودان، التي تحظى بحق الإيداع لمطبوعات الأمم المتحدة بكل منظماتها ومجالسها. وظلت المكتبة تستقبل كماً هائلاً من تلك المطبوعات والتي تشمل تقارير الجمعية العمومية للأمم المتحدة ومطبوعات لجنة الطاقة الذرية ومطبوعات منظمة الزراعة والتغذية وإصدارات هيئة الصحة العالمية وتقارير ومطبوعات وكالات وهيئات المنظمة الدولية في العديد من التخصصات. حيث يتم تسجيل وتوزيع كل المطبوعات على المكتبات المتخصصة كمكتبة الطب ومكتبة شمبات وتحفظ باقي المجموعات بقسم خاص بشارع الجمهورية أحد طوابق مكتبة السودان بالمبنى الجديد.

قسم التجليد والتصوير

وهو القسم المختص بتجليد مجموعات الكتب والدوريات، بالإضافة إلى تصوير وطباعة بطاقات فهارس المكتبات وبطاقات العمل لأقسام المكتبة المختلفة. والقسم مزود بمعدات وأجهزة حديثة. وكان يديره الأستاذ صديق علي أبكر، الحاصل على دبلوم تقني عالي من جامعة لندن وتحت إدارة وإشراف بروفسور عبدالرحمن النصري، أمين المكتبة. وقد نال هذا القسم ثقة منظمة اليونسكو حيث أصبح مركزاً لتدريب منتسبيها من جامعات وكليات شرق أفريقيا الذين يعملون في مجال التجليد. وتعرض هذا القسم الرائد لنكسة عندما تقرر ضمه إلى مطبعة جامعة الخرطوم بعد ذهاب بروفسور عبدالرحمن النصري، مؤسس القسم، وأعيد جانب من فنييه للمكتبة فيما بعد، ولكنه فقد أهم أدواته ومواده والتي طمع فيها الآخرون ولكنهم فشلوا في إدارته وتسببوا في ضياع ممتلكاته وخبرته وتجربته الثرة في مجال التجليد الفاخر الممتاز.

دليل المكتبة

كانت المكتبة تحرص على إعداد دليل تعريفي بالمكتبة الرئيسية وأقسامها ليصدر كل عام ويوزع على الطلاب الجدد من كل الكليات. ويحتوي الدليل على إرشادات وتوجيهات حول كيفية استخدام الفهارس، ومواعيد فتح المكتبة، وكيفية الوصول للمراجع دون الحاجة إلى سؤال الموظف أو الملازم. بجانب ذلك كان الأسبوع الأول من بداية كل عام دراسي يخصص لتعريف الطلاب بكيفية استخدام المكتبة؛ فكان يتم توزيعهم في مجموعات صغيرة ويوكل لكل مجموعة موظف من موظفي المكتبة ليشرح لهم محتويات المكتبة، ويعرفهم بالفهارس والتصنيف المتبع في المكتبة وطريقة استخدام الكتاب، والتحذير من الكتابة والخطوط على الكتاب، ويذكرهم بأن الكتاب ملك عام لكل الطلاب.

وقد وضح أن الطلاب الذين يشاركون في هذه المجموعات ويتعرفون على المكتبة لا يعانون في الحصول على المراجع المطلوبة. أما الفئة الثانية والتي لم تكن حريصة على حضور تلك الحلقات فإنها تظل تعاني من عدم معرفتها في الوصول للمراجع، وترى في فهارس المكتبة طلاسم لا تستطيع حلها، وتعتمد أساساً على سؤال الملازمين عن أماكن المراجع، خاصة أن معظم الطلاب يدخلون لأول مرة مكتبة منظمة تنظيماً دقيقاً.

خدمات للعاملين

من الخدمات التي كانت تقدم للعاملين في الأمسيات، تخصص عربة لترحليهم بعد نهاية العمل المسائي والذي يمتد حتى الساعة الحادية عشرة مساءً، إذ تتوقف المواصلات العامة في ذلك الوقت. كما تقدم وجبة عشاء للعاملين. وفي شهر رمضان يقدم لهم فطور رمضان وعشاء وذلك في إحدى الداخليات القريبة من المكتبة، وأذكر أنها كانت داخلية "النيل الأزرق" التي أصبحت فيما بعد مقراً لكلية القانون. وقد كانت موائد حافلة بالطيبات!!!

عمل المساء

كان المتبع نظام الدوريات في العمل المسائي، إذ يعمل اثنان من الموظفين مرة كل أسبوع مساءً من الساعة الثانية بعد الظهر وحتى الساعة العاشرة والنصف مساءً ويحصلا على إجازة في اليوم التالي. وهذا الجدول الذي يصدر في أول العام عادة ولا يتم تغييره إلا بموافقة وتوقيع أمين المكتبة. أما ملازمو وعمال المساء فهم عادة دائمون في العمل المسائي، ويتم استبدالهم كل عام.

دفتر المذكرات

يوجد بالمكتبة الرئيسية دفتر خاص يسجل فيه الموظف المسئول في المساء كل ما يطرأ بالمكتبة، مثل انقطاع التيار الكهربائي أو غياب أحد العاملين أو طلب تغيير لمبات الإضاءة أو خلل في المراوح. وهذه الملاحظات يطلع عليها مراقب المكتبة ويرفعها إلى أمين المكتبة.

سجلات المكتبة

تحتفظ المكتبة بعدد من السجلات، أهمها سجل الكتب، وهو السجل الذي تسجل فيه جميع الكتب التي تصل المكتبة عن طريق الشراء أو الإهداء بعد ختمها بخاتم المكتبة. ومنها أيضاً سجل الدوريات، وهو خاص بتسجيل الدوريات التي تصل المكتبة وتتم متابعتها ووصولها بصفة منتظمة. وهناك "سجلات الإحصاء"، وهي بطاقة يتم تسجيل عدد الرواد كل رأس ساعة منذ الثامنة صباحاً وحتى العاشرة مساء. وبذلك تتم معرفه متوسط الحضور اليومي بكل القاعات والمكتبات الفرعية. وبموجب تلك الأرقام تمت المطالبة بالتوسع في إجلاس الطلاب، خاصة في فترة الامتحانات، حيث يشتد الازدحام على القاعات. هناك أيضاً سجلات لإعارة الكتب للأساتذة، حيث توجد بطاقة إعارة لكل أستاذ يسجل فيها أرقام الكتب التي استعارها وتاريخ إعادتها، وفي حالة تأخير الكتاب ترسل بطاقة للأستاذ وتذكره بإعادة الكتاب. ولا يسمح للطلاب بإعارة الكتب، بل الاقتصار على قراءتها داخل المكتبة، والتي تفتح يومياً لمدة أربع عشرة ساعة. ولا يسمح بإدخال المشروبات والسندوشات والحديث داخل القاعات مع مراعاة أن يحضر الطلاب والطالبات بالزي المناسب.

نظام التأمين

تتبع المكتبة عدداً من الإجراءات لتأمين مجموعاتها كما يلي:

أولاً: هناك شبكة مواسير داخل المبنى مع وجود نظام فتح اتوماتيكي بفعل النيران في حالة اشتعالها حيث تدفق المياه (هذا النظام موروث منذ مكتبة نيوبولد في الأربعينات ولم يحدث أن احتاجت المكتبة له لأن الماء في حد ذاته مدمر للكتب والورق).. كما أن هناك جرساً ضخماً يقرع بعنف – في حالة نشوب حريق وما زال في مكانه عند مدخل الأرضي الخارجي للمكتبة.

ثانياً: هناك مدخل ومخرج واحد للمكتبة في الدور الأول وهناك مخرج للطوارئ في الدور الأرضي للمكتبة الرئيسية، وجميع نوافذ المكتبة مغلقة بواسطة شبك.

ثالثاً: هناك رقابة على جميع الخارجين بعرض كتبهم عند مغادرتهم للمكتبة، وكل كتب المكتبة بها ختم المكتبة، وبطاقة في كعب الكتاب، وختم بالجانب الأفقي للكتاب.

رابعاً: توجد معدات إطفاء عند مدخل المكتبة، ويتم تدريب الملازمين على كيفية استخدامها. وفي إحدى المرات تم انتداب أحد ملازمي المكتبة لفترة تدريبية لمدة ثلاثة أيام بالمطافئ وحصل على شهادة مدرب، وأرسلت له إدارة الجامعة خطاباً بحصوله على علاوة إضافية قدرها عشرون قرشاً في مرتبه الشهري. فقام زملاؤه بمداعبته بإرسال تهنئة له بتلغراف كلفهم مبلغ جنيه بالتمام والكمال.

خامساً: بمدخل المكتبة مفتاح كهربائي يفصل الكهرباء عن كل المكتبة،

وعلى الموظف المسئول إنزال هذا المفتاح عند خروجه لتأمين الكهرباء لكل المكتبة.

سادساً: يحفظ بالكاونتر بعدد من البطاريات (طورش) تعمل بالحجارة لإنارة الطريق لخروج الطلاب بأمان عند انقطاع التيار الكهربائي المفاجئ.

سابعاً: يتم التأمين على مجموعات المكتبة لدى إحدى شركات التأمين ضمن معامل ومعدات الجامعة، وتطلب الإدارة كل عام من أمين المكتبة المبلغ المطلوب للتأمين.

سلبيات ومنقصات

كان فقد الكتب من أكثر المنقصات التي تعاني منها المكتبات عادة، إذ تفقد الكتب رغم كل هذه التحوطات، وغير أن هذه التحوطات ظلت تقلل من نسبة الكتب التي تفقد، وفقاً لما هو متعارف عليه. ومن المنقصات أيضاً، نزع بعض الصفحات أو مقالات أو ملازم بأكملها من الكتب. أما الكتابة والتخطيط والتسطير على الكتب فهي آفة تعاني منها كل المكتبات. وكذا نزع الصور والخرائط، وخاصة المناظر الطبيعية؛ وعلى ما أذكر أن مجلة "ناشونال جغرافيك العالمية" كانت أكثر المجلات تعرضاً في فقد لوحاتها الجميلة للطيور والحيوانات والمناظر الطبيعية الملونة. كما كانت كانت حشرة النمتي تسبب مضايقات كبيرة لرواد المكتبة، خاصة في فصل الشتاء.

مشاهير القراء

يعرف موظفو وملازمو وعمال المكتبات مجموعة من القراء الدائمين بالمكتبات من أساتذة وطلاب، وقد كان البروفسور عبد الله الطيب – رحمه

الله – أول هؤلاء. فقد كان كثير الحضور للمكتبة لاختيار الكتب ويملأ البطاقة ويحمل كتبه بنفسه. وأذكر في إحدى المرات وكانت الكتب كثيرة طلبت من أحد الملازمين أن يحمل الكتب إلى مكتبه فرد شاكراً وقال: "حمل الكتب فيه أجر عظيم". فحملها وخرج. ومنهم كذلك جعفر ميرغني الذي يعرف المكتبة ومجموعاتها جيداً، وكثيراً ما يدخل دون كراسة ولا قلم، ويحفظ ما يريده دون الحاجة إلى تدوين. وقد كان البروفسور يوسف فضل حسن أيضاً من المداومين على مكتبة السودان، ولا يمر أسبوع إلا ويسجل زيارة للمكتبة ليعرف الجديد مما وصل المكتبة بالعربية أو الإنجليزية. حقيقة هناك مجموعة من الأساتذة يحرصون على طلب الكتب واستعارتها وردها في مواعيدها ويخلقون علاقات قوية مع موظفي وملازمي المكتبة بحكم ترددهم الدائم على المكتبة.

أما الطلاب فهناك فئة منهم نجدها واقفة أمام الباب الرئيسي للمكتبة قبل فتحه في السابعة صباحاً ليكون الواحد منهم أول الداخلين للحصول على نسخة من مرجع يكون ضمن المراجع المحفوظة ببنك المراقبة (كاونتر الحجز)، خاصة أيام الامتحانات. وكثيراً ما نجد صعوبة في إخراج الطلاب عند قفل المكتبة في العاشرة والنصف مساء، وبعضهم لا يخرج إلا بعد إطفاء الإضاءة من القاعة. ومعظم هؤلاء نجدهم من المتفوقين في دراساتهم، ومعظمهم يعيَّنون بالجامعة معيدين، ويبعثون إلى خارج البلاد ليعودوا أساتذة ومحاضرين.

التدريب والتأهيل

كان المتبع في تدريب موظفي المكتبة أن يلحق الموظف عند التحاقه بالعمل بالمكتبة بأحد أقسام المكتبة الرئيسية، حيث يعمل تحت إشراف وإدارة رئيس القسم الذي يشرف على تدريبه على أعمال القسم. ويمكث الموظف

في هذا القسم ما بين شهر إلى شهرين ثم ينتقل إلى القسم الثاني. وهكذا يدور الموظف على كل أقسام المكتبة ويلم بكل أعمالها، وبعد مضي عام من تعيينه وتثبيته في الخدمة يتم إلحاقه بأحد أقسام المكتبة أو العمل بإحدى فروع المكتبة تحت إشراف وإدارة رئيس القسم أو أمين المكتبة الفرعية حيث يتولى التدريب والتأهيل. وقد أتاحت المكتبة لمجموعة من رؤساء الأقسام السفر إلى بريطانيا والالتحاق بمكتبات جامعاتها العريقة لتلقي التدريب والتأهيل العملي. وبعد عودة هؤلاء قاموا بالإشراف والتدريبات التطبيقية على العاملين بالمكتبة. وبجانب الكورسات التي تعدها المكتبة منفردة أو بالتضامن مع معهد الدراسات الإضافية، فقد ظلت المكتبة معملاً للتدريبات والتطبيقات لكل الدارسين في كل الدورات. كما كان أساتذة المواد هم العاملون بمكتبة جامعة الخرطوم من خريجي جامعة لندن وحملة شهادات علوم المكتبات العالمية(ALA)، كما كان لهم دورهم الرائد في وضع المناهج والمقررات والدراسات والتطبيقات العملية للدارسين في كل مراحل الشهادة المتوسطة وشهادة العام الواحد، وذلك وفقاً لتجاربهم واحتياجات المكتبة الحقيقية والواقعية اعتماداً على ملاحظاتهم وعملهم بأقسام المكتبة المختلفة. وظلت مكتبة جامعة الخرطوم هي المكتبة المواكبة لتطورات الفهرسة الوصفية والأعمال الفنية والأعمال الببليوغرفية والتكشيف وفقاً للقواعد والقوانين المنظمة لذلك وتطبيقاته العملية، وهو الدور الذي قامت به المكتبة في ظل غياب المكتبة الوطنية بالسودان.

التقارير السنوية

يحرص أمين المكتبة على صدور التقرير السنوي للمكتبة يحتوي على إحصائيات دقيقة عن العاملين بكل الأقسام وفرعياتها، وموقف التزويد،

الهيكل الإداري والفني لمكتبة جامعة الخرطوم (حتى عام ١٩٨٢م)

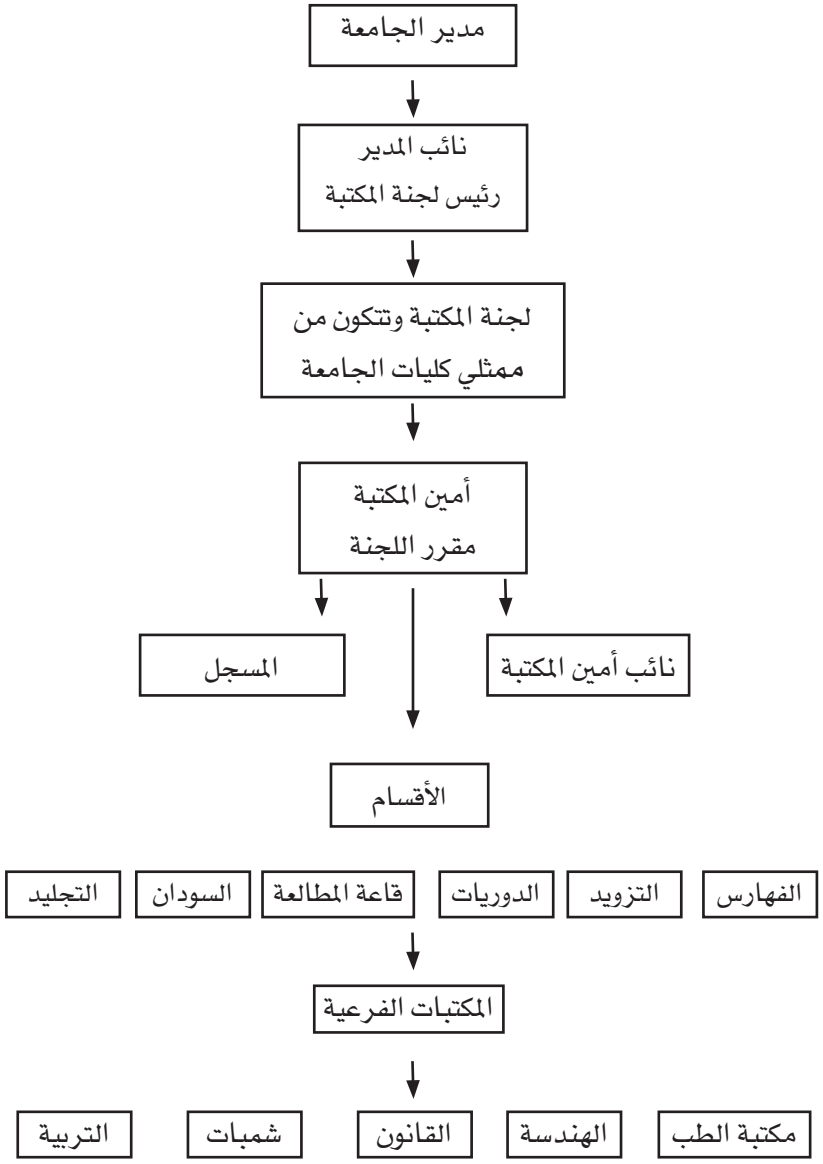

والمجموعات المكتبية بكل أشكالها وأنواعها، والميزانية، وكتب الإهداء والإيداع. ويعرض التقرير على لجنة المكتبة لتتم مناقشته وإجازته ومن ثم يرفع لمدير الجامعة الذي يقوم برفعه إلى مجلس الجامعة. وقد ظلت هذه التقارير تصدر بانتظام طوال الفترة التي كنت أعمل فيها بالمكتبة. ومازالت مجموعة هذه التقارير محفوظة بمكتب أمين المكتبة، وإن لم تعد تصدر بانتظام بعد مغادرة البروفيسور النصري لموقعه أميناً للمكتبة.

الجمعيات المهنية والاتحادات

لعبت مكتبة جامعة الخرطوم دوراً مهماً ورائداً في تكوين الاتحادات المهنية وجمعية المكتبات والمعلومات السودانية، حيث تم تشكيل أول اتحاد للمكتبات السودانية في حوالي عام ١٩٥٨م، وانتُخبت اللجنة التنفيذية برئاسة المستر جولف وسكرتارية حيدر الحلاب وعضوية آخرين. وانتُخب الزميل عز الدين مأمون أميناً عاماً في عام ١٩٦٣. وظل الاتحاد مواصلاً نشاطه الداخلي والخارجي، وتوالت عليه عدد من اللجان والشخصيات في إدارته حتى تم حله مع الاتحادات المهنية عقب قيام ثورة مايو ١٩٦٩م. ثم أعيد بشكله الجديد فيما بعد تحت مسمى "الجمعية السودانية للمكتبات والمعلومات"، وذلك في عام ١٩٨٨م، وقدمت الدعوة للسيد الصادق المهدي – وكان رئيساً للوزراء في ذلك الوقت – فلبى الدعوة وخاطب الاجتماع، وقدم كاتب السطور خطاب الدورة، وانتُخبت لجنة تنفيذية برئاسة الدكتورة الرضية آدم. وفي كل تلك المراحل لعبت مكتبة جامعة الخرطوم والعاملون بها دوراً رائداً في هذا المجال، وما زالت توفر مقراً للجمعية ضمن مبنى مكتبة السودان.

أسلوب العمل الجماعي

ظل العمل الجماعي والقيادة الرشيدة هو العنصر المسيطر على أساليب العمل، حيث الضبط والالتزام بمعايير الجودة في كل الأعمال التي تتم بالمكتبة في كل المجالات الفنية والخدمات. وفي هذا الصدد أذكر أن الحضور الباكر والتوقيع على سجل الحضور يشمل الجميع، بما في ذلك أمين المكتبة، حيث يكون أول الموقعين في السابعة والنصف صباحاً، وحضور العمال والملازمين في السادسة والنصف صباحاً للنظافة وتجهيز المكتبة لاستقبال الطلاب والرواد. وتفتح المكتبة أبوابها في السابعة والنصف صباحاً تماماً، حيث يكون كل العاملين في مواقعهم. ويتم التوقيع بالخروج في تمام الثانية ظهراً.

يتم استخدام البطاقات الموحدة في كل أقسام المكتبة وفرعياتها المحافظة على حداثة الفهارس وتنظيمها ومراجعتها، وكذلك عملية التفتيش الأسبوعية وهي عملية تتم دورياً كل أسبوع حيث يحدد يوم الخميس من كل أسبوع، من العاشرة صباحاً حتى الثانية عشرة ظهراً لتفتيش ومراجعة وتنظيم الرفوف. وتوزَّع أرقام التصنيف على كل العاملين بالمكتبة، بما في ذلك أمين المكتبة ورؤساء الأقسام، ليقوموا بالمراجعة وإعادة الكتب إلى مواضعها والتأكد من الفقدان والنقص.

المهارة والتجربة والخبرة

اكتسب العاملون بمكتبة جامعة الخرطوم مهارات فنية عالية في أعمال المكتبات عن طريق الممارسة والكورسات. ونذكر في مطلع الستينيات عندما التحق اثنان من زملائنا للعمل بمكتبة جامعة الرياض (جامعة الملك سعود فيما بعد)، وأظهرا قدراً من الكفاءة والمعرفة، حضر للسودان عميد شؤون

المكتبات بجامعة الرياض، وقابل مدير الجامعة الذي استدعى أمين المكتبة، وفوجئ أمين المكتبة بالعميد يطلب إمداده بعدد ثلاثين موظفاً من موظفي مكتبة جامعة الخرطوم للعمل بمكتبة جامعة الرياض، فأوضح له أمين المكتبة استحالة ذلك، وأن العدد الموجود حالياً دون هذا العدد المطلوب، وإذا تم ذلك فمعنى ذلك قفل مكتبة جامعة الخرطوم. ومع ذلك تسرب عدد من العاملين بمكتبة جامعة الخرطوم والتحقوا بالعمل بمكتبات المملكة العربية السعودية ومكتبات الخليج. وكانت شهادة الخبرة من مكتبة جامعة الخرطوم تعني جواز المرور للتعيين الفوري بتلك المكتبات. وقد برهن أولئك النفر من موظفي مكتبة جامعة الخرطوم والذين أتيحت لهم الفرصة للعمل بتلك المكتبات على مقدرة فنيه وكفاءة علمية عالية كانت مكان الإشادة والتقدير، وتولوا مناصب قيادية بتلك المكتبات، وما زال بعضهم إلى يومنا هذا يتبوأ تلك المناصب ويقدمون خبرتهم وتجاربهم التي اكتسبوها من عملهم السابق بجامعة الخرطوم، رغم تواضع شهاداتهم وإجازاتهم الأكاديمية.

الخبراء الأجانب

زار السودان عدد من الخبراء الأجانب من اختصاصي علوم المكتبات من قبل اليونسكو؛ فكان أشهر الخبراء الذين حضروا للسودان المستر سويل الذي زار السودان في مطلع الستينيات، والمستر باركر الذي زار السودان في منتصف السبعينيات من القرن الماضي وعاد مرة أخرى في منتصف الثمانينيات أيضاً. وقد رفعا تقارير في تلك الزيارات أشادوا فيها بمكتبة جامعة الخرطوم كمستودع للخبرات والتدريب والتأهيل للعاملين في مجال المكتبات والمعلومات، حيث أجروا جميع اتصالاتهم ومقابلاتهم عن طريق مكتبة جامعة الخرطوم.

مدرسة علوم المكتبات

يعود الفضل في إنشاء وقيام هذا القسم إلى البروفيسور عبدالرحمن النصري الذي عمل على تقديم المقترح إلى كلية الدراسات العليا بجامعة الخرطوم وعرضه على مجلس الأساتذة ومجلس الجامعة، فأجيز المخطط الخاص بقيام مدرسة علوم المكتبات. وقد وضع المقترحات للمقررات والمناهج الدراسية، وذلك من أجل تخريج طلاب الدبلوم العالي في تخصص علوم المكتبات بجانب شهادة الماجستير. وقد شارك البروفيسور النصري مجموعة من الأساتذة والخبراء (أبو بكر الصديق عثمان والرضية آدم محمد وآخرون) في وضع المناهج والتدريس.

وعقب تقاعد البروفيسور النصري وتركه لموقعه كأمين لمكتبة جامعة الخرطوم تفرغ للعمل مديراً لمدرسة علوم المكتبات والتي أمكنها أن ترفد مجال المكتبات والمعلومات بعدد من الدفعات من الخريجين في تخصص علوم المكتبات والمعلومات، إذ لا يتطلب الالتحاق بها التخصص والدرجة الجامعية في علوم المكتبات، ويكفي أن يكون الملتحق بها خريجاً جامعياً مستوفياً شروط القبول والالتحاق بالدراسات العليا بجامعة الخرطوم، وأن يكون له سابق خبرة بالعمل بالمكتبات أو مراكز المعلومات. وقادت هذه المدرسة الكثير من الخريجين وأمدت المجال بعدد وافر من المؤهلين، وواصل بعض خريجي هذا القسم دراساتهم العليا وحصلوا على درجة الدكتوراه في مجال علوم المكتبات والمعلومات.

قسم المكتبات والمعلومات

أنشيء هذا القسم بكلية الآداب بجامعة الخرطوم ليكون مخصصاً للملتحقين من طلاب الآداب الذين يتخرجون بدرجة البكالوريوس تخصص مكتبات ومعلومات. وقد ساهمت مكتبة جامعة الخرطوم – وفي مقدمتها البروفيسور النصري – في وضع المناهج والمقررات.

العلاقات الاجتماعية والإنسانية

ظلت تربط العاملين بجامعة الخرطوم أواصر الصداقة والروابط الأسرية والصداقات الممتدة والتي أظلت الجميع تحت ظلالها الوارفة، وامتدت هذه الصداقات العمر كله. خلال تلك الرحلة الممتدة فقدنا زملاء وأخوة أعزاء مثل أحمد يس نابري، الرجل الصامت قليل الحديث والكفء والدقيق في عمله والوافر في إنجازه والذي لا يعرف الجلوس دون عمل مفيد؛ فهو المسئول عن قسم الطلبات، وكان التدريب يبدأ دائماً به؛ فهو رجل منصف وعادل، وقد توفي لرحمة مولاه بعد تقاعده إثر تعرضه لحادث مروري أودى بحياته. وقد بكاه كل من عرفه وعمل معه. ومنهم عبد الرحمن الحكيم، الرجل الطيب والذي أفنى زهرة حياته بالعمل بالمكتبة. تميز المرحوم الحكيم بالخط الجيد؛ فهو المسئول عن كتابة كل اللافتات والإعلانات الخاصة بالمكتبة، وكذلك شهادات التخرج الجامعية. فالرجل كان مثالاً للطيبة والقلب الكبير والحب الذي يكنه لزملائه وأصدقائه. ومنهم المرحوم محي الدين خليفة، كان مسئول الحسابات بالمكتبة؛ فهو شعلة من النشاط دائم الحركة، وهو الذي يسعى بين الإدارة والمكتبة من أجل استلام المعدات والأجهزة ومراجعة العربات وغيرها من المسئوليات. احتفظ بعلاقات وطيدة مع زملائه وأصدقائه وفقدته المكتبة وهو في قمة عطائه. ومنهم كلك المرحوم جاه الرسول بابكر، رئيس العمال بالمكتبة. عند وفاته كتبت عنه مقالاً

بعنوان: "الأمي الذي خدم جامعة الخرطوم نصف قرن من الزمان". ظل جاه الرسول على رأس العمال والملازمين؛ فهو الذي يكون حضوراً في المكتبة في السادسة صباحاً رغم أنه يسكن بالفتيحاب بأم درمان؛ فيقوم باستلام مفاتيح المكتبة الرئيسية والمكتبات الفرعية المحيطة بها، ويشرف على النظافة وتركيب وصيانة الرفوف. في أواخر أيام حياته وبعد تقاعده أصيب في بصره ولزم منزله بالفتيحاب حتى توفي إلى رحمة مولاه. فكان في مسيرته مثالاً للعامل الجاد والمستقيم خلقاً وأخلاقاً. ومنهم أيضاً المرحوم عبد الله عووضه، وكان زملاؤه يلقبونه وينادونه بـ"البرفيسور"، ليس استخفافاً أو تهكماً، ولكن لمعارفه الواسعة ومعلوماته الثرة ومعرفته وإلمامه باللغتين العربية والإنجليزية. كان رحمه الله واسع الاطلاع والمعرفة، وكان يتميز بالنشاط والذكاء. ظل يحتفظ بعلاقات وطيدة مع كل زملائه الذين التقى بهم في مسيرته العملية بمكتبة جامعة الخرطوم. وغيب الموت من الزملاء عبد المجيد عبد الغني وعبد الكافي وعلي أبوالقاسم وعزالدين مأمون، وأبوبكر الصديق وحسن الحلاب ومعوض الحلاب والسيدة زينب الفاتح البدوي وعثمان عبد الرحمن.

ومن رؤساء الأقسام والزملاء الذين وجدناهم أمامنا كان هناك الأستاذ عبد الوهاب صديق رئيس قسم الفهارس والتصنيف. وعبد الوهاب مدرب ممتاز يوكل له أمر تدريب وتأهيل الموظفين في المجالات الفنية في الفهرسة والتصنيف، وهو شخص منظم ودقيق في عمله ويتسم أداؤه بالنظام. نال جانباً من تدريبه وتأهيله بالمملكة المتحدة، وهو أحد الخبراء في التصنيف الموضوعي، تصنيف بليس، وكذلك في قواعد الفهرسة الأمريكية. وظل عطاؤه متصلاً وبنفس المجال في مكتبة الملك فهد الوطنية بالسعودية والتي عاد منها مؤخراً. ومنهم الأستاذ عز الدين مأمون الذي عمل أميناً لمكتبة شمبات؛ فهو أحد الخبراء بتصنيف

الكولن (رانجناثان) وله مساهمات وأعمال فكرية، ليس في مجال المكتبات فحسب، بل مجالات أخرى. كما أعد عدداً من الأعمال الببليوغرافية في مجال العلوم الزراعية البيطرية، وعمل بعد تقاعده في تأسيس مكتبة المنظمة العربية للتنمية الزراعية، كما عمل بقسم الوثائق والمكتبات بجامعة النيلين. ومن رؤساء الأقسام أيضاً السيد محمد عبد الكافي الذي عمل أميناً لمكتبة القانون؛ فهو واحد من الرعيل الأول الذين عملوا بالمكتبة، وله إسهامات مقدرة في تأسيس مكتبة القانون بجامعة الخرطوم.

ومن الوظائف القيادية بالمكتبة من الخريجين كان المرحوم الأستاذ أحمد عبد الحليم الذي عمل بالمكتبة قبل حصوله على الدرجة الجامعية ثم اختير للعمل بالمكتبة العربية بعد حصوله على درجة البكالوريوس، وأرسل في بعثة للمملكة المتحدة جامعة لندن حيث حصل على درجة الماجستير في علوم المكتبات. وقد ساهم أثناء عمله بمكتبة جامعة الخرطوم في بناء المجموعات العربية وعدَّل في نظام التصنيف الذي كان قد أعده أحد المستشرقين، كما ساهم في عمليات التدريس بالكورسات، وكانت مساهمته الكبرى عندما انتقل للعمل مديراً لمعهد الدراسات الإضافية بجامعة الخرطوم وتبنى تأسيس وتطوير شهادة علوم المكتبات المتوسطة نظام الثلاث سنوات. وظل محتفظاً بذكرياته وعلاقاته الوطيدة مع كل زملائه الذين التقى بهم بمكتبة جامعة الخرطوم حتى آخر يوم في حياته – رحمه الله رحمة واسعة. ومن هؤلاء البروفيسور أبو بكر الصديق، وهو واحد من الحرس القديم والذي ظل بالمكتبة منذ التحاقه بها في مطلع الستينات من القرن الماضي حتى بلوغه سن التقاعد، متنقلاً في كل أقسامها وفروعها حتى اختير أميناً لها عقب مغادرة البروفيسور النصري. وقد ساهم مساهمة فاعلة في التدريس والتدريب على مستوى المكتبة ومعهد

الدراسات الإضافية وبأقسام المكتبات بالجامعات السودانية، وكان الوحيد من بين زملائه الخريجين الذي ظل بموقعه بمكتبة جامعة الخرطوم منذ البداية وحتى وفاته لرحمة مولاه. وكان طوال عمله بالمكتبة مثالاً للموظف الكفء والقدير والمتمكن من أعماله وأدائه. ومن القيادات، الأستاذة أسماء إبراهيم، وهي راهبة المكتبة، وهي من الخريجات، وعملت أمينةً لمكتبة السودان وظلت الحافظة الأمينة على مقتنيات المكتبة حتى تقاعدها.

رحم الله المتوفين رحمة واسعة وأمد الله في أعمار الأحياء ومتعهم بالصحة والعافية.

قواعد وشروط النشر

مجلة الدراسات السودانية مجلة علمية محكّمة تصدر عن معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، وتقبل البحوث في كل مجالات العلوم الإنسانية ذات الصلة المباشرة بالسودان، إضافة إلى عرض الكتب المتعلقة بالسودان.

يرجى من مقدمي البحوث لهذه المجلة مراعاة الآتي:

١- ألا يكون البحث المقدم للمجلة قد نشر أو قدم للنشر في مكان آخر.

٢- تسلم نسخة ورقية مطبوعة على الحاسوب مع نبذة عن الكاتب، ونسخة في قرص مضغوط (CD) لرئيس أو سكرتير التحرير، أو ترسل عبر البريد الالكتروني على العنوانين التاليين: abumanga2000@yahoo.com , ssbulletin@uofk.edu

٣- أن تكون صفحات البحث بين خمس عشرة وخمس وعشرين صفحة (بنط ١٦ Simplified Arabic مسافة واحدة بين السطور Single Spacing)، أو لا يتجاوز الـ ٧٠٠٠ كلمة. ويرفق معه مستخلص باللغتين العربية والإنجليزية في حدود ١٥٠ كلمة بكل لغة.

٤- أن يوثق البحث علمياً بذكر المصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في نهاية البحث، مع اتباع أحد المناهج الحديثة في ذلك، وتكتب الهوامش في نهاية البحث وفقاً للنماذج التالية:

كتاب:

عون الشريف قاسم (١٩٨٩): الإسلام والعربية في السودان، دار الجيل، بيروت، ص...

Greenberg, J. (1966): *Languages of Africa*. The Hague: Mouton, p….

مقال في دورية

عشاري أحمد محمود (١٩٨٨): "أزمة اللسانيات في العالم العربي"، المجلة العربية للدراسات اللغوية، العدد الأول، ص ٣.

Hurreiz, S.H. (1978): "Arabic as a national and international language: Current problems and future needs", *West African Journal of Modern Languages* III, p. 13.

مقال أو فصل في كتاب

Qasim, Awn Sh. (1975): "Sudanese Colloquial Arabic in social and historical perspective", in *Directions in Sudanese Linguistics and Folklore*, ed. by S.H. Hurreiz & H. Bell. Khartoum: Institute of African and Asian Studies, University of Khartoum.

الأمين أبومنقة محمد (١٩٩٢): "العلاقات السودانية النيجيرية في إطار المهدية"، علاقات السودان الخارجية، تحرير حامد عثمان ومدني محمد أحمد، الخرطوم، دار جامعة الخرطوم للنشر، ص ٧.

٥- تعبّر البحوث المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها.

٦- لهيئة التحرير الحق في إدخال التحرير والتعديل اللازمين على الأبحاث.

المشاركون في هذا العدد

١- دكتور/ محمد الفاتح حياتي، أستاذ مساعد، قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة الخرطوم.

٢- يروفسير/ الأمين أبومنقة محمد، أستاذ، معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم.

٣- دكتورة/ هويدا صلاح الدين عتباني، أستاذ مساعد، كلية تنمية المجتمع، جامعة النيلين.

٤- دكتور/ توحيد خميس تبيسة، أستاذ مساعد، باحث متعاون، جامعة بحري.

٥- دكتور/ حسن عبدالله المنقوري، أستاذ مشارك، كلية الجغرافيا، جامعة الخرطوم.

٦- الأستاذ/ الأمين حافظ بيلو، باحث، هيئة البحوث الزراعية – محطة أبونعامة.

٧- دكتورة/ سعاد علي الطيب علقم، أستاذ مشارك، قسم وقاية المحاصيل، كلية الزراعة، جامعة الخرطوم.

٨- الأستاذ/ محمد الوقيع علي، محاضر، قسم وقاية المحاصيل، كلية الزراعة والموارد الطبيعية، جامعة كسلا.

٩- دكتور/ الصادق محمد سليمان، الأمين العام للمجلس القومي للتراث الثقافي وتطوير اللغات.

١٠- بروفسير/ قاسم عثمان نور، مدير مركز قاسم للخدمات والمكتبات.

رقم الإيداع: ١٢٦/٢٠١٠